

كاندا ئيه

روايتا

د. محمد نبيب سائر

طبعة ٢٠١٧

سالم، محمد لبيب

كنداليه: رواية/ محمد لبيب سالم - .- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج
الإعلامي، ٢٠١٦ .

٣٨٤ ص، ٢٠ سم

تدمك: ٦٠٠ ٤ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - العنوان

٨١٣،٠١

كاندا ئيه

روايه

د. محمد نبيب سائر



رئيس مجلس الإدارة
م. م. محمد لبيب سالم

عادل المصري

مدير مجلس الإدارة
م. م. محمد لبيب سالم

الناشر
م. م. محمد لبيب سالم

نوران المصري

رقم الإيداع

٢٠١٦/١٧٦٣٦

الترقيم الدولي

٩٧٨-٩٧٧-٢٩٩-٤-٦٠٠

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : كانداليه

المؤلف : د. محمد لبيب سالم

الغلاف : حمدي قنديل

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - الجيزة

sales@atlasdic.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٠٤٢٤٧١ - ٣٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٣٤٦٥٨٥٠

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

إِلَهُ

«إلى كل قلب كبير، يحمل بين جوانحه قصوراً من الصدق،
تسكنها مشاعرُ الحب لكل العالم بلا تفرقة».

obseikan.com

المقدمة

الجنة لا تقارن بالأرض مهما تجمّلت واكتست برداء المتع. وهكذا الفارق بين الحياة في الأحياء الراقية التي تتطور مع الوقت وتنتقل من مكان إلى آخر والعشوائيات التي تبقى بفقرها وتخلفها وجهلها كما هي دون أدنى تطور. ومع أن الإنسان الذي هبط من الجنة واحد ، إلا أن وجود تنافسية المال والجاه والسلطان مع غياب العدل المطلق ، قسّم الزمان والمكان علي الأرض حسب ساكنيها إلي جنات أو عشوائيات. ومع هذا الفارق المكاني والإمكاني بين أصحاب الطبقتين ، إلا أن أشجار الفكر لدي كلاهما جذوره واحدة ليبقي الإختلاف في الساق والأوراق والثمار ، ولكن كل يحلوا له ما لديه ويعز عليه ما عند الآخر. وهنا نري أناس تتشابع خلاياهم بالانسانية الرائعة والفكر المتخفي أو الخائف تحت ثوب الفقر والحاجة . وعلي النقيض نجد أناس تلبسهم انسانية جامدة ومتجمدة وفكر اناني تحت رداء الكبرياء. ومابين هذا وذاك نري العكس ونري كل الدرجات.

وعن هذا التفاوت الطبقي والمنشأ الفكري ، تدور هذه الرواية التي تجعل من لقاء الفكر والمشاعر الأرستقراطية مع أصحاب العشوائيات ممكنا عندما يمنح القدر فسحة من الزمان والمكان للعقول والقلوب أن تتقابل وتتجاوز بعيدا عن الفروقات. إنه القدر الذي يسوق

الناس في لمح البصر إلي أحداث ومواقف وأناس لم تخطر لهم علي بال، إنه القدر الذي يريده الله لسبب ما علمناه أو جهلناه . فالفارق بين ترتيبات البشر وترتيبات القدر أن ترتيبات البشر قد لا تحدث حتي ولو خططنا لها ، أما ترتيبات القدر فهي نافذة حتي ولو لم نخطط لها فتتبعش جذور السعادة وتنمو سيقناها وتزدهر اوراقها . فالسعادة مثل بخار الماء الذي يتصاعد من البحار والأنهار للسماء ليكون سحبات مملوءة بالسعادة ولكن لا أحد يعلم سوي الله متي وأين وأي من عباد الله سوف تمطر السماء عليهم السعادة. وعندما تمطر السعادة علينا يتولد حبا رائعا يهدي من حواليه إلي طريق جديد مُعبد بالطمأنينة الفكرية والقلبية.

المؤلف

الفصل الأول

**«وفجأة وبدون استئذان وجدت أيدي السيدات بالحجارة
تعبث بجسدها المماطخ ببعض الدماء وملابسها الممزقة حول
وسطها وفخذها ونهديها...».**

اقتريت الساعة من الساعة، وحل المساء على المدينة فغلفها
بوقاره وهدوئه، فبدا الزمان والمكان في أرقى شوارع المدينة مزارا لمن
يريد أن يستمتع بالتبختر في مساء صاف لا يتكرر كثيرا في هذا الوقت
من الخريف. وفي هذا الجانب من المدينة المطرز بأسماء تتمتع بسُلطان
الجاه أو المال، يصنع الناس فيه سعادتهم بركوب السيارات الفارهة، أو
نهم شراء الماركات ولو بدون حاجة، أو قضاء سهرة هادئة وأنيقة في
أرقى الكافيهات أو النوادي.

وعلى الجانب الآخر من المدينة تحولت الشوارع إلى مهرجانات
صاخبة وبدون ترتيب أو تنظيم، ولكنها مهرجانات شعبية ليس لها
توقيت، بل تأتي كلما أتت إلى النفوس ساعة حظ قد تتمثل في صفاء
ليل، أو شمس مشرقة، أو حصول على أجره مقابل عمل، أو أي علامة
قد تسعد النفس وتدخل عليها السرور ولو بالقليل. وهكذا تحوي
المدينة بصفاء سمائها كل الأمنيات وكل الأحلام وكل الناس.

خرجت من بيتها مسرعة كأن جن العالم ركبها! فلم تدرِ بنفسها وهي تهبط بسرعة سلم الفيلا وجرت نحو عربتها، وداست بنزينا، وكأنها في سباق مع الزمن ولكن بلا موعد. زاغت أفكارها وهاجت وماجت وهي تتذكر كلمات خطيبها بأنه قرر الانفصال عنها؛ لأنه وجد صديقة أخرى أكثر تفهما له ولاحتياجاته. زفرت بشدة وتمنت أن يكون أمامها الآن لتدوسه بعجلات سيارتها التي شهدت معه شقاوة سنوات الارتباط الثلاث.

ودون أن تدري، وفي لمح البصر داست على الفرامل، لتصطدم السيارة بشيء ما، لم تدرِ ما هو! فقد تاهت في غيبوبة الصدمة، وترنحت في ارتجاج أفكارها التي غابت عنها لأكثر من ساعة كاملة، حملها فيها أحد المارة لأقرب بيت في المنطقة. ولما أفاق فتحت عينيها على جسد فارغ الطول، مشمر عن ساعديه، ووجه يحمل شفاها مبتسمة، وإن كان أديمها يشبه جلد شنطة قديمة يكسوها بعض الغبار.

لم تتعرف على أي من الموجودين، ودارت عيناها يمينا وشمالا، فلم تتعرف على المكان ولا الزمان، ولم تدرِ لماذا هي هنا الآن؟ ومن هؤلاء الناس؟ حاولت أن تتحرك لتنهض فلم تستطع! حاولت أن تحرك شفتيها لتسأل فلم تستطع! فقط استخدمت عينيها للتحديق في الناس، والمكان، ولكن دون أن تجد ضالتها.

عندما لاحظ في نظرات عينيها الخوف والارتباك والحيرة، تقدم إليها هذا الشاب الطويل، والذي كلما درات بعينيها في الغرفة وقفت عنده، وكأن في عينيه مغناطيسا يجذب عينيها الزائغتين.

- إن شاء الله سليمة والحمد لله إنها جات على قد كده، وقدر ولطف يا هانم. حضرتك كنتِ هادوسي حد بعريبتك.. وربنا ستر على آخر لحظة! تصوري إن الحد ده كان أنا!! بس ربنا ستر. هكذا استرسل مبتسما مستعينا بجلد شفثيه المترب.

حاولت أن تعذر بلسانها فلم تستطع! وببيديها فلم تستطع! فابتسمت له بعينيها المشرقتين دائما حتى وهي في هذه الحال، فازدادت جمالا على جمالها الهادئ. نظر الشاب في عينيها برفق متأملا هذا الجمال الذي يلبسه جمال ويسكنه الجمال، فقال لها في وداعة وحرارة معا: أنت هنا في بيتي يا هانم وإن كان مش قد المقام، بس ده كان أقرب مكان نجيبك فيه علشان نسعفك.

بدأت تشعر بشيء من الهدوء من كلمات هذا الشاب، على الرغم من شعور الحيرة والقلق الذي ما زال يملؤها، وشعور الغربة الذي يتملكها. وقبل أن تحاول إيجاد تليفونها وسَطَ أشياءها المبعثرة، والتي للمها هذا الشاب ووضعها بجانبها، فوجئت بالعديد من السيدات يملأن الغرفة حواليتها ناظرين إليها بنظرات رأت فيها الشفقة، والدعاء بالشفاء. سمعت إحدى السيدات توشوش زميلتها: «دي ياختي أمورة قوي، وشكلها بنت ناس كمان.. يا ترى إيه اللي حدفها على هنا؟!». أجابتها الأخرى: «والله يا ختي الزمن ياما بيرمي وياما بياخد، أهي فرصة نشوف الناس دول ونعطف عليهم».

عبثا حاولت أن تخبر من حولها -خاصة هذا الشاب- عن احتياجها الموبايل الخاص بها، ولكن لم تستطع! فما زالت غير قادرة

على الكلام أو الإشارة. انتشرت الهمهمات من حول «ياسمين» فحمدت الله أن أذنيها ما زالت قادرة على السماع؛ حتى تفهم ما يجري حولها هنا في هذا المكان الذي يبدو لها كمسرحية فلكولورية، مؤكدة أنها قد شاهدتها في الكثير من الأفلام التي تدور حول طبقات مجتمعية شعبية.

وفجأة وبدون استئذان، وجدت أيدي السيدات بالحجارة تعبث بجسدها المملخ ببعض الدماء وملابسها الممزقة حول وسطها وفخذها ونهديها!! وفي دقائق معدودة استسلمت فيها «ياسمين» لأيدي السيدات على مرأى ومسمع من هذا الشاب، الذي كان أدار وجهه عنها وجدت نفسها نظيفة تماما من الدماء، ومعبأة في جلاباب يشبه ذلك الذي ترتديه هؤلاء النسوة.

ومع أنها كانت في حاجة ماسة إلى إحساس الماء فوق جسدها لتشعر ببعض الانتعاش، إلا أنها أصيبت بدهشة مكتومة من الطريقة التي قامت بها هؤلاء النسوة في غسل مكان الجروح وباقي جسدها، ثم خلع ملابسها وتغييرها بتلك العباية السمراء التي أحضرها هذا الشاب بناء على طلب إحداهن. أصيبت بالدهشة من قيامهن بكل هذا بدون أي استئذان، أو خجل! وكأنها طفلة لا تشعر بالحياء من العبث بجسدها هكذا أمام الجميع.

- كده ياست الكل إنت بقيت تمام.. شكل الحادثة راح.. وشكل الجروح اللي كانت في وشك راح.. وبقيت زي الفل وزى القمر في العباية السمراء. ابتسمت «ياسمين» في خجل لهذه السيدة التي خففت عنها

وامتدحتها بتلك الكلمات، وتمنت أن تشكرها بلسانها أو بيدها، لكنها لم تستطع، فابتسمت بعينها.

على الفور تدخلت سيدة أخرى لتشاركهما الحديث: والنبي ياختي العباية عليك أحلى من البنطلون والقميص، ياريتك تخليك كده على طول زينا.. أنا عارفة إيه حبكم في الهدوم الأفرنجي دي، دا حتى الواحدة ما تعرفش تاخذ راحتها فيهم، وبتبقى كده زي الراجل!!

رد الشاب، والذي ما زال في الحجر، بجانب السرير الذي تستلقي عليه ياسمين: هي فعلاً أحلى في العباية.. بس برضه حلوة وزى القمر في البنطلون والقميص.. مالكوش دعوة بيها وخليكوا في حالكوا، هي هاتستريح، ولما تفوق نشوف نواديها إزاي.

ابتسمت له «ياسمين» ممتنة لكلماته، وبدأت تشعر براحة كبيرة بعد وعده بمساعدتها في العودة. ولكن كيف له ذلك وهو لا يعرف عنها أي معلومات؟! وهي لا تستطيع الكلام ولا الكتابة، ولم تجد هاتفها بعد! هكذا شعرت بغصة؛ فهي بالفعل ستظل حبيسة الفراش إلى أن يشاء الله.

الحجرة بسيطة في كل شيء. الإضاءة فيها شاحبة، ودهان الحوائط أنهكته الرطوبة، ولا يوجد في الغرفة سوى هذا السرير البائس، المسجى بغطاء قديم وحيد، ونصف مخدة، بالكاد تسع الرأس. الغريب أن «ياسمين» لا حظت وجود كومة من الكتب ملقاة هناك في أحد أركان الغرفة، بجوار تلفاز قديم، من الواضح أنه من تلك النوعية الغابرة.

نظرت «ياسمين» إلى الغرفة البائسة، وخطر في بالها أن هذا المكان مؤكد هو ماكيت لسجن في مسلسل درامي يمثله هؤلاء الممثلون مع أكبر مخرجي أفلام الواقعية الشعبية. تمنت لو كانت يداها سليمة لتكتب عما تراه من حياة أخرى لم ترها قط. وتمنت لو كانت الكاميرا معها لتسجل هذه اللحظات في هذا الزمان وذاك المكان، ولكنها لا تملك الآن إلا الألم الذي يعبث بكل خلية في جسدها، والقلق الذي يغلف كل خلاياها .

استسلمت «ياسمين» لنوبة نعاس من شدة التعب والألم بعد أن وضعوا على جسدها كمادات مياه باردة، عبارة عن بقايا ملابس مبللة غمست في ماء برود. هدأت عيناها ونامت، وارتاحوا هم لنومها، وتركوها على سرير «صلاح» الذي عرفت اسمه على التو عندما نادته به إحدى السيدات غامزة له بعينيها: «ياللا يا عم صلاح، هنيا لك، مزة زي القمر أهى في سريرك، إنت وضميرك بقى، نسيها لحد ما تفوق، ولو عزت حاجة نادي علينا هاتلاقينا برة قدام الباب في الشارع.

- لأ، أنا جاي معاكم برة وهاسيبيها تمام.

- ماشي ياخويا، إيه الحنية اللي نزلت عليك دي مرة واحدة، عموما تعالى ياللا وسيبيها تمام.. ونرجعها ونشوف حكايتها إيه. اقتحمت سيدة أخرى كانت تتابع حوارهما: واللّه خايفة لتكون محتاجة دكتور، بس مين بقى اللي يقدر عليه وعلى مصاريفه؟ عموما هي ونصيبيها بقى. ردت أخرى: ما تقلقيش ياختي، أهى شوية وها تقوم زي القرد، الستات إلي من دول بسبع ترواح. وبعدين لو جرى لها حاجة تبقي العربية من نصيبنا، ولا إيه يا بو صلاح؟

- عربية إيه بس!! خليكوا محضر خير، إن شاء الله تقوم وتبقى كويسة.

- طيب يا نونوسة ماما، تعالى ياللا نسيبها تنام على سريرك الدلع.

نامت «ياسمين» نوما عميقا على سرير «صلاح» الذي لم تتخيل يوما أن تراه في أي مكان، أو تلمسه، أو تقترب منه.. نامت نومة كألّف نومة، وعلى سرير رجل غريب واضح أنه لا ينظفه إلا في المناسبات!



obseikan.com

الفصل الثاني

«ساعات مرت كالدهر الذي غضب على أصحابه فوضع

في قلوبهم وعقولهم جمرة متقدة بنيران الحيرة والقلق».

الساعة الأنيقة التي تتوسط حائط الدور الأول في البهو المؤدي إلى السلالم الداخلية بالفيلا الأنيقة في أرقى شوارع المدينة تشير إلى الحادية عشر مساءً. الفيلا رائعة الجمال، وترتيب الأثاث ونوعيته وتنسيقه يدل على ذوق عال، وحس مرهف لأصحاب البيت. الهدوء يسيطر على الدور الأول إلا من أصوات آتية من أعلى توشك أن تكون عراقا صوتيا يهدد روعة وبهاء هذا المكان الذي يبدو وكأنه قطعة من قصر منيف. صورة «ياسمين» بالحجم الكبير، تتوسط البهو بإبتسامتها الضاحكة وكأن صاحبها تتخفى وراء الصورة. حقاً، ما أجمل وما أروع الروح الضاحكة التي تترك شعور الدفء وراءها في كل مكان!

- بنتك فين ياهانم؟! اتأخرت جدا وأنا بدأت أقلق عليها جدا.
- وأنت من إمتى وأنت بتقلق عليها! هي دايمما بتتأخر برة وانت عارف.. عموما زمانها جاية، اخرج بس انت ولما تيجي هاطمنك.
- إزاي أخرج وتليفونها مفضول ومش بترد!! أنا قلقان.. أكيد حصل حاجة، أنا هاتصل بخطيبها؛ يمكن معاه وقافلين الموبايل كالعادة.

لم يرد خطيبها على التليفون. ببساطة لأنه قرر الانفصال عن «ياسمين»، وبالطبع عن أسرة ياسمين بعد أن كانت له كل شيء، وبديلاً عن أسرته المسافرة منذ سنوات إلى الخليج.

دارت الدنيا برأسه ولم يدر ماذا يفعل؟ وكيف السبيل إلى معرفة أين ابنته الآن وبعد الساعة الثانية صباحاً؟ كيف السبيل وهو لا يقوى على الاتصال بالشرطة تحاشياً فضيحة العائلة. هرع إلى كل المستشفيات يبحث عنها ولكن لا أثر لها! رجع البيت خائباً ليجد زوجته هي الأخرى تنتظر بجانب التليفون والقلق يروح ويجيء بها. قررا أن ينتظرا حتى الصباح لعل ضوء النهار يأتي بالفرج قبل أن يذهب لتقديم بلاغ للشرطة عن غياب ابنته الوحيدة التي تعني له الحياة بحلوها ومرها.

مرت ساعات الليل على أسرة ياسمين وكأنها الدهر الذي نُزعت منه الدقائق والساعات والأيام. ساعات مرت كالدهر الذي غضب على أصحابه فوضع في قلوبهم وعقولهم جمرة متقدة بنيران الحيرة والقلق. بالطبع لم ينم أستاذ «شوقي» رجل الأعمال المعروف، والذي يمتلك من المال والعقارات والمشاريع الكبرى ما يجعله مترفاً ولاهياً وغير مبالي بالناس ولا احتياجاتهم، ولكنه ورغم كل هذا الثراء رجل أدب، ورجل حلم وفضيلة، ويده تسبق قلبه في العطف على الناس ومساعدتهم. ولذلك فالناس تحمل له حباً جمّاً، وعرفانا وامتناناً يجعل من كل منهم جندياً في خدمته إذا أراد. ومع ذلك لم يشأ «شوقي» بك أن يخبر أياً من هؤلاء الجنود المخلصين عن غياب ياسمين، خاصة أنهم

يعيشون في أماكن مختلفة من المدينة. وكذلك لم يشأ أن يخبر أصدقاءه من أصحاب الرتب العليا في الشرطة والمحافظة؛ آملاً أن ينتهي هذا الكابوس في الصباح الباكر.

بالطبع لم يستطع «شوقي» بك النوم، فنزل إلى بهو الدور الأول يتمشى فيه ذهاباً وإياباً، وعيناه على صورة ياسمين التي تتوسط البهو، وقلبه وعقله على الباب متمنياً أن يسمع همسات ياسمين وراءه بعطرها وضحكاتهما الطفولية، فيجري ليفتح لها الباب ويحتضنها بقلبه، ويخبئها في حجراته حتى لا تفعل به ما حدث اليوم مرة أخرى.

ولكن لم تأتِ «ياسمين» حتى الصباح الذي هلّ بضياء أشعته من بين لفات الستائر الفخمة والأنيقة التي تحيط بالبهو الواسع. ومع أن الشمس رائعة في صباح هذا اليوم من أيام نهاية الخريف إلا أن قلب شوقي بك ما زال تملأه ظلمة الليل لغياب ياسمين. تمنى في هذه اللحظة التي أتت عليه -ولأول مرة في عمر ياسمين- وهي خارج سريرها، وهو لا يعرف أين هي؟! ومع من؟! وماذا حدث لها؟! وكيف هي الآن؟! كم تمنى في هذه اللحظة أن يفقد كل ما يملك من مال وجاه وسلطان وتأتي له ياسمين مهرولة لحضنه بضحكاتهما الطفولية البريئة، على الرغم من سنواتها الخمس وعشرين.



- صباح الخير يا شوقي.. هي ياسمين لسه ماجاتش؟ قالتها أم ياسمين وهي تهبط درجات السلم واضعة راحة يدها على فمها من التثاؤب. ملأ الغيظ «شوقي» وهو ينظر إليها متمنيا لو كان يستطيع ضربها لتفيق من اللامبالاة التي تتملكها حتى في غياب ابنتها الوحيدة! ولكنه لا يستطيع فتقاليد الأسرة والحي والزمان والمكان وطبيعته الشخصية تمنعه من أن يمد يده عليها، فيكفي ما هو فيه الآن من قهر أب يتمنى أن يرى ابنته الآن ماثلة أمام عينيه.

- هانعمل إيه يا شوقي؟ لازم تتصرف البنت كده واضح إنها في مشكلة كبيرة، وممكن كمان تكون اتخطفت، واللي خطفها عايز دية كبيرة. ألقّت أم ياسمين هذه الكلمات في وجه شوقي بك وهي في طريقها للجلوس على الفوتيه المجاور للمدفأة باحثة هناك عن دفء، على الرغم من دفء نهار اليوم الرائع الذي لم تشهد المدينة منذ حلول فصل الخريف المتقلب هذا العام.

- هو إنتِ كل أفكارك مادية حتى في غياب بنتك!! على الرغم من اقتناعي بفكرة الخطف دي إلا إن كل موقف يمر علينا يؤكد لي ماديتك وحبك للمال الذي يسكن قلبك وعقلك.. عموماً أنا هاتصرف بعد ساعة من دلوقتي، ماتلقيش.

ردت بعصبية: أنا هاتجنن يا شوقي.. أنا عايزة ياسمين ولو بمال الدنيا، أنا عايزة بنتي حبيبتي.

- طيب ياللا استعدي وجهزي الفلوس اللي عندك؛ لأن واضح إن الدية هاتكون كبيرة.

- واجهز ليه يا شوقي؟! البركة فيك يا حبيبي.. إنت قدها وقدود.. ومين عارف يمكن يكون حد من اللي إنت بتعطف عليهم هو إللي دبر الخطف علشان عارف إنك تقدر تدفع.

لم يستطع «شوقي» بك سماع هذه الاتهامات في هذا الوقت، ودون أن يدري استتجد بأحد هؤلاء الجنود المحبين له ليساعده، وكأنه يريد أن يثبت لزوجته -ودون أن يدري- أن ما يدور في ذهنها هو محض هراء، وأن هؤلاء الناس فوق الشبهات، وفوق الخيانة حتى ولو كانوا فقراء مدقعين.



obseikan.com

الفصل الثالث

«رواية بعنوان «رومانسية للبيع» فكيف لشاب غير متعلم

في هذا الوسط الشعبي أن يقرأ رواية بهذا العنوان الرومانسي».

هذا الصباح رائع في الحارة، الشمس مشرقة وأشعتها تتجول في كل ركن في الحواري الضيقة مما يعطي شعورا بدفء في القلب قبل الجسد. شمس لم يتوقعها اليوم أهل هذه المنطقة، فهل يا ترى أتت أشعة الشمس لتبارك وجود ياسمين المفاجئ، وتعقم لها هواء وتراب ومباني هذه المنطقة لتستطيع التنفس دون أن تصيبها تلك الميكروبات الفتاكة والنادرة التي تغص بها؟ من يدري لعل الله يخلق الأسباب ويطوعها على حسب ما تعود عليه عباده.

هذا اليوم المشمس جعل من أهل الحارة يتخذون من أمام بيوتهم المتراسة والضيقة والرطبة مكانا لحمام شمسي مفتوح. فقد جلس بعض النسوة بملابسهن الخفيفة -التي تظهر أجزاء كبيرة من أجسادهن- يتحدثن في أمورهن العائلية والخاصة وكأنهن يقرأن من كتاب مفتوح. أتت أصوات بعض النسوة من الشارع إلى مسامع ياسمين فاستيقظت من نوم عميق، ورويدا بدأت تميز بوضوح الكلام القادم من الشارع.

تعجبت من الصراحة المتناهية في كلامهن حتى في الأمور الخاصة جدا. حركت جسدها في العباية بهدوء واستلقت مضطجعة على السرير لتستمع إلى حديثهن لعلهن يشيرن عنها فتفهم ما بداخلهن. حمدت الله أنها استطاعت الحركة ولو بألم. سمعت الهمهمات من الأفواه التي تتحدث عن الطبخ، وعن الجنس، وعن الخيانة، وعن السرقات، وعن النصب، فتعجبت كيف يتحدثون في هذه الأمور على العلن وبهذه البساطة!

تسمرت في مكانها عندما سمعت إحداهن تقول: هو صلاح مانزلش ليه؟! دا احنا سيينا مع السنيورة لوحدهم بالليل.. يا ترى نام إزاي معاها؟!

ردت أخرى: ياختي ده جسمها مدغدغ ومش بتتحرك.. يعني استحالة يحصل حاجة.. هاتلاقيه نايم برة في الصالة وراحت عليه نومة.

- طيب واحدة تروح تبص عليه وتشوفه.. وبالمره تظمن على السنيورة.

لم تصدق ياسمين أن تكون قضت الليلة في سرير رجل لا تعرفه، ونامت دون أن تدري بنفسها وهو ينام معها في نفس المكان. شهقت شهقة كبيرة كتبتها في نفسها مخافة مما حدث. نظرت إلى جسدها فوجدت كل شيء كما هو، ولكنها فوجئت بكتاب بجانب المخدة وعليه ورقة صغيرة مكتوب عليها بخط جميل بقلم رصاص، «صباح الخير،

أنا نمت في الصلاة برة لمدة ساعتين لحد ما اطمّنت إنك نمت، وبعدين رُحّت نمت مع جاري صاحبي، ودي رواية يمكن تعجبك وتقري فيها لو صحيت بدري».

تفست الصعداء عندما رأت الورقة، واحتفظت بها كمستد يحميها وقت السؤال، وشكرته في نفسها، وتمنت أن تراه الآن لتشكره على رجولته منذ لحظة نقلها بعد وقوع الحادثة وحتى الآن دون أن يتسبب لها في أي إحراج.

وفجأة، دخلت النسوة عليها وبدون استئذان بجلايبهن النصف شفاقة مرددين في نفس واحد: حمد الله على السلامة يا سنيورة، إنت ياختي بقيت حلوة أهوة.. وبتتحرك كويس.

ردت ياسمين وبخجل يتخلله رهبة منهن: الحمد لله أنا لسه صاحية حالا ولقيت نفسي بانحرك كويس بس لسه فيه ألم.. وجع يعني في كل حنة من جسمي.

- طيب وفيه صلاح ماهواش بره في الصلاة؟
- هو ساب الورقة دي، وقال إنه راح عند واحد صاحبه ينام للصبح.
- والله برافوا عليك يا أبو صلاح.. واد راجل صحيح.. وقال إيه كتب ورقة علشان مايصحهاش، ده إيه الحنية دية!

ردت إحداهن بصوت فيه دلح: واللّه إللي يشوف الحنية دي ما
يصدقش خالص إنه عتّال وعمال يشيل على كتفه ويحط طول النهار
زي الجمل.

- ربنا يحميه ياختي، هو طول عمره شهم وطول عمره مختلف عننا.
نسيت لما كان قال إيه عايز يكمل تعليمه، وأبوه زعقله وضربه
وقاله إنت هاتشذ عننا.. والواد كان بيهرب واتعلم مع صاحبه من
غير أبوه مايعرف؟

- يا ختي آاه كان زمان.. ودلوقتي بقى أهوة زينا وزى الفل.

ضحكت أخري: أهو الكلمتين الللي اتعلمهم نفعوه أهو، وكتب
للسنيورة.. كأنه كان بيهرب ويتعلم علشان يكتبلها الكلمتين دول النهاردة!!
لم تعلق «ياسمين» على أي من هذه الحوارات، ولكنها كانت تستمتع
بكل كلمة تقال وكأنها تقرأ رواية أخري لنجيب محفوظ عن زمن آخر،
ولم كان آخر، وأناس آخرين تشبه الحرافيش. وما إن انصرفت النسوة
أخذت «ياسمين» تحرك ساقها الواحدة تلو الأخرى نحو الشرفة
الضيقة والتي لا تكاد تتسع لجسدها النحيل، لتطل على الشارع وعلى
بيت الجيران الذي ذهب إليه «صلاح» لبيت فيه.

البيت المجاور لا هو بيت، ولا عشة، ولا دوار. مجرد دور واحد
نصفه من الطوب الأحمر بدون أي دهانات، ونصفه الآخر من الصاج
للحماية من الشمس والمطر. البيت لا يحوي سوى غرفة واحدة، وصالة
ضيقة تتوسطها منضدة بلاستيك قديمة، وكريسيين بلاستيك أيضا

بحالة يرثى لها . وعلى الجانب يوجد حوض مياه وبوتاجاز مسطح ومستهلك . كل ذلك تستطيع أن تراه «ياسمين» من شقة صلاح بدون معاناة . ألفت بنظرها لتجد صلاح يجلس على المنضدة البلاستيك أمام صديقه يرتشفان الشاي ويتحدثان ويبدو أن النقاش قد احتدم بينهم .

لم ترد أن تظهر أنها تتصنت عليهم، فرجعت إلى سريرها لتستلقي فيه حتى يعود «صلاح» لتعرف منه الخطة، وتطلب منه أن يساعدها في العودة إلى بيت الأسرة . استلقت على السرير، وأخذت تتصفح الرواية التي تركها صلاح . استغربت جدا من عنوان الرواية «رومانسية للبيع» فكيف لشاب غير متعلم مثل صلاح، ويعمل عتالا وفي هذا الوسط الشعبي جدا أن يقرأ رواية بهذا العنوان الرومانسي!

أدهشها كثيرا عنوان الرواية، وأخذت تقرأ الفصول الأولى، عليها تجد شخصية «صلاح» قابعة بين سطور هذه الرواية .



obseikan.com

الفصل الرابع

« لماذا نصنع لكل موقف كلماته وعاداته ومنطقه ومفرداته؟ لماذا لا نتصرف بعضوية؟! نحب بعضوية؟! تأتي بعضوية؟! نرحل بعضوية؟! ».

وهو يرتشف الشاي ببطء وكأنه يستمتع بكل قطرة فيه، أو كأنه وجد ملاذَه هذا الصباح في كوب الشاي هذا، سأل «محمود» صلاح وقد رفع حاجبه واستتكر: يا بني حكاية غريبة وأول مرة تحصل في المنطقة.. بس إيه إللي خلاك تعمل كده وتاخذها عندك في البيت؟!

- واللّه يا أخي أنا ما عرفش ،بس كنت هاودبها فين وهي في الحالة دي، وما حدش معاها ومعرفش عنها حاجة ومتبهدة جروح؟
- عموما إنت عملت إللي عليك يا صاحبي.. بس لازم تنهي الموضوع ده؛ لأنه ممكن يشغلك عن شغلك الللي بتاكل منه. أنا يا صلاح بصراحة خايف عليك.

- خايف عليّ من إيه يا محمود؟! احنا من إمتى بنخاف، أو نعرف طعم الخوف ولو من العفريت الأزرق، ده إحنا إللي نخوف بلد. فهمني بقى خايف عليّ من إيه؟! وبعدين يا أخي بدل ماتتفلسف كده ما تبقى تصلح الكرسي المكسر بتاعك ده. أنا قاعد عليه وكأني راكب مرجيحة.

نهض «محمود» من على كرسیه، ووضع رجله الیمنی علیه متحصصا وجه صلاح: إنت اتعصبت واضایقت لیه یا صاحبی، هو أنا باقوللك انت خایف، أنا بقول خایف علیک.. وبعیدین یا سیدی ما الکرسی زی الفل أهو وشغال یعنی. وصاح محمود وهو یضحک: وبعیدین یا سیدی وإیه یعنی لما تتمرجح علیه، هو إنت تطول تتمرجح. ویاسیدی أهی فرصة علشان تتعود علی مرجیحة الحیاة اللی عمالة تمرجحنا من غیر ما تسألنا لحد ما توقعنا. علی الأقل الکرسی مش ها یوقعک.

- لا لا یا محمود إنت النهاردة مش طیبعی! إنت بقیة فیلسوف کبیر، וכده هاتروح فی داهیه، شکلک کده اتعدیت من الناس التانیة إلیی بتشتغل عندهم وبقیت زیهم. عموما یا سیدی ماتخفش علی أخوک أنا تمام التمام وماحدش یقدر یخوفنی.

- یابنی یخوفک إیه بس! أنا خایف علیک من الحب یا أهبل.. خایف علیک تكون حبیت البنة إلیی ویدیها عندک البیت، أنا شامم من کلامک کده، وبعیدین إنت نسیت إنک اتمردت علی الحیاة هنا لما كنت صغیر وقد إیه أبوک -اللہ یرحمه- کان بیضربک لما كنت بتروح تتعلم من وراه بدل ما تسرح فی الشارع وتجبیله فلوس.. إنت نسیت إنک كنت عایز تتعلم وتخیب وتطلع دکتور! نسیت إنک كنت بتشتري روايات مستعملة وتقرأها من ورا أبوک وأنا إلیی كنت بداری علیک لما كنت بتخبیها عندی وقت الزنقة مع أبوک مع إنی ماعرفش إیه اللی فیها؟! أكید بقی إنت انبسطت لما حصلت الحادثة علشان تطلع اللی جواک فی واحدة مضروبة بالعریبة بدل

ما كنت سيبتها ورحت شغلك أو كنت استفتت من الموضوع بأي
سبوبة على الماشي. عرفت ليه بقى أنا خايف عليك؟

نهض صلاح من على الكرسي متجها نحو محمود، وضحك ضحكة
كبيرة امتلاً بها المكان المتهالك: يابن الإيه يا محمود كل ده طلعته
وفسرتة من اللي حصل! أنا يابني صحيح عملت كده وأنا صغير.. ولكن
كل ده كان زمان وانتهى وكانت خيابة مني وتبت ورجعت وبقيت زيكم
في كل حاجة. وبعدين ما انت شايفني أهه مجرد عتال أشيل وأحط
وماحيلتيش اللضى. أنا بس اهتميت بيها لأن شكلها بنت ناس وخفت
عليها لأنها كانت مش دارية بحاجة. إنما حب إيه يا ريس؟ أنا لما أحب
أكيد هاتبقى بنت من هنا، من المنطقة عارفة طباعنا وعاداتنا وعلى
قد حالنا. وبعدين مين عارف يمكن أطلع بسبوبة من ورا الموضوع ده.
واستطرد صلاح بابتسامة خيثة: وساعتها مش هانساك يا صاحبي.

- طيب ياللا يا صلاح، روح شوف ها تعمل إيه وأنا هاروح أدور على
رزقي لأن العملية بقت صعبة والمرة بقالها أسبوع قاعده في البيت
من غير شغل.. بس خلص الموضوع ده النهاردة وخليها تروح حتى
ولو العربية بتاعتها اتكسرت، خليها هنا واحنا نبيعها حته حته.
يا اللا أنا لازم أمشي أحسن جالي تليفون من واحد من الكبار
حبيبي، وماقدرش ماردرش عليه.

- طيب يا محمود أنا هامشي وأشوفك بعدين لما ترجع، بس مين ده
اللي بيطلبك وحببيك قوي كده؟

- واللّهُ هو واحد ثقيل إنت ماتعرفوش، راجل مبسوط وعنده فلوس وعمارات وفيللا حلوة ومصنع باشتغل فيه أحيانا وهو بيراضييني في أي وقت أحتاج فيه فلوس، علشان كده ممكن أعمل أي حاجة يسألني عليها، ماقدرش أأخرله طلب أبدا.

- طيب يا سيدي يا بختك بيه، رد عليه وأنا هاروح أشوف أخبار ياسمين إيه وبعدين أروح الشغل.

ومع استمرار رنين التليفون رد محمود: حاضر حاضر تحت أمرك ياباشا، هاجيلك حالا بس هدي نفسك، إن شاء الله الأمور تبقى تمام.

- انا ماشي يا صلاح لأن الموضوع باين عليه كبير والراجل محتاجني. سلام يا صاحبي.

- سلام يا محمود وابقى طمني.



سمعت «ياسمين» نقرا على الباب. تعجبت كثيرا؛ فلم يستأذن أحد للدخول عليها منذ أن فاقت من نومها، فالكل يدخل بدون إذن! «اتفضل يا صلاح». قالتها ياسمين وهي ما زالت على السرير.

- صباح الخير عليك، بس عرفت منين بقى إني إللي بخبط على الباب؟

- يا صلاح ما فيش حد هنا بيستأذن لما بيدخل خالص! جالي الصبح الستات ودخلوا عليّ كده عادي وكنت محروجة منهم.. بس هما طيبين جدا ويشكروا إنهم سألوا عليّ.
- واللّه هما طيبين جدا بس على طريقتهم.. وموضوع الاستئذان ده بالذات مش موجود هنا خالص؛ لأن الكل مؤمن بأن كل بيت في المنطق بتاعه وكل الناس اللي هنا إخوات وأصحاب وقرايب وعلى كده كلنا بنصرف على هذا الأساس، فما تخليش الموضوع ده يضايقك لأنه عادة.
- أبدا ياصلاح، أنا بس استغريت، وإيه كل إللي في إيدك ده؟
- ده الفطار كده على قد ما أقسم.. حزمة جرجير وعيش وطبق فول وطبق طعمية ومخلل.
- بس أنا ماليش نفس يا صلاح، ولسة حاسة بألم في جسمي.
- علشان كده حضرتك لازم تاكلي. ثم نظر إلى وجهها مباشرة بابتسامة فيها رجولة الصباح: وأهي فرصة تجربي أكلنا ويبقى عيش وملح.
- طيب ممكن أغسل إيديا، وبعدين ياريت بلاش حضرتك دي، خالينا كده صحاب واخوات.
- لأ، المقامات محفوظة، وبعدين أنا ما عملتش حاجة، ده الواجب إللي كنت هاعمله مع أي حد زي حضرتك، واضح إنك بنت ناس

ومش وش بهدلة. وبعدين إنت نستيني، حمد الله على السلامة أنا شايحك أفضل من امبارح بكتير، إن شاء الله تكوني زي الفل على آخر النهار.

- شكرا يا صلاح، بس أنا لازم أمشي، ده زمان بابا وماما قلبين عليا الدنيا وأنا ما تصلتش بيهم.

- عموما نظر بس الأول وأنا هاعملك إللي إنت عايزاه. خليك مكانك وأنا هاجيبلك شوية مية تغسلي بيهم إيديك.. على السرير هنا أفضل.

أحضر «صلاح» شفشقا، وملأه بالمياه، وأحضر معه وعاء بلاستيك يحتفظ به تحت الحوض وبه بواقي قطعة صابون. وضع الإناء على السرير تحت يديها، وصب عليها الماء رويدا رويدا حتى غسلت يديها على مهل.

ومع استغراب «ياسمين» إلا أنها أكننت بداخلها شعورا بالاستمتاع غير العادي بما يفعله معها صلاح والطريقة الجديدة لغسل يديها والتي لم تجربها من قبل، وشاهدتها فقط في أفلام السينما. شعرت وأنها ملكة متوجة على عرش الاهتمام الذكوري الذي يجعل من الرجولة شهامة تمشي على الأرض واهتماما يتحرك بين يديها ومن أجلها، وأفعالا تحدث ولا تتكلم، وإن تكلمت تعبر ببساطة بلا تذويق في الكلام.

تعجبت وتمنت في نفسها، لماذا لا يكون كل الناس مهما كانت مقاماتهم بسطاء هكذا، لماذا نعقد الأمور والمواقف ونصنع لكل موقف

كلماته وعاداته ومنطقه ومفرداته، لماذا لا نتصرف بعفوية مثل هؤلاء الناس البسطاء، نحب بعفوية ونكره بعفوية ونهتم بعفوية ونأتي بعفوية ونرحل بعفوية؟! صحيح أن الحياة خلقت بنظام وبجمال وأناقة وروعة تزين كل مخلوقات الله، ولكنها أيضا تعتمد على قانون البساطة، ليتنا مثل هؤلاء الناس في بساطتهم وعفويتهم في أمور حياتنا وعلاقتنا.

- إيه روحت فين حضرتك، واضح إنك سرحتِ وانت بتغسلي إيديك. ثم أضاف مبتسما: وبعدين الميا خلصت وبصراحة مرضتش أسحب الشفشفق وامشي لأنك كنت لسه مادة إيديك ، يا ترى فيه إيه؟

- ولا حاجة، ما تشغلش بالك، أنا بس عاجباني البساطة في التعامل هنا قوي مع إني مش عاجبني بساطة البيوت بصراحة. أنا مش عارفة هل البساطة في العلاقات الإنسانية مرتبطة بالبساطة في الأشياء؟ أم أن البساطة هي فطرة أم تربية أم عادة مكتسبة؟ هل ممكن تجتمع البساطة مع فخامة الأشياء. ده سؤال كبير مافكرتش فيه قبل النهاردة، ولكنه سؤال مهم جدا ياريت أقدر أجاب عليه في بحث إجتماعي.

- هو حضرتك باحثة إجتماعية ولا إيه؟ وبضحكة عالية من القلب والعقل علق صلاح: عموما احنا أحسن ناس تعملي عليهم بحث إجتماعي، بس صعب إنك تعمليه إللا في حماية حد من المنطقة.

ابتسمت «ياسمين» وهي تحاول أن تنهض من على السرير تجاه المنضدة الخشب وسط الغرفة، ولكن «صلاح» أصر أن تبقى في السرير، وسيقوم هو بعمل سفرة بالجرانين توضع عليه؛ حتى لا تبرح مكانها خاصة أن عبايتها قصيرة وشفافة. وبسرعة افترش «صلاح» الجرائد، وجهاز الفول والطعمبة والعيش والجرجير والبصل والمخلل، فبدأ شكل السفرة الورقية بمنظر رائع أمام ياسمين، خاصة مع سقوط أشعة الشمس بدلال من الشباك الوحيد على السفرة لتعكسها أقراص الطعمية الكبيرة.

ومع أنها لم يكن لديها شهية للأكل نهائيا، فقد فتح منظر الأكل والحديث شهيتها، خاصة أن ما يحدث الآن هو بالنسبة إليها إفطار فلكلوري يجب أن تستمتع بكل لحظة فيه، فقد شاءت الظروف أن تعيش هذه اللحظات الفريدة بنفسها وكأنها تمثل فيلما صنع القدر أحداثه وطلب منها أن تكون البطلة الوحيدة فيه.

- هو ده فطورك كل يوم يا صلاح؟ وبتجيبه مين؟ وبيكلفك كام؟
ومين بيفطر معاك؟

- تقريبا هو ده الفطار اليومي بتاعي، وتقريبا ماعرفش أكل غيره؛
لأنني اتعودت عليه..؟

- والله أنا مش بافطر كثير لأنني عاملة ريجيم، وهابقي
أحكملك بعدين على موضوع أكلي ده، المهم بقى قوللي رأيك إيه
في موضوع البساطة ده.. وارتباطه مع بساطة أو فخامة الأشياء؟

على فكرة الطعمية تجنن خاصة مع المخلل والبصل. وبضحكة
خجولة أردفت قائلة: كده الريجيم هاييوظ..

- بس قولي يا صلاح، إيه حكاية عندنا وبرة دي؟! أنا سمعتها كثير
منك ومن الستات اللي جم زاروني الصبح. أنا حاسة كده إنك
بتتكلم على جزيرة أو بلد جوه بلد، يعني تقصد إيه بكلمة الناس
إللي برة؟ احنا كلنا مصريين وهنا في محافظة واحدة ومدينة
واحدة، مش فاهمة حاجة. أول مرة أسمع الكلام ده!

- طيب بس نكمل الفطار وبعدين نعمل كوياتين شاي وهاجاوبلك
على سؤال البساطة وسؤال الناس إللي برة.. اتفقنا؟

- اتفقنا ياسيدي، عموما أنا خلاص قربت أشبع ده أنا أكلت كثير
جدا وربنا يستر بقى عليا.. أخرج من حادثة أدخل في مغص.
ضحك «صلاح» على ضحكة ياسمين: ماتلقيش حضرتك..
البصل والجرجير هايقوموا باللازم، إمال احنا بناكلهم ليه، طمعهم
حلو ورخاص وكمان فيهم الشفا.

- ماشي يا سيدي، كمل إنت فطارك وأنا هاقوم على مهلي أغسل
إيدي على الحوض.

انتقل صلاح إلى الصلاة يحضر الشاي وهو في قمة السعادة،
ودندن بأغنيته المفضلة «يا عيني على الصبر يا عيني عليه» لوديع
الصايفي، وجلس على كرسي أمام المنضدة، ونظف الكرسي الثاني
لتجلس عليه ياسمين.

أقبلت ياسمين في العباءة التي غطت جسمها، ولم يبدو منه شيء سوى يديها ووجهها وعنقها وقدميها، ولما رأت نفسها في قطعة المرآة أعلى الحوض بدت وكأنها شخص آخر، أو كأنها في حفلة تنكرية. جلست على الكرسي المقابل لصلاح، وبدأت في احتساء الشاي الدافئ الذي كانت تحتاجه جدا عوضا عن النيسكافية الذي تعودت أن تشربه كل صباح قبل ذهابها للكلية.

- منتطرة إجابتك على السؤالين بتوعي زي ما وعدتني.
- حاضر طبعا، بس برضه ياريت تجاوبيلي على سؤال شاغلني، مع إن البنطلون ضيق والقميص بيحدد الجسم وانتوا بتخرجوا فيهم في الشارع، ليه العباية الشفافة اعتبرتتها عيب وطلبتني تلبسي القميص والبنطلون تحتها قبل ما تقعدني معايا؟
- والله يا صلاح عندك حق، بس السؤال ده مشترك، ليه الستات هنا بيلبسوا عبايات شفافة وحتى قدام الرجالة كده عادي ولما بيخرجوا بيلبسوا عباية تانية زي اللي أنا لابساها دلوقتي. نفس المنطق اللي ورا سؤالك. جاوب بقى انت على الثلاث أسئلة يا بطل.
- ضحك صلاح بدلال مصطنع: حاضر يا فندم نجاب وأهي فرصة أشغل مخي اللي واقف من زمان بطريقة مختلفة.



الفصل الخامس

«إنه القدر الذي يسوق الناس في لمح البصر إلي أحداث ومواقف وأناس لم تخطر لهم علي بال، إنه القدر الذي يريده الله لسبب ما علمناه أو جهلناه»

وما إن سمع صوت جرس الباب الخارجي للفيلا حتى هرول «شوقي» بك ليفتح لمحمود الذي أتى على التو بعد اتصال شوقي بك به منذ قليل.

- حضرتك قلقتني، أول مرة أسمع صوتك ملهوف كده. خير إيه إللي حصل؟! رقبتي سداة، أو أمرنى بس وأنا أنفذ، ده جمایل حضرتك مغرقاني.

- شوف يا محمود. إنت عارف إنني عمري ما طلبت منك حاجة قبل كده، وعمري ما فكرت أطلب حاجة بس أنا محتاج مساعدتك دلوقتي وعاييز أشوف هاتعمل إيه.

- يا خبير، طلبات حضرتك أوامر، حضرتك عارف معزتك عندي قد إيه بخلاف كل رجال الأعمال التانيين إللي اشتغلت معاهم قبل كده أو باشتغل معاهم دلوقتي. قولني فيه إيه.. حد اتعدى عليك؟ أو نصب عليك؟ أو خلي بيك؟ قولني وأنا أجيبلك حقك من غير ولا كلمة.

- لا أبدا، ما فيش حد عمل كده بس بنتي الوحيدة المعيدة في كلية الآداب ماجاتش البيت من امبارح المغرب.. وأنا وماماتها هنموت من القلق، خاصة إننا سألنا في المستشفيات، وما فيش أي معلومات. ففاضل أقسام الشرطة وعندكم. وطبعا أكيد مش هناك في الأقسام مع أني ماسألتش لسه، لأن لو كانت هناك كانوا اتصلوا عليّ وقالولي، ما أنت عارف علاقتي الكويسة بيهم. اللي جاء في بالي أنا وماماتها إنه يكون حد خاطفها علشان يطلب دية، ففكرت فيك على طول؛ لأنني ماعنديش أي معلومات عن المجموعات اللي بتعمل كده.. وبعدين مش عايز البوليس يعرف.. قلت إيه يا محمود؟ هو ده الموضوع السري والمهم اللي عايزك فيه.
- بس إيه اللي مخلي حضرتك متأكد كده من إنها اتخطفت؟ مش يمكن مع خطيبتها أو عند حد من قراييها أو صحابها وراحت عليها نومة، أو لا قدر الله عملت حادثة؟ صعبة قوي موضوع الخطف ده يا شوقي بك.
- أولا احنا اتصلنا بكل أصدقائها، وكل قرابيننا، وما فيش خبر إنها راحت هناك امبارح. ثانيا لو كانت لا قدر الله عملت حادثة كنا هانعرف أكيد إما من المستشفى أو من الشرطة. فالاحتمال الوحيد إنها مخطوفة علشان دية.
- بس لو كان كده كان حد اتصل عليكم علشان يطلب الدية.

- يا محمود إल्ली عاييز الدية، أكيد هايستتي شوية علشان يعرف هانعمل إيه.. وكمان علشان نقلق أكثر فنوافق على طول. وعموما ماحدش اتصل، ومين عارف يمكن «داليا» -وكان هذا اسمها بالإضافة إلى ما اشتهرت به- رمت التليفون علشان مايعرفوش رقمنا ويتصلوا، أنا عارف بنتي.. عنديّة.

- عموما، أنا تحت أمر حضرتك، هاشوف الموضوع ده النهاردة وهارجعلك. بس ممكن أعرف حضرتك فكرت فيّ ليه؟ مش معنى أنا بالذات؟!

- واللّه يا محمود ومن غير زعل.. إنت عارف إن المنطقة عندكم فيها بعض الناس إल्ली بيعملوا كده، أو على الأقل يعرفوا مين بيعمل كده.. وفوق كل ده البوليس مايبدخلش المكان عندكم بسهولة خوفا من التراشقات. ممكن أكون غلطان ولكن ده إल्ली سمعته وعلشان كده قلت لازم أعتمد عليك سواء الكلام ده مطبوط أو لأ. البنّت لازم ترجع النهاردة تحت أي ظرف. قلت إيه يا محمود؟

- واللّه في جزء من كلام حضرتك صح يا شوقي بيه.. عموما أنا هاسيب حضرتك علشان أعمل كل إल्ली أقدر عليه.. الدكتور داليا فيّ عينينا من جوّه وإن شاء اللّه تظمن عليها النهاردة. بس ممكن أعرف هي كانت لابسة إيه وكانت رايحة فين وراكبه إيه؟

- أعتقد أنها كانت لابسة بنطلون جينز وقميص أبيض طويل، وراكبه عربية سكودا لونها سماوي، والمفروض إنها كانت هاتقابل

خطيبها . بس أنا اتصلت بيه وقال ما عرفش عنها حاجة لأنهم انفصلوا .

- ده معناه إن خطيبها أكيد له علاقة بالموضوع .. سواء هو نفسه أو بسببه . عموما ياريت آخذ تليفونه وعنوانه أهه برضه يبقى معانا تحسبا .

- بلاش يا محمود، أنا مش عايز شوشرة .. أنا عايزك تعرف هي فين من غير حد ما يعرف خالص ولا حتى زوجتي، وأنا ماليش بركة إلا إنت .

- حاضر يافندم، إن شاء الله خير، وخيرك سابق يا باشا، ده واجب عليّ المرة دي .



اقتربت الساعة من العاشرة، وما زالت الشمس ساطعة بأشعتها المغرية للنزول إلى الشارع، والاستحمام بهذه الأشعة التي تملأ المنطقة مجانا وبدون أي رسوم. تمنيت «ياسمين» أن تنزل لتأخذ هذا الحمام الشمسي وسط السيدات أمام البيوت، ولكنها ما زالت تعاني من بعض الآلام التي تخشى أن تكون بسبب كسر أو تهتك ولذلك فهي تتحرك ببطء شديد .

ومع أن ياسمين تستطيع أن تتصل بأسرتها الآن على الأقل لتطمأنهم عليها من خلال أي تليفون مع صلاح، أو أي شخص آخر بالمنطقة، إلا أنها أرادت -وعن عمد- أن تؤجل هذا الاتصال لأنها تعلم

تماما أن والدها سوف يأتي، أو يرسل أسطولا من السيارات ليأخذها من هذا المكان على الفور، فمؤكد أنه يعرفه أو على الأقل يسمع عنه. وهي لا تريد أن تترك هذا المكان الآن لشغفها بمعرفة كل شيء عن المنطقة، من ناس وبنائيات وثقافة وعادات. ومن ناحية أخرى تخشى على والدها الذي قد يأتي ومعه قوة من الشرطة، أو رجال من شركائه فيحدث ما لا يحمد عقباه.

ولذلك أرادت «ياسمين» تأجيل هذا الاتصال على الأقل إلى المغرب، وفي الوقت نفسه فتلك فرصة للاستمتاع بشعور خوف أسرتها عليها، الإحساس الذي بدأ يتسلل بداخلها هي الأخرى، وهو الشعور بالاشتياق إلى الأسرة، ودفء سريرها الذي تعودت عليه. ولكنها قررت أن تتحمل تحت إغراء هذا المكان الثري الذي لو عُرض عليها لتزوره من قبل لرفضت رفضا باتا مهما كانت المغريات، لكنها هنا وترتدي عباية منه، وتنام على سرير أحد منه، وتتحدث إلى أناس منه، وتتمنى أن تأخذ حماما شمسيا فيه، ولا تستطيع!

إنه القدر الذي يسوق الناس في لمح البصر إلى أحداث ومواقف وأناس لم تخطر لهم على بال، إنه القدر الذي يريده الله لسبب ما علمناه أو جهلناه. وإذا حدث ونفذ القدر فيجب الاستفادة المطلقة من كل لحظة فيه احتراما وتقديرا للقدر.

طرأت كل هذه الأفكار برأس «ياسمين» وهي تجلس أمام «صلاح» تنتظر منه أن يجيب على أسئلتها الثلاثة. تمنت منه أكثر من ذلك، تمنت أن تعطيه تسجيلا ليقص على نفسه ما يريد أن يحكيه منذ

الطفولة حتى الآن. ماذا كان يريد وهو طفل، وماذا يريد الآن. مؤكداً هناك صراعات كبرى في عقله تريد أن تفجرها في هذه اللحظة التاريخية والتي تشك أن تتكرر. ولكنها أشفقت عليه ولا تتمنى الآن سوى رده على أسئلتها الثلاثة، حتى لا تشعر بالذنب تجاهه لتفجيرها رغباته التي من المؤكد أنها هدأت منذ ماضٍ بعيد.

نظرت إليه نظرة أم حنون، أو أخت عطوف، ولم تشأ أن تفيقه من حالة السرحان التي حلت عليه دون سابق إنذار، تركته حتى يفيق، وفرصة تتأمل ملامحه التي تقطعها خطوط الطول والعرض -علامات الشقاء- في يديه وشفتيه وأنامله، وكل نقطة في ملامحه التي تسكنها طيبة لا يدركها إلا من يدقق النظر فيها ويتأملها في لحظة صفاء واسترخاء وسرحان دون أن يدري كالآن. تمنت لو معها فرشاة لترسمه وهو يتيه في مكان آخر وزمن آخر لا تعرفه. ولكنها رسمته بعينيها ومشاعرها كإنسانة.



الشارع ضيق لا يزيد اتساعه عن ستة أمتار، مثله مثل العديد من الشوارع بالأحياء الأخرى بالمدينة، إلا أن الرصيف فيه يكاد يكون منتهياً تماماً مع وجود الكثير من الحفر، وأكوام القمامة هنا وهناك. هذا الحي الفريد به أكثر من شارع وكلها متشابهة، فالبنائيات لا تزيد عن دور، ومعظمها مساحته ضيقة، ومتهاككة، وأهل المنطقة يعرفون بعضهم حق المعرفة لدرجة أنه لو مشي غريب في الشارع ولو

حتى بنفس الملابس التي يرتديها أهل المنطقة فسوف يتم التعرف عليه فوراً، وفي غالب الأحيان يتم التعامل معه بشك وريبة ويعنف ظناً فيه أن يكون مخبراً يعمل لحساب البوليس.

حي يمكن اعتباره «منطقة مغلقة» تماماً عكس «المنطقة الحرة». عالم أناسه يتحركون بسهولة داخله وخارجه ولكن لا يسمح بالآخرين بدخوله، والتحرك فيه. عالم معزول ليس بسور أو سياج ولكن بثقافته وعاداته وتقاليده وفقره المدقع. عالم يؤمن بأفكار خاصة به، ويقلل أو ينكر أفكار الآخرين، بل قد يصل الأمر بترك الأساسيات الدينية مثل الصلاة والصيام بمنطق قد تتعاطف معه أو على الأقل يصدملك، ليس بسبب ترك أو معارضة هذه الأساسيات ولكن بسبب الصدمة الفكرية التي لم تتوارد مفرداتها على العقل من قبل.

إنه بالفعل عالم غريب له خصائصه وطباعه وعاداته التي تجعل من الصعب زيارته إلا إذا كان الزائر في معية أحد سكانه حتى لا يتعرض للأذى. عالم فيه السيدات هن من يقمن بالعمل خارج المنطقة، عادة في البيوت أو المحلات أو في الشوارع بجد واجتهاد، ليعودن إلى البيت بطلبات المعيشة اليومية. وفي غالب الأحيان يبقى الرجل في البيت بلا عمل، أو في أحسن الحالات عملاً بسيطاً يتكسب منه بعض الجنيهاً التي لا تغني ولا تثمن من جوع. ومع أن السيدة هي المصدر المالي للبيت في كثير من البيوت إلا أن إهانتها وضربها من زوجها أمر مألوف لا يتطلب ترك البيت أو هجر الزوج! مجتمع عاداته فوق القانون وثقافته فوق اللزوميات.

بالفعل قد يكون مجتمعا سياحيا من الدرجة الأولى لأهل المدينة لو أتاحوا الدخول. عالم يمشي فيه الفقر في الشوارع وفي البيوت، فقر جعل أهله يشكلون عالمهم الفكري الخاص بهم. فلا تسأل هناك عن التعليم، ولا تتفخر بأنك دكتور أو مهندس أو أستاذ، فأنت في نظر أهل هذا الحي مسكين ضحية، وقد انحرفت عن المسار الطبيعي. عالم ترى فيه الصراحة بكل معانيها، وترى فيه الرجولة بكل معانيها.

وعلى العكس تماما تجد فيه العنف بكل قوته، ولا أحد يستطيع التعليق أو الشكوى. عالم نصف أطفاله أطفال شوارع ولكن معروف في النسب، الشارع هو مكان عملهم ومهنتهم المحببة. يعملون جنبا إلى جنب مع الأطفال مجهولي النسب، ولكنهم ما زالوا محظوظين بالعودة إلى بيوتهم آخر الليل، أو النهار للنوم بين أربعة جدران، وليس في الشارع. عالم هو جزء من جسد المجتمع هنا في هذه المدينة ولكنه جزء مصاب بفقر الدم والغذاء.

بالطبع يعلم «صلاح» كل هذا عن حيه ويعلم أنه جزء من نسيج هذا الحي الذي لا يستطيع هجره، فهو جزء منه ذاب في كل خلية في جسده وعلم عليها. و«ياسمين» لا تعلم أي شيء عن هذا الحي سوى صلاح وبعض النسوة اللاتي جئن لزيارتها أمس واليوم. لا تعرف عنه خصائصه ولا مفرداته ولا عاداته ولا ثقافته.

ومع أنها معيدة في قسم الاجتماع، وتدرس الدكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، إلا أنها لم تسمع عنه من قبل. لو علمت تلك المعلومات عن هذا الحي لأصيبت بدهشة وصدمة ولاختارته -بسبب

جراتها- موضوعا لدراسة الدكتوراة. يا ترى ماذا عساها أن تفعل لو انكشف لها الأمر بكل أسرارها؟ وماذا يفعل «صلاح» إزاء الإجابة على أسئلة ياسمين الثلاثة التي قذفتها في وجهه كالطقات المدوية دون أن تدري. هل يخبرها بالحقيقة المطلقة عن أسرار الحي أم يخفي عنها ما قد يغير من نظرتها تجاه أهل هذا الحي وبالطبع تجاهه؟

مرت الدقائق على «صلاح» وهو يستعد للجواب على أسئلة ياسمين الثلاثة كالدهر، اختبار كبير وضعته فيه، وهو الذي لم يدخل امتحانا من قبل. يا ترى هل يكون صريحا ودقيقا في كل إجاباته أم يخفي بعضها. ولماذا يخفي بعضها؟ ولماذا لا يكون صريحا كعادته؟ ماذا يقول صلاح لياسمين عن عالم تجد فيه السيدات والرجال يتقلون من بيت إلى بيت في حرية تامة.

مجتمع فيه الحرية حقيقية ولها منطقها وفلسفتها، ولكنها حرية ملازمة للمكان لتختفي تماما إذا انتقل أحدهم خارج المكان. عالم يعتبر كل فرد فيه هو الآخر، يعتبر الآخر فردا من الأهل ومن العيلة فلا هناك حدود للبس ولا للبيوت ولا لاستعارة الأشياء وبدون إذن. عالم خلافاته قد تبدوا للآخرين تافهة ولكن لأهل الحي هي كبيرة من الكبائر.

أه يا ياسمين، إنه عالم «كأندييه» الذي لا يعرف أحد السبب وراء ده كان ليه، من خلق هذا الحي، من يعضد وجود هذا الحي، من لا يقدر على هذا الحي، من فشل في نهضة هذا الحي، من في مصلحته بقاء هذا الحي، لا أحد يعلم ده كان ليه. ولكنه ما زال عالما مثاليا في

التبحر فيه، وفهم فلسفته للوصول إلى متناقضات الحياة التي تفرض على الناس خلق عالمهم الخاص بهم بغض النظر عن رؤية الآخرين ورؤية الدولة.

عالم يعج بأناس يلعبون أدوارا مهمة في المجتمع، أدوارا لا يمكن أن يقوم بها غيرهم. ويظل السؤال هل هذا الحي قابل للتغيير؟ هل أناسه قابلون للتحرر منه مقابل مزايا جديدة أم أصبح السكن فيه والانتماء إليه أكبر من كل الإغراءات؟ ليتني أعرف الإجابة على كل هذه الأسئلة لأخبر بها ياسمين.

لا أدري ما الذي أتى بها هنا لأنقذها من موت محقق، لماذا أتت لتقلب عليّ مواجع الزمن الماضي، زمن الطفولة التي كنت أبحث فيه عن صلاح الذي نسي نفسه مع الزمن وأصبح يحتاج للإصلاح. من يدري، فلو كنت أكملت تعليمي لكنت قابلتها هناك بعيدا عن كاندليه، وتزامننا في البحث الاجتماعي الذي كنت أعشقه. مفارقات غريبة في الحياة لعل الله يريد بث رائحة الحياة فينا ولو لبضع ساعات.

لماذا أخشى أن أطلع ياسمين على كل هذه الحقائق وأنا الذي يهابه الناس.

لماذا أضع نفسي في كل هذا التفكير، فهي مجرد عابر سبيل قمت بضيافته على أكمل وجه حتى ترحل مع سيارتها الفارهة التي تدل على أنها من أسرة عريقة، والتي من المؤكد سوف تنهرها عندما تعرف أنها قد تاهت وضلت سبيلها، واقتربت من هذا المكان قبل أن تصطدم بعامود الإنارة.

لماذا أحمل نفسي أكثر من طاقتها لأزين الإجابات مع أنها راحلة
لتترك هنا للأبد، ولن تتذكر حتى اسمي أو شكلي. إذن فلا أخبرها
بالحقيقة بلا خجل. إذا كان عهدي الصراحة -التي تعودت عليها-
فلتكن هي عنوان إجاباتي على تساؤلاتها الثلاثة. وفي المقابل سوف
أسألها هي أيضا أسئلة موجهة لترد هي بدورها وبكل صراحة.

دارت كل هذا الأفكار في العقل الباطن لصالح وهو يجلس وجها
لوجه أمام ياسمين التي ظلت تنظر إليه حتى أفاق من غيبوبة الفكر
هذه ليجدها تنظر إليه وعلى شفيتها ابتسامة كلها فرحة وثقة في
صراحته ورجولته الممزوجة ببعض الخجل.

قالت ضاحكة: إيه يا بو صلاح.. روحت فين؟ كل ده تفكير في إجابات
الأسئلة؟! هي صعبة قوي كده.. ولا كنت سارحان في حاجة وأنا معاك؟

- لا أبدا، أنا بس تفكيري خدني لقطار ينطلق في اتجاه الماضي،
وفجأة لقيتني في الحاضر وكأن القطار انقلب أو تركني هناك
وحيدا فقررت العودة إلى لحاضر مهما كانت صعوبته.

- حلوة قوي يا صلاح تخيل القطار في اتجاه الماضي، واضح إن
عندك ميول أدبية وخيال حلو كثير.. تفكر لو توفر قطار الماضي
ومعاك ركابه مش لوحده كنت هاتستني في الماضي ولا هاتنتط من
القطر وترجع مشي إلى لحاضر؟

- ياااااه سؤال كبير قوي يا ياسمين، سوري والله أقصد يا أنسة
ياسمين.

- ياسيدي أنا قتلتك مش بحب الرسميات.. جاوب بس على سؤالي..
انت شاكلك كده مش بتحب تجاوب على الأسئلة بتاعتي، ده رابع
سؤال تهرب منه. إيه الحكاية يا عم صلاح؟!

- أبدا والله مش هرهب خالص.. أنا هاجاوبلك على الأسئلة وهابتدي
بالسؤال الرابع عن قطار الماضي.

احتضن صلاح كوب الشاي الزجاجي الذي ما زال في يده وهو
فارغ! وكأنه يحتمي ببقايا دفتّه من وقع إجاباته على ياسمين، وشرع
في إجاباته، وياسمين كلها شغف لسماع هذا الشاب الذي يتنهد بعمق
العمر قبل أن يحرك شفاهه التي تبدو أكبر من عمره..

- قول بقى يا صلاح..



الفصل السادس

«فإذا كان مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» هو مبدأ ميكافيلي الغربي، فهذا المبدأ يمشي على الأرض هنا، ويتنفس بقناعته تامته، دون معرفة من اخترع هذا المبدأ ولماذا وأين...».

عاد «محمود» سريعا إلى الحي ليرتب أموره ومعلوماته واتصالاته ليحل مشكلة الفتاة المفقودة كما وعد شوقي بك هذا الصباح. اتصل تليفونيا بمن يعرفهم من أهل المنطقة، ومن لهم علاقات مع عصابات الخطف، وكذلك بمن يشك فيهم شخصا، وبمن سوف يساعده بطريق مباشر أو غير مباشر. وبالطبع لم ينس عنصر سيدات المنطقة بما لهن من علاقات مختلفة عن علاقات الرجال.

لم يجد محمود صعوبة بالغة في الاتصال، فهو يعرف معظمهم، والذين لا يعرفهم يعرفونه جيدا بسبب علاقاته مع كبار المدينة من أمثال «شوقي» بك وغيره من خلال خدمته لهم من وقت إلى آخر، وخاصة في انتخابات المحليات، ومجلس الشعب والشوري، مقابل مبلغ مالي كبير، وحماية أمنية.

ولم تمر الساعة المحددة التي حددها «محمود» حتى وصل الجميع إلى أحد بيوت المنطقة، والمجاور لبيت محمود، نظرا لكبر مساحته قليلا. شرح محمود الوضع للجميع وطلب مساعدتهم فورا. وزع الأدوار

عليهم، فمنهم من سوف يتجسس في أقسام البوليس دون الإفصاح عن مهمته، ومنهم من سوف يستقصي في المستشفيات الحكومية والخاصة، ومنهم من سوف يتواصل مباشرة مع مسئولى الخطف والنصب والإحتيال، ومنهم من سوف يتجسس على خطيبها.

أعطى محمود الإسم لكل فريق: د. داليسا شوقي الصفتي. هذا هو الإسم الذي أعطاه إياه شوقي بك، والذي نسي أن يعطي «محمودا» اسم الشهرة وهو ياسمين، وبهذا تكون فرصة التعرف على ياسمين في هذا الحي ضئيلة؛ لأنها لم تقدم نفسها لصالح بالإسم الرسمي بل باسم الشهرة، بالإضافة إلى أن البيت الذي تم فيه هذا الإجتماع يوجد في طرف الحي بعيدا عن بيت صلاح. وفوق كل ذلك فقد شدد صلاح على النسوة اللاتي زرن ياسمين مساء الأمس وصباح اليوم ألا ينشرن الخبر في الحي خوفا على سلامة ياسمين، والتزم النسوة بذلك فعلا.

أعطى «محمود» المجموعة ساعتين على الأكثر ليعودوا مرة أخرى، وفي المكان نفسه لإعطاء تقرير له قبل أن يتصل بشوقي بك. تمنى محمود أن يحصل على أي أخبار عن «داليسا» المفقودة، عله يطمئن بال «شوقي» بك ويهدئ من قلقه الذي كاد يعصف بعقله عندما رآه هذا الصباح.

دور محمود مع من ساعده لم يكن مبنيا أبدا على الأوامر منه، بل هي الطريقة المتبعة عندما يقع أهل المنطقة في مشكلة ما، أو يطلب من أحدهم أمر ما، فما على صاحب الأمر أيا كان الأمر وأيا كان

الشخص إلا أن يحدد من يريد منه المساعدة ويحدد البيت المطلوب الاجتماع فيه والوقت ليشرح الموقف، ويحدد الأدوار بنفسه حسب ما تستوجبه الأمور. وما على المجتمعين هنا إلا القيام بأدوارهم في تقديم يد العون والمساعدة بصدق وإخلاص منقطع النظير.

التفسير الوحيد لذلك هو مفهوم الرجولة -والرجولة هنا تعود على الرجال والسيدات والصبية والأطفال- التي تتطلب تقديم المساعدة بغض النظر عن من يطلب ولماذا يطلب/ وكذلك احتياج كل من في المنطقة إلى آخر وقت الشدة، فالكل محتاج، والكل -حتما ولا بد- سوف يحتاج إلى المساعدة في الزمن القريب أو البعيد. مجتمع فقير يعتمد على التكافل في الفقر، مجتمع ضعيف ويتحدى فقره بتماسكه واتحاده بفكر المظلوم دائما للاعتقاد الراسخ عند الجميع أن الكل مظلوم أمام كل العالم خارج هذا الحي.

وبقدر ما يشوب مبادئ وأفكار هذا المجتمع والتي تبدوا على عكس ما يرنوا ويسعى إليه المجتمع الآخر خارج هذا الحي، إلا أن هذا المجتمع بفكره وتقاليده هذه يمثل رمزا ومثالا لكيفية مواجهة الفقر ومعايشته، والتكيف معه بصدر رحب وراحة بال واقتناع وبلا شكوى. «محمود» وأقرانه وكل أهل المنطقة بمن فيهم صلاح المختلف قليلا عنهم منذ طفولته لا يعلمون عن هذه التحليلات شيئا، ولا يعنيههم كل هذا الفكر وكل هذا المقارنات، فكل ما يهمهم هو قوتهم اليومي، وما المطلوب عمله في أي مكان وبأي وسيلة لتحقيقه. فمقولة «الغاية تبرر الوسيلة» هي دستور هذا الحي العتيق، الدستور الذي يحمل في طياته

قنابل موقوتة، ورساصات مصوبة لمن يريد أن يغير هذا الدستور أيا كان شخصه أو كينونته.

فإذا كان مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» هو مبدأ ميكافيللي الغرب، فهذا المبدأ يمشي على الأرض ويتنفس، وينفذ يومياً داخل وخارج «كاندليه» بقناعة تامة دون معرفة من اخترع هذا المبدأ ولماذا وأين. مجتمع لا يعتمد على تنفيذ المبادئ والأفكار بل هو الذي يصنعها.



وفي الوقت المحدد وبعد ساعتين، حضر الجميع وتلقى «محمود» التقارير الشفوية من كل فريق والتي جاءت كلها سلبية للأسف الشديد. فأصيب بحالة من الحزن على رجل لم يبخل عليه يوماً، حزن مملوء بالغضب وقلة الحيلة، فهو الملاذ الذي استعان به «شوقي» بك ووضع فيه ثقته بعيداً عن الشرطة والرسميات.

يا ترى كيف يواجه «محمود» شوقي بك بهذه النتيجة؟ فلا هو ظهر كرجل منقذ، ولا رجل يعتمد عليه، ولا استطاع أن يقف بجانب الرجل الذي طالما ساعده في كل مواقف الشدة، فكيف له ألا يستطيع مساعدته في موقف واحد فقط. وكيف يفشل هذا المجتمع المعروف بقدرته على الإبتان بما لا يقدر عليه أحد خارجه!

صاح «محمود» في الجميع على غير عادته، وعلى غير عادة أهل الحي: أنا مش مصدق، ترجعوا لي بلا إحم ولا دستور! مش قادر أصدق إن رجالة وستات» كاندليه» مايعرفوش يجيبوا خبر بنت ضايعة

وهما اللي بيسرقوا الكحل من العين والعين من الكحل، وهما اللي دهنوا الهوا دوکوا، ويفهموا الهوا الطاير.. راح فين ده كله، هاقول للراجل اللي وثق فيّ وفي رجولتي إيه؟ أقوله معرفتش! ماقدرتش! سامحني.. معقول ما اقدرش أرد جمايله علينا ولو مرة. أعمل إيه دلوقتي؟ مش هاقدر أروح له إلا بخبر يريحه، لازم.. الراجل هاتجنن على بنته وأنا كمان بدأت أتجنن.. إزاي مانقدرش. أهى دي آخرتها البوليس بقى هو إللي يروح يجيب السنيورة.. واحنا نطلع ولا حاجة في الآخر. لازم يكون فيه حل دلوقتي.

جلس الجميع في حالة صمت وضيق من التقارير السلبية، وفي حالة تعاطف مع محمود وموقفه أمام الرجل. تحول جو الاجتماع -ولأول مرة- إلى مآتم وقلة حيلة يكرهها الجميع، وصعب قبولها بهذا الشكل، ولكن ما باليد حيلة. استمر هذا الصمت الرهيب لدقائق مرت على «محمود» كالدهر، غير مصدق للنتيجة.

استمر الصمت لهذا الجمع دون أن يستطيع أحد أن يكسره. الجمع الذي لو رآه أحد ما من خارج هذا المجتمع الآن لولى مدبرا خوفا وفزعا من مناظر العيون والسواعد والشوارب والملابس الممزقة والتحدي الذي يسكن العيون والاستعداد الإجرامي لعمل أي شيء مقابل تحقيق الإمكانية المطلقة لهذا المجتمع في فعل ما لا يستطيع غيرهم فعله. ولكن في واقع الأمر فإن كل هذا الإجرام والتحدي البادي في العيون ما هو إلا وسيلة لتحقيق غاية يراها أصحاب العيون منطقية بل هي من مقومات ومتطلبات العمل لكي ينجح مهما كانت التحديات في مجتمع «كاندليه».

وفي وسط هذا الصمت الرهيب، خرج صوت طفل صغير لا يتعدى عمره العشرة سنوات موجها حديثه إلى محمود بجرأة وحكمة وكأنه كان يفكر في كلماته بحكمة الشيوخ: يا ريس محمود احنا لسه الصبح بدري والحاجات إللي زي دي مابتظهرش إلا على الضهر، نستنى كمان ساعة ولا ساعتين وندور هنا الأول حوالينا، احنا دورنا وسألنا في كل حنة برة بس ماشوفناش هنا. إيه رأيك يا ريس محمود؟

نظر «محمود» إلى الطفل والذي رد روحه الهاربة إليه باقتراحه الذكي والمفاجئ: واللّه عندك حق يا ولا، إزاي راحت عن بالي دي! خلاص نشرب شاي سوا دلوقتي وبعدين كل واحد يروح يشوف حاله حوالينا ويرجع على الضهر بخبر يفرحني وعلى اللّه تكون الدكتوراه هنا مع أي حد علشان الموضوع يكون أسهل. برافوا عليك يا ولا، ولو إنت بالذات جيبتلي الخبر الحلو هاخذك معايا وأنا رايح لشوقي بك علشان يعرفك ويروّك.

- مش مهم ياريس محمود، أنا إللي بهمني إن احنا مايتقالش علينا إننا مش قادرين، وكمان بصراحة مش عايز أشوفك مش قادر قدام حد من برة. انا هلف زي النحلة من أول شارع لآخر شارع في الحنة لحد ما جيبلك الخبر التمام. انا عملت ده كثير قبل كده ياريس وانا لهلوبة.

- طيب ياللا ياد وريني همتك، إنت اسمك ايه صحيح وابن مين هنا؟

- أنا «عباس» ياريس ابن المعلم «إبراهيم العربي» بس هو سرح النهاردة بدري مع النباشين وأنا جيت بداله.

- واللّه براوة عليك ياواد يا عباس.. شكلك كده هاتبقى شاطر، وريني همتك وأنا هاشوفك يا بطل.. انبش زي ما انت عايز في كل حته بس تيجيلي الخبر التمام. ضحك «محمود» الذي بدأ يدب فيه الأمل: أبوك ينبش هناك وانت انبش هنا، ياللا روح، توكل على الله.

خرج الجميع وبقي محمود يفكر فيما يجب عليه فعله، ممنيا نفسه بخبر حلو عند الظهر. وضع رأسه بين راحتيه ونظر إلى اللاشيء أمامه هامسا لنفسه: يا ترى إنت فين دلوقتي يا دكتورة..



obseikan.com

الفصل السابع

«فما الحياة إلا قطار كبير لكل منا فيه كرسیه في

عربة ما».

أخيرا قرر صلاح أن يجيب على أسئلة ياسمين الثلاثة، بالإضافة إلى السؤال الرابع الذي استجد . حرك كوب الشاي الفارغ الذي ما زال بين يديه مع حركة شفتيه، وكأنه ما زال يشفق على نفسه من الخوض في الإجابات رغم قراره بالصراحة التامة، والبعد عن تجميل الكلمات .

- إيه يا صلاح جاوبلي بقى على السؤال الرابع، خلينا نبتدي بيه .

ضحك ضحكة خبيثة وكأنه يختبر جدبتها: طيب هو كان إيه هو السؤال؟ شاوريلى عليه وأنا أجاب على طول.. وإجابة كل سؤال بربع جنبه.

- هاهاها ماشي ياسيدي وإن كان الله أعلم معايا ولا لأ.. بس يبقى على الحساب. السؤال كان: «تفتكر لو توفّر قطار الماضي ومعاك ركابه مش لوحده كنت هاتستنى في الماضي ولا هاتتط من القطر وترجع مشي إلى لحاضر».

- شوي في ياستي، أولا ماضي العمر ليس له قطار. المستقبل فقط هو الذي له قطار نركبه جميعا وفي نفس الوقت ولكن لكل منا محطته

التي سوف يهبط فيها شاء أم أبى، وهي محطة نهاية هذه الحياة التي نشقى فيها ونفرح ونحزن ونبكي ونغني، ونحن الأسرار أو نبوح بها، ونحب تارة ونكره تارة أخرى. كل هذه المشاعر نعيشها ونحن في القطار نفسه، قطار المستقبل، قطار الحياة الذي تحرك في الماضي ولا يعرف حاضرا أبدا بل هو يجري على قضبان الحياة ليحول في كل ثانية المستقبل إلى ماضي. ومع أننا نركب القطار نفسه إلا لكل منا عربته التي ركبها منذ مولده، لا يغيرها إلا إذا استطاع توفير ثمن تذكرة الانتقال من عربة حياة درجة ثالثة أو رابعة إلى درجات أعلى. فما الحياة إلا قطار كبير لكل منا فيه كرسية في عربة ما .

- ياه، كل دي فلسفة يا صلاح مخيبيها جواك، حقيقي تفسير رائع وانتقائك لتشبيه القطار رائع.. خاصة أنه مزيج من العربات بدرجاتها ومستوياتها المختلفة وإمكانية التنقل من عربة إلى أخرى. يا ترى قرأت ده فين يا صلاح؟

- مصطلح وما الحياة إلا قطار هو من بنات أفكارى، والذي رسمته في ذهني منذ الطفولة عندما كنت أهرب من العمل في الشوارع للدراسة إल्ली كنت دخلتها في فترة رضاء أو جنون من والدي ثم انقلب على فكرته. كنت أعبر طريق السكة الحديد وأجلس على الجانب الآخر بمفردي لأقرأ وأنظر على القطارات أمامي وأنفحصها جيدا لأجد منها ما هو سريع جدا وشيك جدا ونظيف جدا، ومنها ما هو بطيء جدا وبائس جدا في لونه وشكله.. وحتى

أناسه مختلفين تماما عن ركاب القطار السريع إللي بنقول عليه الديزل.. كان شيئاً بالنسبة إللي مفزعا، لماذا هذا التناقض، ومن صنعه ومن يستفيد منه، ومن يحافظ عليه، ولماذا الركاب يركبون صامتين عن هذه التفردة التي تجنن العقل. إحساس جعلني عندما كبرت وفهمت الفروق وعشتها في الواقع في هذا الحي أشبه الحياة بالقطار وليس الطائرة لأننا كلنا بدرجاتنا المختلفة ومستوياتنا الإجتماعية نركب القطار وليس كل منا يركب الطائرة.

لم تصدق ياسمين نفسها وهي تنصت إلى صلاح وهو يسترسل بسلاسة غير عادية، وسهولة ويسر في التعبير عن مشاعره، وإجابته عن السؤال الرابع هذا. فلم تتوقع منه كل هذا الأسلوب التحليلي الرائع، وبلغة سليمة اختلفت عن لغته التي يتحدث بها كعادته إلى أهل الحي. يا ترى كيف يخفي كل هذا داخله ويتحكم في إظهارها. كيف تعلم ذلك وأين ومع من. حديثه فعلا جميل وواقعي ومعبر رغم التشبيهات.

- كلامك رائع يا صلاح ومقنع جدا وأتفق معك تماما.. فحتى مدينتنا هذه مثل القطار، ففيها أحياء درجة رابعة وخامسة كهذا الحي وأحياء أخرى درجة أولى وثانية. وما ينطبق على مدينتنا ينطبق على دولتنا وعلى قارتنا وعلى العالم أجمع. ولذلك فأجمل وأوقع تعبير عن الحياه ككل هي تشبيهها بقطار كبير. ولكن ما زلت لم تجاوب على السؤال الأساسي وهو موقفك وتصورك عن قطار الماضي.

- قطار المستقبل يادكتورة ياسمين هو قطار الواقع، أما قطار الماضي فهو الخيال الذي نصنعه بأنفسنا لكي نهرب فيه من واقع الحاضر، خاصة إذا كان واقعا مؤلما، أو عندما نبحث عن لحظات سعادة حدثت لنا في الماضي ولم تعد بين أيدينا. ومنا من يصنع قطار الماضي ليبحر في تاريخه لعله ينتقم من لحظات ضعف أو فقر أو حزن عاشها.. قطار من عربة واحدة على قدر صاحبه، قطار يقوده صاحبه إلى محطة هو يحددها ويرغبها ثم يتركها عندما يريد ولا يستطيع البقاء فيها إلا بما يسمح به الخيال.

- قصدك أن قطار الحياة الحقيقي هو قطار المستقبل وقطار الماضي هو قطار الخيال.. وقطار المستقبل لا نملكه وليس لنا اختيار فيه؛ عكس قطار الماضي الذي نملكه ونختاره بأنفسنا. ما أجمل هذا التفسير الرائع لركاب الحياة يا صلاح، قطار يمشي إلى لأمام وآخر إلى الخلف ولا يلتقيان أبدا، قطار لا نعرف أين ومتى يقف بنا وماذا يحدث لنا فيه، وقطار نعلم كل أحداثه ومحطاته ولكن بلا فائدة. طيب يا ترى لو ركبت قطار الماضي هاتستني في الماضي ولا هاتتط من القطار وترجع مشي إلى الحاضر. ياتري إيه قرارك وليه؟؟

- والله أنا فعلا صنعت قطار الماضي ولكن لوحدي فقط ولا يسمح بأي ركاب آخرين، قطار يأخذني إلى محطات الطفولة البريئة والحاملة التي كنت أحلم فيها بالتعليم والعلم والتحضر والتفوق والرقي والوظائف الراقية التي كنت دائما أتمناها. محطات

كنت أهرب فيها من أسرتي للذهاب إلى المدرسة مع أقراني. فما أجمل هذه المحطات وما أقساها لتركي إياها. ولو كان بيدي لقفزت من القطار وبقيت هناك لأبدأ حياتي من جديد حتى لو استقطعت من عمري كل المحطات اللاحقة لأكون ما أردت وليس ما أراد هذا الحي حينئذ. وكم أسعد كل مرة أركب فيها قطار الماضي، فيكفي أنني أهرب من الحاضر القاسي والمؤلم وأبقى في الماضي الحالم ولو كنت زائرا وطفلا. هذا هو قطاري المفضل الذي صنعته بأفكاري لأهرب فيها بعيدا عن الحاضر كلما أردت.. فإذا كانت هذه إجابتي على قطار العمر، فماذا عن قطارك أنت؟ مؤكداً أنك تتوقين لركوب قطار المستقبل فالماضي كله يبدو أنه كان جميلا وها أنتِ تنتظرين مستقبلا مشمساً مثل شمس اليوم الرائعة. بابتسامة بها حكمة « كاندليه » استرسل «صلاح»: أنا طبعاً مش بحسد والله، مافيش تنافس بينا يا فندم، إنتِ قطارك ماشي لقدام وأنا قطاري ماشي للخلف، فلا تصادم ولا تنافس.

- يا سيدي أنا لم أركب قطار المستقبل بعد، أنا لسه واقفة على المحطة مستتية دوري ومش مستعجلة؛ لأن الركاب كثير والمحطة زحمة جداً والتذاكر غالية، ولأني مضطرة غصب عني أركب درجة أولى وإلا بابا يزعل خاصة هو إللي هايدفع ثمن التذكرة مش أنا.. أما قطار الماضي فلأسف لا أستطيع ركوبه بمفردي إلا في مرات قليلة بعيداً عن أسرتي. أنا تربيت وسط اهتمام بالغ من والدي ووالدتي والأقارب، اهتمام جعل مني عربة غير منفصلة

على الإطلاق من عربات الأسرة، نركب سويا وننزل سويا، ولذلك فإبحاري إلى الماضي عادة ما تأتي أسرتي معي لإشراكنا في كل الأحداث بجلوها ومرها.. لو كنت سألتني أمس قبل الحادثة لكنت تمنيت أن أقفز من القطار للبقاء في آخر لحظة سعادة لي مع خطيبي الذي انفصل عني أمس قبل الحادثة. ولكني اليوم أؤكد أنني لن أقفز لأبقى هناك لأن الماضي لن يعود ولن يفيد، وخاصة أن الحاضر هنا في هذا الحي علمني أن السعادة ليست في المال ولا الجاه ولا السلطان بل بالرضا والقناعة ومعايشة الناس. الحادثة يا صلاح، وقضائي أمس هنا حتى الآن علمني أن أرى الآخر قبل أن أرى نفسي، خاصة أن النفس قد تنتهي حياتها في غمضة عين.. وتعلمت أن أدقق فيما أراه حولي سواء كانت له القوة أو لا حول له ولا قوة. تعلمت أن أحمد الله على أقل النعم، وأن أبحث عن النعم وأوظفها لي وللآخرين. تعلمت منك كيف أن الإنسان فيه ألف إنسان وإنسان، كل إنسان ملآن بطبقات من الإنسانية التي قد تبدو بسيطة على الرغم من امتلائها بالثقافة والحكمة والحنان، تماما كما رأيت فيك يا صلاح. ظننتك منذ الوهلة الأولى إنسانا بسيطا، مجرد عامل في حي لا يعمل، رجلا ولكن بلا ثقافة ولا فكر ولا رؤية. ولكني ها أنذا قد وجدت كل ذلك فيك وبمستوى يفوق مستوى المتعلمين.. أغار منك يا صلاح، فعلى الرغم من قسوة الظروف إلا أنك صنعت من القسوة قلنسوة ومعطفا تلتحف به من البرد القارس لشظف الحياة. فخورة بك يا صلاح وأتمنى أن نبقي أصدقاء. سألتك أربعة أسئلة وكنت أنتظر بفارغ الصبر

إجاباتك، فقد كنت أراهن على ارتباط واعتماد الحالة الثقافية على الحالة الاجتماعية والمادية، ولكن خاب ظني ووجدتك تثبت عكس ما ظننت بعد سماع الإجابة على سؤال واحد من الأسئلة الأربعة. وبابتسامة فيها خجل شديد قالت «ياسمين»: إيه رأيك يا سيدي، نكمل ولا كفاية عليّ كده النهاردة؟

- هاهاها، شكلك كده يا فندم ناوية تقضي هنا على الأقل يومين كمان علشان أجابك على كل الأسئلة، أنا طبعاً أحب قوي أجاب لأن أسئلتك حركت الأفكار في عقلي الراكد والتي عادة ألقبها في عقلي من وقت إلى آخر، ولكن بيني وبين نفسي حتى لا تصدأ. أما معك فأشعر أن أفكاري ترقص من الفرح لخروجها من أسوارها العالية لتقفز إلى أرض الواقع وتطير في السماء العالية، وحديثي معك هو هواء هذه السماء.. يسعدني سيدتي أن أقص عليكِ حكاياتي ورؤيتي وتحليلاتي. يسعدني سيدتي أن أكون المركب التي تنقلين بها كنوز هذا الحي إلى أي مكان تريدينه. أنا ياسيدتي رجل يبحر في سماء بلا أقمار، فكوني لي قمري لأهديكِ الضياء.

- واو، دا إنت شاعر كمان يا صلاح، أنا كل شوية باكتشف فيك حاجة جديدة، أنت ألف مركب ومركب من سبائك الرجولة النادرة. لو كتبت شعرا من قبل ليتني أستمتع بإلقائه من شفطيك، فكم أعشق الشعر خاصة من قلب صادق وتجربة خاصة ولو كانت خيالية. يا ترى كتبت شعرا؟ ممكن أسمعاه؟

- والله أنا فعلا كتبت كام قطعة كلها تخاطب شخصيات خيالية، وآخر
قطعة بعنوان «أحلام عاشق».. ياريت تعجبك.

- أنا متأكدة إنها ها تعجبني يا صلاح، أفضّل كلي أذان مصغية.



أحلام عاشق

كم أعشق السفر إلى أول العالم

لأرسم هناك اسمك

وكم أعشق السفر إلى آخر العالم

لأقطف وردة لمعطفك

وكم أعشق السفر حول العالم

لأنشد أني أحبك

وكم أعشق الغوص إلى لأعماق

ليشهد أني أحبك

وأصنع من هوى حبي حبالا

وأحمل رسمك

وأصعد بحبي إلى نجوم الليل

لأحقق حلمك

لينثره قلبي هناك بالماء والورد

لحبي وحبك

فكم أنا طفل حائر بين عينيك

و على صوتك
ويا لبيتني إصبعا أنا في يديك
أو بسمه بضمك
فدعيني أغنيك أمام العاشقين
كم أنا أحبك
دعيني طفلا يلهو حولك بلا عذر
على صدرك
ودعيني أحلف أمام كل العالمين
أني أحبك
واتركيني أتدلل و أفرح بهواك
لأحيا بعشقتك
طفلاتي أنتِ وسيدتي وأميرتي
و أنا وطنك
فلا تحرمي قلبي من حلو نبضك
ومن عشقتك

- الله.. فعلا رائعة يا صلاح، أنا لا أصدق نفسي، أنا أمام شاعر رائع. أنا كده هاعمل معاك تعاقد للتعاون معك إلى الأبد وهاسميه تعاقد كاندليه، وهوافق على كل شروطه. قلت إيه؟
- هاهاهأ، والله نتعاقد، هو أنا أطول.. أكتبلك رواية اسمها « كاندليه» مقابل رغيف لكل مواطن في الحي. إيه رأيك في الفكرة الجنان دي؟ أكتب وأهلي تاكل. الشرط الثاني أتعلم من الأول وادخل كليتك مستمعا، قلت إيه يا فندم؟
- طبعا طبعا، أنا موافقة على النصف الأول من العقد والربع الثالث منه، أما الربع الأخير بقى ما قدرش أوعدك لأنه خارج قدراتي. يا سيدي اكتب إنت بس وها تلاقي كل الأمور اختلفت وبقيت نجم مجتمع كبير، أكيد دادي هاساعدك في كده.
- يا فندم إنت صدقت ولا إيه؟! أنا بضحك معاك.. اتفارق إيه بس!! أنا لو هاكتب ها يكون علشان الناس إللي عايشة في الغلب هنا، هاكتب عن كل حاجة في حياتهم واحتياجهم وتجاهل العالم ليهم واتهامه ليهم بالإجرام والجهل وكل التهم التي يريد أن يتخلص منها فيلقبها على كاهل أهل هذا الحي. عارفة يا دكتورة ياسمين..
- قاطعته «ياسمين» بضحكتها سريعا: دكتورة إيه بقى! ده إنت اللي دكتور وأستاذ دكتور، ياريت بقى بجد مافيش داعي للرسميات دي خالص، بليبيز بقى.

- حاضر حاضر، أنا لعلمك بقدر ما كنت أتمنى وبشدة أن أنجح في هروبي من هذا الحي في طفولتي للتعلم من أجل مسار آخر في حياتي، إلا أنني وبقدر خسارتي الشخصية سعيد بأنني هنا في هذا الحي لأرى تفاصيله وتعقيداته وكرمشة عاداته وتقاليده والتي جعلت من الصبح خطأ والخطأ صبح، سعيد أنني هنا لعلي أكون يوماً ما بوقاً لهذا الحي وسبباً في تغييره إلى الأفضل، وليتك بالفعل تساعديني في هذا لو أردتِ بدون اتفاقيات، لأن من يريد أن يفعل لا ينتظر اتفاقيات. قلتِ إنكِ إليه بقي في كلامي ده؟

- والله أكيد.. بكل سعادة، أنا أوعدك أن نعمل سوياً ومعانا بابا.. بس إنكِ قلنا إليه المطلوب وإيه إلهي ممكن نعمله؟ وانا عن نفسي كلامك غيرني وأكد هياأثر على طريقتي في الدراسة في الكلية، وعلى فكرة مجال تخصصي هو دراسة المجتمعات الفريدة في ثقافتها وعاداتها وتقاليدها. ولن أجد أنسب من هذا الحي ليكون حقل دراستي لو ساعدتني فيه.

- أنا موافق طبعاً من حيث المبدأ، بس نظمن عليك الأول وتروحي بالسلامة وبعدين نتكلم لو قررتِ تزورينا تاني. على فكرة، فين رقم تليفون بابا علشان أتصل بيه، ده زمانه قلقان جداً وقلب الدنيا عليك. وعلى فكرة كمان أنا وديت العربية الصبح بدري لسمكري وميكانيكي وبتاع دوكو علشان يظبطولك العربية زي ما كانت. أنا أسف إنني ماستأذنتش بس أنا حبيت إنها تكون مفاجأة ليك، ولا زعلتِ؟ أنا كان لازم أعمل كده لأن العربية كانت خارج المنطقة فكان لازم أنقلها جوه خوفاً عليها.. وفي نفس الوقت تصلح.

- بالعكس ، كويس إنك عملت كده وإن كان بابا كان أكيد هايوديها للتوكيل، بس كده كويس علشان أجرب حاجة جديدة. حقيقي شكرا يا صلاح. أما بالنسبة لرقم التليفون أنا ممكن أكلم بابا بنفسي من تليفونك.. ولكن بصراحة أنا عايزة أستمتع شوية بشعور فقدان إللي أنا فيه ده. فبقدر اشتياقي لبابا وماما ولغرفتي ولسريري، إلا إني أول مرة أبعد فيها وبالشكل ده عن بابا وماما فعايزة أستمتع بالشعور ده وأعرف إيه إللي هايعملوه علشاني.
- معقول تفكري التفكير ده!! أكيد بابا وماما منهارين وقالبين الدنيا، خاصة زي ماقلت إنك انفصلت عن خطيبك قبل الحادثة مباشرة، فلازم نتصل عليهم ضروري.
- ماتقلقش ، هاتصل بس على العصر أو المغرب، على الأقل أكون بقيت أفضل ونفسي بصراحة أنزل الشارع على العصر وأشوف الحي على الطبيعة، بحواريه، بأطفاله، برجاله ونسائه. ماتتصورش قد إيه نفسي في كدة موت.. ولو بابا عرف إني هنا هايخطفني ويمشي ومش هايسمحلي أبدا أنزل الحي.
- عموما زي ماتحبي. بس لازم تعريفي إن باباكي مش ممكن يقدر حتى يدخل المنطقة إلا إذا كان في صحبة حد من المنطقة، ده القانون هنا يا فندم، يعني زي ما بيقولوا دخول الحمام مش زي خروجه.

- طيب إذا كان كده، لما اتصل عليه إنت هاتكون معايا وها تكلمه
علشان يبقى في حمايتك إنت زي ما حَمَّتي، ممكن؟

- طبعاً، ده شرف ليّ، ومن غير ما تقولي.

«كم هي الدنيا ظالمة لأناسها الطيبين! لماذا تفعل ذلك بهم؟! ألهذا
سميت دنيا؟ ليتها كانت لتحمي صلاح.»

«كم هي الدنيا جميلة بأناسها الطيبين، كم أنتِ طيبة وجميلة يا
يا سمين.»

- سرحت في إيه يا صلاح؟ ممكن تكمل الإجابة على الأسئلة؟



الفصل الثامن

«سعادة البسطاء سيمفونية اجتماعية يجب أن تدرس
للمكتئبين والمحبطين والعازفين عن الحياة».

كعادة كل يوم، انتهى النسوة من غسل الهدوم في الطشوت وعصرها بأيديهن، ثم ألقوا ماء الغسيل في الشارع الذي يلقي فيه كل شيء حتى الأطفال والصبية. وعلى الأحبال المشدودة بين مسامير مثبتة في الجدران المتهاككة، علق النسوة -وكأنها عادة صباحية مثل الإفطار- الملابس المغسولة، وكأنهن يرسمن لوحة من التراجيديا المبللة بابتسامة وقت الظهيرة.

الغريب أن الكثير من أحبال الغسيل معلقة على جدران تحتها أكوام من القمامة التي تكتم رائحتها الأنف، ومع ذلك لا يهتم أحدا! وكأن الملابس المغسولة يجب أن تأخذ جرعة من الهواء العفن حتى لا ينسى من يرتديه أصله، فهل هي فلسفة حياة؟ أم قلة حيلة؟ أم استسلام لواقع الزبالة فوق الجميع؟؟

وكأنهن أسعد نساء الأرض قاطبة، ارتفعت أصواتهن بالضحك والقفشات والنكت والغناء أثناء نشر الهدوم، وكأنهن يؤكدن للعالم أن السعادة تصنع وتولد، ولا تباع ولا تشتري، وأن الروح الخفيفة والمتفائلة تعيش وتحيا بطلاقة بين أكوام القمامة وتحت الجدران المتهاككة من

الرطوبة، وعلى نغمات طشوت الغسيل الألومنيوم، ورفرفة هدوم الغسيل على أحبال أوتارها في الشارع.

لا أحد يدري كيف تتولد هذه القناعة وهذا الرضا في هذه النفوس الفقيرة والملابس التي فقدت معالمها والأرض التي تحتضن قمامة بلا شكوى أو تضجر، وقلة الحيلة التي بهتت على كل مظاهر الحياة. كيف ومن أين ومتى تتولد تلك الحالة المزاجية العالية التي تعلو فوق الواقع. أهو انتقام من الحالة المتردية أم هي النفس التي تظهر عكس ما تخفيه، أم هي حالة لا مبالاة تحولت إلى عناد نفسي ضد الواقع، أم هي حالة تَعُودُ تحولت إلى الرضا والقناعة.

لا أحد يدري ولا يستطيع أعتى علماء الاجتماع أن يفسر ما يحدث من هؤلاء النسوة في هذه المنطقة الفقيرة من العالم، وسط كل معالم الإحتياج والفقر واللا آدمية. إنها ببساطة سيمفونية إجتماعية يجب أن تدرس للمكتئبين والمحبطين والعازفين عن الحياة. سيمفونية تؤكد أن النفس ولادة للسعادة من رحم العناء. سيمفونية تؤكد أن بكل نفس غنية أو فقيرة دينامو للسعادة يعمل بطاقة ذاتية قد تكون كامنة، فما على النفس إلا أن تحركها بقليل من الرضا في وجود الصحة الآمنة.

وما إن انتهت النسوة من وجبة الغسيل الصباحية هذه حتى دخل بعضهن إلى أحد البيوت وجلسن القرفصاء على الأرض ينتظرن أحدا ما في موضوع ما لمهمة ما. دخل رجل بصحبة صبي وطفل ورجلين آخرين، فجلسن على جانب الغرفة الوحيدة بالبيت بجانب ثلاثة وبوتاجاز مسطح وملابس قديمة مكونة فوق بعضها تستخدم كمخدة

ومتكأ لمن يريد . سككت النسوة بمجرد دخول هذا الوفد من أهل المنطقة لمعرفة ما سر هذا الاجتماع الطارئ الذي لا يحدث إلا إذا كانت هناك خطة لعمل شيء ما خارج نطاق المنطقة. ومع أن هذا الشيء لا يعلم به أحد بعد، ولكنه مؤكد له علاقة بنشاط التوائي للحصول على دفعة من المال للتغلب على هذا القحط المذري في المنطقة.

- إزيكوا يا نسوان، قاعدين كده ليه مفرشحين و بهدوم نومكم! إنتوا مش عارفين إنني نادهتلكم علشان شغل، إيه الرحرحة إللي انتوا فيها دي. المفروض تكونوا جاهزين.

- يا خويا طول بالك علينا شوية وماتأخذناش على الحامي، احنا لسة مخلصين غسيل الهدوم حالا بعد هدة حيل، وبعدين احنا لسة عارفين بلمتنا دي من دلوقتي، وبعدين هو احنا من إمتنا واحنا بنخطط ونفذ في نفس اليوم. ما احنا ديما بنخطط براحتنا ونفذ بالهداوة علشان الطبخة تتسبك وكمان علشان نعرف مين اللي هايشغل فينا بالطبط.

- ياولية إيه كثر الكلام ده.. إنتِ هاتعميلي فيها محلل سياسي، إنتوا تسمعوا الكلام وخلص واللي أقول عليه يتسمع وبس. مش عايزين كثر كلام، نسوان فاضية صحيح.

ردت إحدى النسوة: إيه يا ابو علاء فاضيه إيه يا خوية.. بقولك لسه مخلصين الغسيل ونشره ولأ ماشوفتوش وإنت داخل من برة في كل حته! يا خويا إللي مايبشوفش من الغربال يبقى أعمى، وانت نظرك

سنة على ستة. ردت أخرى: مش عايزين نبتديها كده على الضحى.. احنا مش ناقصين، كفاية الغلب إللي احنا فيه من شاقف للاقف ومش عاجب، طبيخ وغسيل وشغل جو وبره الحتة، وعيال ووجع دماغ. ردت الثالثة بنغمة عناد وتحد: هو إيه.. ما فيش رحمة. مش كفاية إنكوا قاعدين في البيت لا شغلة ولا مشغلة واحنا الللي بنلف ونجيب ونديكوا .

- اخرسي يا مرة منك ليها لأقوم أكسر دماغكوا كلكم.. هي إيه الحكاية حرارة وانفتحت، تتكوا داهية تاخذكم ونرتاح منكم.. مش كفاية الهم إللي إحنا فيه وكفاية شكلكم الللي يقطع الخميرة من البيت. تاتكوا القرف على الصبح.. شكلنا كده ما فيش شغل النهاردة. الظاهر هايبقي نهار أبوكم اسود ومطين بطين زي الشارع الوسخ الللي برة.. اتكتمي يامرة انتِ وهي واتلموا علشان ندخل في الشغل.

- يا خويا بدل ماتشطر علينا كده روح شوف مراتك فين وخليها تقعد معنا، بدل مانت مسرحها برة تشتغل في بيوت الخلق، واللا مش شايف غيرنا. صلِّ على النبي كده وشوف عايز إيه علشان نشوف إللي ورانا، لسه قدامنا الطبيخ وخلافه.

- اسمعوني كويس، إنتوا عارفين الشتا على الباب، والشغل في الشوارع هايقل على العيال والرجالة والستات والحالة كلها هاتقف. علشان كده أنا فكرت عن نفسي في حيلة تقدر نجيب بيها حاجة تسترنا في البرد ونأكل العيال.

- إنت هاتخطب فينا ولا إيه يا أبو علاء، ما حنا عارفين ده أكثر منك يا خويا، إنت مفكر نفسك قاعد في ميدان عام وبتخطب، هاتعمل علينا رئيس جمهورية.. ادخل في الموضوع على طول.. فكرت في إيه والعملية هتم فين وإمتى. كل اللي بتقوله ده وها تقوله احنا اللي حاسين بيه كل يوم واحنا اللي عارفينه أكثر من الرجالة يا أبو الرجالة.

- ياولية إنت لسانك طويل عالصبح، يعني ماعرفش أتتفس بكلمتين من نفسي، ينعلك على الصبح. أنا هاتكلم ومش عايز ولا نفس لحد ما خلص، وإلا هابقى يومكم مش فايت، إنتوا عارفين لساني وإيديا طوال، انا لسه ماسك نفسي.

ضحكت إحداهن ضحكة فيها غنج ودلال مقصود بعد أن اعتدلت من على الجدار وقريت نفسها منه قليلا: ما احنا عارفين ياخويا عارفين اسم الله عليك، كل حاجة فيك طويلة، إلهي يخيبك ضحكتي وأنا ماليش نفس. ما تيجي توريني كده طولك قد إيه، شو في ياختي الرجالة..

نهض «أبو علاء» من الغيظ واتجه بغيظه نحو السيدة ليهجم عليها بطول جسده: إنت يا مرة لسانك طويل من ساعة الصبحية، اتلمي..

ولكنها بقيت في مكانها دون أن تهتم بهجمته الشرسة هذه. نهض بسرعة أحد الرجال الموجودين مع «أبو علاء» ليمسك به فانصاع له

أبو علاء بسرعة وكأنه كان ينتظره. ضحكت السيدة مرة أخرى بدلال:
كامل ياخويا ياللا، خلاص قول بقى علشان طولك مايتعززش تاني.

رد الرجل الآخر الموجود مع «أبو علاء»: يا سيادنا احنا مش
جاينين نتخانق، احنا جاينين نشوف هانعمل إيه في العملية وها نقدر
نعملوها ولا لأ، سيبونا بقى من الكلام اللي لا يودي ولا يجيب ده.. ولا
أقوم أمشي أسرح على أي حاجة وأشوف رزقي بنفسي؟ أنا خلاص
مش طايق نفسي، البيت مافيهوش ولا زاد ولا مائة، ولا حد عاد ببسأل
والشغل شاحح، يعني مش هاكل في نفسي بقى وولادي يأكلوا من
الزبالة، وولاد الكلب برة ولا همة هنا ولا احنا ولا غيرنا في الحتة في
بالهم، لازم نصرف يا زبالة انتوا في كام عملية ناكل منهم عيش..

- طيب بس ياخويا هدي نفسك كده، كلنا في الهوى سوا وربنا عالم
بيننا، احنا بنتكلم وبتخانق من الغلب والوجع مش علشان زعلانين
من بعض، أهو شوية تفاريح كده يعني، احنا معاكم اهه يا خويا
على الحلوة والمرة، وهانفذ اللي تقولو عليه بس نعرف إيه الحكاية؟
- خلاص، كامل ، خاللينا نشوف إيه اللي في دماغك، بس لازم تاخذ
بالك إن الضباط والعساكر والناس كمان عادت عينيها مفتحة
قوي، لأن الحالة كرب على الكل، فلازم الفكرة والخطة ماتخرش
مايه ولا دم.

- طيب يا عم المخبر، إنت هاتعمل شوية الناضورية دول معنا!
ده احنا المخبرين.. ضباط إيه وبتاع إيه! دول هما اللي محتاجينا

وانت عارف، أما الناس آه، بَقْمُ مفتحين كويس بس احنا بنتكلم على الناس اللي مريشة وماتفرقش معاها شوية فكة، دول حتى ولا هايحسوا بيها إلا اذا كانت انتيكات اللي بيخافوا عليها زي ما حصل السنة اللي فاتت.

- طيب قولنا بقى إيه اللي في دماغك ياريس علشان نشوف هانعمل إيه؟

- كلامكم مضبوط. عموماً أنا اللي في دماغي هايتماد على الستات المرة دي مش الرجالة. يعني الستات في التخطيط والرجالة والعيال في التنفيذ.

- طيب إزاي؟ وياه دور العيال هنا؟! دول ممكن يبوظوا الموضوع وتكشفي ويبقى عيب كبير في حقنا وتتحسب علينا أونطة.

- لا ما تخافوش، الموضوع بسيط قوي وسهل تنفيذه لو مشي زي ما أنا عايز في دماغي. فيه اتين من النسوان اللي هنا بيشتغلوا عند ناس تقال قوي في وسط البلد، والناس دول أغنية جدا لدرجة إنهم مش هايحسوا باللي هايأخذ منهم. المهم إن النسوان يعرفوا بالظبط إمتى كل اللي في البيت بيخرج ويرجع كل يوم ولما نحدد اليوم اللي الكل بيكون برة نقدر نصرف.

قاطعته إحدي السيدات قائلة: تصرف في إيه يا فالح.. إنت جامعنا هنا علشان نسرق الناس اللي بيأتمنونا على بيوتهم، أنا مش موافقة خالص، إنت اتجننت ولا شارب حاجة عالصبح!

- يا مرة ، انا زي ماقلت دي كلها حاجات بسيطة ومش هاتفرق معاهم خالص، يعني عادي.

- لأ طبعا، مش ممكن وعلى رقبتى، أنا هامشى وانتوا حُرين، اعملوا اللي تعملوه يا مجرمين. أنا لو هاكلها بملح أو أموت من الجوع أنا وولادى يا كفرة مش هاخون الناس اللي ائتمنوني.

- يا مرة يا واطية إنت طولى بالك وماتضربيش كرسى فى الكلوب، هما يعني بيديوكِ حقك على قد ما بتشتغلى، أكيد لأ طبعا.. وبعدين زي ماقلتلك الموضوع بسيط وحاجات كلها مش هايجسوا بيها بس بالنسبة لنا هاتفرق معانا كثير. ولا إنتِ قلبك عليهم حنين وعلينا جامد. عموما إنتِ حرة، بس هانعمل اللي هانعمله.

تدخل الرجل الذي يجلس القرفصاء بجانب «أبو علاء»: طول بالك يا سيدي، الست برده معزورة، هي عندها حق برضه وانت مش حاسس بيها علشان إنتِ ماتعرفشى الناس اللي هايتصب عليهم لكن هي عارفاهم، تفرق كثير إنك تتصب على حد عارفه وحد مش عارفه، الضمير بينتقح جامد لما تكون عارف الحد ده وضحك عاليا: الضمير يا سيدي أحيانا بيبقى ما عندوش ضمير. كمل بس الحكاية وبعدين نحكم وانتِ ياستى اهدي بس وخليكِ معانا على مانسمع الحكاية كلها .

- نقول تانى.. لما نعرف إيه اليوم اللي الكل مش موجود غير ست البيت هانبعث حد من الرجالة، وليكن أنا، يقولها إن زوجها اشترى كنية أنتريه ركن، وعايزين نطلعها والحساب بعدين لما يرجع البيت.

وطبعا طالما مافيش فلوس هاتدفعها أكيد ها تصدق وهاتفرح وهتاخذ الكنبة. لو جات تتصل بزوجها علشان تتأكد هايلاقي التليفون ضاع منه وحد عمل معاه حادثة بسيطة علشان يعطله.

ردت إحدى السيدات التي كانت تركن ظهرها للجدار، تستمع فقط إلى ما يدور حولها دون تعليق: طيب واحنا هانروح نشتري كنبه بالشئ الفلاني علشان نروح نديها لحد كده بيلاش؟! طيب وها نستفيد إيه بقى من كده؟! أنا مش فاهمة حاجة خالص.

رد أبو علاء بلهجة استعلاء على الجميع وكان كلامه يقع عليهم كالصمغ العربي: ما هو الشغل هاييتدي من هنا. الاتنين الرجالة دول هايطلعوا الكنبه، والواد اللي جانبي ده هيكون برة مستخبي علشان يدخل فيها ومايانش خالص في لمح البصر لما الست تدخل الشقة تجيب حاجات نطلبها زي مية مثلا، وبعدين نسيبه في الشقة يقش الحاجات الغالية جدا ويحطها في الكنبه. بعد كده أنا هاروح تاني العصر واعتذر لها، وأقولها إن الكنبه كانت لعنوان غلط وهابعتلك الرجالة ياخدوها تاني. طبعا هي مش هاتمانع وتوافق إن الناس ياخدوا الكنبه طالما لا هي ولا جوزها دفعوا فلوس وناخذ الكنبه وفيها اللي لمناه من الشقة.

ردت الست الثالثة، وكانت تتابع ما يجري دون أن تنبس بشيء: واللّه فكرة حلوة، وفيها تفكير وفيها تعب أهه، يعني مش هانكلها بالساهل، وبصراحة كفاية الفكرة إنها تتنفذ وتتجح، ده المفروض ناخذ جايزة على الفكرة دي. وبعدين مش كفاية هانفرحهم بالكنبة ليلة بالكامل وهانشيلها وننزلها، كفاية فرحتهم بيها بقى.

رد الشاب الذي جلس صامتا طوال الوقت مخافة من لسان «أبو علاء» الطويل، رغم أن السيدات لم يخفن منه: طيب والكنبة يا ريس علاء هاتيحي إزاي ومنين؟ ما فيش حد معاه فلوس يشتري كنبه غالية زي دي.

- نعم يا خويا، إمال أنا جايبك هنا ليه.. إنت مش شغال في الموضوع ده على عربيتك الكارو طول النهار. هانستلف منك كنبه حلوة ليلة واحدة وبدل ما توديها في نفس اليوم هاتسلمها تاني يوم الصبح. الموضوع سهل وبسيط وماحدث هايحس بيه.

- بس افرض ياريس صاحب الشغل سألني فجأة على الكنبه واديتها ولا لأ، أقوله إيه؟ دي تبقى مشكلة كبيرة.

- يا بني مشكلة إيه بس، إنت هاتأخذ الحاجة زي كل مرة وتوديها للزبائن ما عدا الكنبه هانوديها على المكان على طول.. ولو سألك بالفرض، قوله واديتها غلط وهاجيبها الصبح أو قلّه تعبت وروحت وهاوديها الصبح، أدي الحكاية. قلتوا إيه بقا تعبتوا قلبي ودماعي، الله يخرب بيوتوكوا. قولتوا إيه؟

رد رجل بجوار «أبو علاء»: والله يا أبو علاء، كلامك موزون والخطة ممتازة وماتعوروش خالص لا احنا ولا هما، بس المهم إنت بتفكر في أي ناس؟

- هايبان من مراقبة الستات اللي قدامي دلوقتي لأنهم بيشتغلوا في أغنى البيوت في البلد هنا، فالموضوع بالنسبة للبيوت دي ولا حاجة.

ردت السيدة التي عارضت «أبو علاء» ورفضت طرحه: أنا مش ممكن انصب على الناس بتوعى لو هاموت من الجوع. بس لو حد تاني ممكن أفكر.

ضحك «أبو علاء» ضحكة عالية هزت جدران البيت الآيل للسقوط: يعجبني تفكيرك يا ست الستات، المهم إنك معانا. وما إن خرج الرجال من الغرفة حتى صاحت النسوة بضحكات عالية لتقول إحداهن: شوي في يا ختي الراجل.. قال إيه عايزني انصب على الناس بتوعى!! هو أنا هبله ولا إيه، ما يروح ياختي يسرق بتوعه. ضحكت النسوة لتبدأ جلسة النميمة بين جدران آيلة للسقوط تتسمع لكلماتهم وكأنها لا تسمع..



obseikan.com

الفصل التاسع

«الناس ودون أن يدروا قد يصنعون التاريخ والفلسفة والاجتماع، وقد يصنعون علماء بنظريات جديدة..».

فعلا، ليس هناك أروع من الحوار الفكري بين عقليين على مائدة بسيطة في حجرة بسيطة وفطور بسيط، حوار يرتقي ببساطة الأشياء، ويجعل منها مواقدا فكرية تُلهب العقل وتجعله يفرز أروع ما عنده من فكر ينساب كنهج جارٍ يفيض بماء من كلمات عذبة صافية.

يا تُرى، هل بساطة الأشياء هذه هي من وراء روعة الفكر ورُقيه. هل بساطة الزمان والمكان والإنسان تؤثر في البصمات العقلية لكل منا وبالتالي تشكل الإفرازات الفكرية وتحاورها. هل يا ترى لو دار هذا الحديث وطُرحت هذه الأسئلة على الأشخاص أنفسهم، ولكن في مكان آخر يتسم بفخامة الأشياء، كفندق خمسة نجوم، أو باخرة سياحية، أو دار رئاسة، أو جنة وارفة وبملايس فارهة، هل ستختلف الإجابات وطعمها ونكهتها، هل ستختلف الفلسفة وراء الإجابات، وهل.. وهل.. وهل.

دارت كل هذه الأسئلة في عقل «ياسمين» وهي تنظر إلى برواز فقير يحوي آية قرآنية عظيمة تقرأها وتتمعن فيها وكأنها تقرأها لأول مرة. هل يا ترى اختار صلاح هذه الآية بدقة لتعكس حالة البساطة

في عيشته ومسكنه، أم أنها جاءت بالصدفة البحتة، أم ورثها عن أبيه. ويا ترى لو كنت مكانه وولدت وتربيت هنا هل كنت سوف أفعل كما فعل وهو صغير وكما يفعل الآن. ولو كنت فكرت أعلق آية قرآنية في حجرتي في بيت بابا وماما فيا ترى أي آية قرآنية سوف أختارها ولماذا. هل أختار آية تمنع الحسد أم آية شكر الله وحمده، أم ماذا.

لم تتصور «ياسمين» أبدا من قبل أن تختر في بالها كل هذه الأسئلة، ولكنها أسئلة حياة يجب أن يتحرى كل منا الشجاعة والحكمة ويسأل نفسه عن عمد من حين إلى آخر وليس بالصدفة كما أفعل الآن. لماذا لا يأتي طلاب الجامعة هنا لعمل لدراسات كجزء من دراستهم لعلم الاجتماع أو الفلسفة أو الدين أو حتى الطب. ولماذا لا يذهب هؤلاء الناس من هذا الحي لزيارة الجامعة من وقت إلى آخر، وحضور محاضرات تارة تستهدفهم دون غيرهم وتارة أخرى بمشاركة الطلاب. لماذا لا تتغير طرق التدريس والبحث عندنا لتكون أكثر واقعية. الناس هنا قد يصنعون التاريخ والفلسفة والاجتماع وقد يصنعون علماء بنظريات جديدة دون أن يدروا. أه لو لو كان الأمر بيدي لفعلت كل هذا ولدعوت «صلاح» أن يلقي محاضرة حياة لطلاب كليتنا ولدعوت طلابي لقضاء يوم هنا. حقا الفلسفة هي البصمة الفكرية لواقع المبدعين وليس للسامعين أو المتفرجين.

- إيه يا يسمين، شايفك سارحانة في الآية القرآنية قوي.. وكأنك بتقريها لأول مرة. أنا فعلا بارتاح كثير لما باقراها وخاصة وأنا راجع من الشغل بعد ما كون شفت مفارقات الحياة في الخارج.

وعلى فكرة الآية دي باعتز بيها جدا لأنها من ميراث والدي مع الأوضة دي وشوية العفش دول.

- واللّهُ يا صلاح أنا فعلا حبيت الآية دي جدا جدا وكأني أقرأها أول مرة، وإن شاء اللّهُ هاشتري واحدة وبروزها واحطها في أوضتي لما أروح. أكيد قراءتها كل يوم هايكون لها تأثير إيجابي عليّ جدا في تعاملاتي مع نفسي ومع الناس وطبعاً قبل كل حاجة مع ربنا.. على فكرة ، أنا ماشفتكش بتصلي الصبح ولا العشا امبارح. هو انتوا هنا مش يتصلوا ولا إيه! مع إني شايفاك مثقف وملتزم.

- واللّهُ يا ياسمين أنا فعلا مقصر في الصلاة وتقريباً فين وفين لما أصلي ودي عادة هنا مع إننا كلنا بنحب ربنا جدا وهو ملجأنا في كل وقت بس القناعة إللي توارثت معنا إن ربنا أكيد راضي عنا ومش هايحاسبنا لأنه عارف بطروفنا وتعبنا وبهدلتنا في الدنيا عكس الناس اللي برة، الناس هناك بتصلي علشان ربنا يغفرها تقصيرها في الحياة، لكن إحنا هنا متقصر معنا، العكس يعني.

- طيب انت مقتنع بكده ، عبادة ربنا ملهاش دعوة إنت غني ولا فقير. لو كنت غني أهو إنت بتحمد ربنا ولو كنت فقير أهو إنت بتدعيه يباركلك ويغنيك. العبادة يا صلاح راحة نفسية قبل ماتكون طلبات. العبادة أوامر من ربنا مالهاش شروط لو خالفناها نبقى مقصرين بغض النظر احنا فقراء أو أغنياء.

- واللّهُ أنا طبعاً مش مقتنع بقناعة الناس هنا في عدم الصلاة

والصيام والزكاة. بس تقدرى تقولى كلنا اترينا على كده وبدون ما نفكر ليه، مع إن الكل فعلا بيحب ربنا جدا والرسول والشيوخ وخاصة الشيخ الشعراوي. عموما فيه ناس كتير بتصلي الجمعة في المسجد اللي في المنطقة وشيخه من المنطقة برضه. أما أنا فبصلي بس بصراحة مش منتظم خالص، بس أوعدك إنى أنتظم. ياترى إنتى منتظمة في الصلاة والصوم والزكاة؟

- واللّه يا صلاح، كنت متوقعة سؤالك، بصراحة لأنى برضه مش ملتزمة خالص بس طبعاً بصوم وبابا بيطلع الزكاة أكيد مع إنى عمري ما سألته في الحاجات دي خالص. بس أنا على عكسكوا هنا مؤمنة بالصلاة وبأن ربنا هايعاقبني على عدم التزامي.. وأعتقد ده فرق جوهرى بينى وبينك في موضوع الصلاة والصيام. أما الزكاة بقى فأكيد ما ينفعش تزكوا، بالعكس الناس هنا هي اللي محتاجة الزكاة وده حقهم القانوني حسب الشرع والدين.

- شوفت بقى، مع إن المحصلة واحدة وهي عدم الالتزام في الصلاة وعبادة ربنا إلا إن لكل فريق أسبابه المقتنع بيها حسب ظروفه وتعليمه وثقافته ونشأته. عموماً كلنا سواء هنا ولا برة مقصرين بس كلنا موحدين وبنحب ربنا جدا، وربنا يهدينا بقى.

- طيب قولى صحيح إنت عمال تقولى المنطقة هنا المنطقة هنا.. هي مالهاش اسم محدد؟!!!

- أيوة طبعاً لها اسم ومعروف جداً كمان، ده أنا كنت متخيل إنك

عارفاه لأنه المفروض مشهور عند معظم الناس. اسمها يا ستي
«كاندليه».

- واو يا صلاح، ده اسم جميل جدا، اسم رومانسي وكمان شيك،
فكرني بالشانزليه في باريس. الله حلو بجد، ده مين إللي سماه
الاسم الجميل ده.

- هاهاهاهاهاه. ضحك «صلاح» ضحكة كبيرة لم يضحكها منذ
زمن، شانزليه إيه بس يا ياسمين هانم، ده اسم كله غلب وفقر
واستغراب واستتكار.

- إزاي بقى؟! مش حاسة بكده خالص في الاسم، ليه هو معناه إيه؟
وإيه اللي خلاك تضحك قوي كده، هو انا قلت حاجة تضحك ولا
إيه؟؟!!

- هاهاهاهاهاه، معناه في حروفه يا فندم وفي مقاطعه الثلاث «كان»
«ده» «ليه». يعني إيه الغلب والفقر والحاجة والأمية والتخلف إللي
احنا فيه ده.. وكل ده كان ليه.. ومين السبب فيه وليه.. وعايز إيه..
ليه كل ده. ده معني الاسم يا فندم، عرفت بقى أنا ضحكت ليه؟

شعرت «ياسمين» بإحراج شديد من إعجابها البريء باسم كاندليه،
فانظرت إلى صلاح بطرف عيونها بخجل: طيب يا سيدي أنا ما زلت
معجبة بالاسم؛ لأنه فعلا حلو لو مفسرنا هوش بطريقتك، وبعدين
ماتضحاكش قوي كده عليّ، مين عارف يمكن أصل شارع شانزليه
بباريس كان زي كاندليه كده وبعدين طوروه، عادي يعني.. وبعدين

لعلمك ده فال كويس للمنطقة. إنت عارف أصل اسم حي الزمالك اللي هو أشهر وأفخم منطقة في مصر؟ معناه العشش لأنها فعلا كانت عشش زي هنا وتحولت بقدره قادر إلى أفخم مكان. فبكره تشوف كانديه هاتبقى إزاي بعد ٢٠ سنة.

استمر «صلاح» في ضحكه الهستيري: طيب والله كويس كده ضمنت إن الأوضة التعبانة بتاعتني دي هتبقى بمليون جنيه بعد ٢٠ سنة، هايل.. كده ضمنت يكون عندي شقة وعفش وزوجة بعد ٢٠ سنة، الله يطمئنك.

- خلاص بقى ندخل في الموضوع، جاوبلي بقى على سؤال البساطة وارتباطه ببساطة الأشياء من وجهة نظرك.

- يا خير أبيض إنت لسه فأكره يا فندم! ده إنت مش بتتسي حاجة أبدا، عموما إنت بجد فتحت نفسي للكلام.

وما إن بدأ صلاح يشرح لياسمين معنى البساطة من وجهة نظره حتى سمع أصوات عالية من النسوة تدخل الحجرة عليهم وبدون استئذان كالعادة.

ضحك «صلاح» مرة أخرى من قلبه: اتفضلني يا فندم البساطة كلها جات لحد عندك.. نكمل بعدين بقى.

- يوووووووووه بقى.. كنت عايزة أعرف رأيك..

- أهلا يا حبايب، إيه إللي فكركم بينا تاني النهاردة، مش كنتوا هنا الصبح واطمأنيتم على الأنسة ياسمين، إنتوا جاينين عايزين العباية ولا إيه! وأكمل «صلاح» نوبة الضحك التي انتابته منذ قليل مع ياسمين على سبب تسمية اسم كانديه ثم مجيئهم فجأة في نفس الوقت التي سألته عن ارتباط البساطة بالأشياء.

ردت إحداهن بضحكة مكتومة: إحنا ياخويا مش عايزين منك حاجة، احنا جينا علشان نطمئن على السنيورة وجبنالها شوربة فراخ وفرخة بلدي تُرم عضمها علشان تخف بسرعة، وانت عارف يا سي صلاح الفراخ بتاعتنا أصلي مش تاواني زي بتاع الوزارة البيضاء، دبجنا واحدة من اللي مربيينهم قدامنا في الشارع. يعني يا حبيبي جاينين لمصلحتها و لمصلحتك برضه ياخويا مانت أكيد هاتاكل معاها، هو إنت تعرف تعمل أكل. عموما مش هانعظلكوا على الدور اللي بتعملوه سوا ده، قُعدوا كلوا سوا واحنا هانستنى برة علشان ناخذ الأطباق.

تعجبت «ياسمين» من كرم هؤلاء النسوة النابع عن الذات رغم فقرهم المدقع، وسألت نفسها يا ترى فعلوا ذلك طمعا في تعويض ياسمين لهم بعد ذلك أم أن هذا تصرف طبيعي؟ ولو تصرف طبيعي فهو قمة الكرم الذي ينطبق عليه الآية الكريمة «والذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة». حقيقة لا أفهم هؤلاء الناس، أهم طبيون أم ماكرون أهم مؤتمنون أم خائنون وسارقون، أهم ضعفاء أم أقوياء، أهم ملتزمون أم منحرفون. شيء محير فعلا، أعتقد أنه ليس بالسهولة معرفة سلوك وفكر هؤلاء الناس إلا بعد قضاء شهور بينهم.

قطع «صلاح» أفكار ياسمين والتي انتبعت لكلامه بسرعة: روجت
فين تاني يا ياسمين! مش كنت بتسألني على العلاقة بين البساطة في
الأفعال والبساطة في الأشياء؟ أهو سلوك البساطة وبساطة الأشياء يا
ستي بيتجسد قدامك أهو.

وبضحكة فيها إسقاط أضاف صلاح: مع إن الفرخة على فكرة
مش بسيطة خالص. وهو مستمر في ضحك هيسثيري وكأنه يضحك لما
فات ولما هو قادم من العمر دفعة واحدة: عموما احنا حاليا في لحظة
تاريخية، قدام سؤال فكري أوروبستقراطي من أنسة بنت ذوات موجه
لفكر بسيط لستات برضه من أهل الذوات، ذوات كانليليه. إيه رأيكم
يا ستات تجاوبوا الأنسة ياسمين على هذا السؤال الفكري المستير؟

- سؤال إيه يا سي صلاح وبتاع إيه، إحنا ياخويا مانناش في الكلام
العوج ده والللا انت فرحان بشوية الكلام اللي بتقراهم في الجرائد
والكتب الخرفانة بتاعتك من وانت عيل. وبعدين مالك منشكح
قوي كده، انتوا شربتوا حاجة ولا شميتوا حاجة على الصبح، مالك
في إيه. بساطة إيه اللي بتتكلم عليها وللا اللي هي بتسأل عنها.

- يا ستي طولتي بالك، ده سؤال بجد بصحيح، وهي نفسها احنا
نجاوب عليه، إنت رأيك إيه؟ هل احنا اتخلفنا على حالنا ده كده
ولا بقينا كده علشان ما عندناش حاجة نتأنتك بيها. ده السؤال.
جاوبي بقى ياختي.

- يا خويا أنا اتولدت واتربيت كده، بس هاتلي فلوس إنت وإننا أوريك الأنتكة على أصولها، هاوريك إزاي أم سيدة هاتبقى سيدة. ده احنا بتوع مزاج ونعرف نتأنتك قوي. أصل الأنتكة دي صنعة، وبرضه البساطة صنعة.

قاطعتها أخرى محتجة: لا طبعا، أنتكة إيه! الدنيا مش مستاهلة أنتكة. الدنيا حلوة ببساطتها حتى لو الواحد معاه مليون جنيه المهم الصحة والستر، الفلوس والحاجات كلها بتروح وبتيجي. احنا هنا لو بانولنا عمارات برضه هانكون زي ما احنا في كل حاجة. ثم أعقت مبتسمة: كأنها تذكرت شيء ما مهم، بس أكيد هانبطل سرقة ونصب وضحك على الناس وكمان كنا هانلبس كويس بقى زي الناس.

- شفت بقى يا ياسمين، حتى البسطاء إختلفوا في تفسير البساطة عندما تتحسن الأشياء. علشان كده لو سألت أي حد هنا أو بره هايجاوب عليك بنظرة فردية حسب تقديره وحبه للحياة ونظرتة الشخصية البحتة لمظاهر الحياة بغض النظر عن فقره أو غناه. ولكن زي ما شيخ الجامع سمعته مرة بيقول في خطبة الجمعة المتعلم الصح واللي عارف ربنا صح هو ده اللي يكون متواضع في كل حاجة حتى لو امتلك كل حاجة.

- يعني عايز تقول إن التعليم والدين هما اللي بيزيلوا الفوارق الفردية بين الناس في السلوكيات والنظر إلى الاحتياجات وكيفية التعبير عن الغنى والفقر. طيب ما هو معظم الناس اللي بره متعلمين وفيهم اللي متعلم كويس قوي وكلهم عارفين دينهم كويس جدا،

ولكن معظمهم يبيحوا المنظرة والبعد عن البساطة زي مانت شايف
في كل مكان. وده اللي خلاني أسألك السؤال ده لما لقيت الناس
اللي شفتم لحد دلوقتي هنا بسطاء جدا. فريطت ده بحياتهم
وامكانتهم البسيطة.

ردت إحدى السيدات بأنتكة مفاجئة: إيه هو ده، احنا ياختي مش
فاهمين حاجة من اللي بتقوليه ده ومش عايزين نفهم ولا نحب نفهم،
احنا جينا هنا علشان نطمئن عليكِ ونمشي. احنا هانقعد بره لحد ما
تخلصي الشورية والفرخة إنتِ وصلوحة بتاعك علشان ناخذ الفارغ
ونمشي. وعلى فكرة يا ياسمين يا بنتي، احنا بنعمل الواجب ومع أي
حد في حتنا وعمرنا ما بنستتي رد. وهي دي بقى البساطة بجد.. احنا
برة يا صلاح.

- طيب ياست كانديه هانم، بالراحة علينا شوية وبلاش أنتكة
فاضية، خمس دقائق وهافضي الحاجة، دي ماكانتش حنة فرخة دي.
وخرج النسوة الثلاث إلى الصالة بقهقهة عالية متتدرين على
صلاح وياسمين، وعلا صوتهم بالغناء على وزن أغنية صباح «على
البساطة البساطة يا عيني على البساطة، أمك حلوة وخياطة بتبيع
الفستان بجنيه والجلابية باربعناشر».

- شوفت تاني يا ياسمين.. أهى دي البساطة الحقيقية إللي مش
ممکن تلاقها في أي مكان تاني لأننا اتربينا على كده في الحياة
مش في المدارس، المدارس والجوامع ماعدتش بتعلم البساطة،

بالعكس بتعلم المقارنات، المشكلة مش في الناس، المشكلة في البيئَة
إللي فيها الناس واللي صنعتها الرؤوس الشيطانية للناس عمداً.

- واللّه ياصلاح كلامهم كان بالفطرة ومستمتعة بيه، مع إني بحس
فيه بريجة تريقة كده أو شماتة مش عارفة ليه!

- هاهاها، طبعاً طبعاً لازم تحسي بكده علشان مش واخدة الموضوع
ببساطة.

ضحكت «ياسمين» ضحكة أذابت قلب صلاح في الكتمان، ضحكة
خيأها في قلبه الذي اهتز وارتج رجة عنيفة وكأن صماماته تعرضت
لحادث اصطدام كبير بقلب ياسمين. أسّر هذا الشعور في نفسه حتى لا
تفضحه مشاعره التي تولدت في جنباته في هذه اللحظة التاريخية التي
لن يغيرها له القدر. فلا هو ولا كاندليه يرقى إلى مجرد التفكير في
حب بقلبها، وهو الذي لم يمر يومان بعد على أول لقاء لهما، لقاء يجمع
بين الأرستقراطية في أبهى صورها والمديونية في فقر مظهره. الغريب
أن «صلاح» شعر بهذا الخفقان للوهلة الأولى عندما رأى ياسمين في
حجرتة ولكنه كذب ظنونه وأكد على قلبه، وشدد على عقله أن خفقان
قلبه ما هو إلا طيش قلوب، ولكنه الآن يهتز ثانية وثالثة ورابعة، فماذا
عساه أن يفعل فلا بيده أن يجمد مشاعره ولا أن يطفأها ولا أن يخفيها
فالصب تفضحه العيون.

- رُحّت فين يا صلاح؟ شكلك سرحت في الفرخة والشورية، اتفضل
يا سيدي معايا ماتخافش، هانكلها سوا علشان يبقى عيش وفراخ.

تعالى نحقق البساطة على الأرض.. تعالى نقعد على الأرض وناكل،
تعالى وأنا هاوريلك البساطة على أصولها، علشان أعرفك إن
البساطة مش تعود ويس، لا دي مكتسبة كمان.

- يا ياسمين، إنتِ البساطة في ثوبها المتأنق، أنتِ الأناقة في ثوبها
البيسط، أنتِ ياسمينة أريج تسكنها كل الرياحين. أنتِ أنثى تغار
منها البساطة، أنثى تتعلق بها الأناقة، أنثى يخجل الجمال منها
وترتعش العيون من هوى رموشها. حقا، أنتِ أنثى تحرك الكلمات
الراكدة في العقول، والمشاعر الهاربة في القلوب، أنثى هي نهرٌ
يفيض عذوبة في عذوبة، أنثى يفرح لها الزمان ويرقص لها المكان.

- صلاح، معقول، إيه كل ده!! إنتِ بتقول شعر فيّ بجد ولا إيه. ده
كلام كبير قوي قوي، بس حلو ورائع. ياريت تقول كمان. عمري
ماتخيلت إنك بتقول شعر. أنا في غاية السعادة. ولو كنت أعرف
إن سؤالي عن البساطة هايعمل فيك كده كنت أصريت إنك تجاوب
عليه من أول مرة. كلامك يجنن، أول مرة حد يقولي شعر من
قلبه.

- يا فندم شعر إيه بس، دول كلمتين بقولهم ليكِ علشان أضحك
عليكِ وتديني الفرخة لوحدي، أصل أنا جعان جدا. ياللا نأكل
سوا وبعدين نكمل كلامنا. بس صحيح هو إنتِ مش ناوية بقى
تكلمي بابا، كده الموضوع طویل وزمان الراجل اتجنن، اوعي يكون
قلبك قاسي على الناس اللي بيحبوكي يا ياسمين.

- لا طبعاً يا صلاح قاسي إزاي، ده أنا بابا وماما وقرابيي كل حياتي، أنا بس مش عارفه ليه حاسة إنني عايزة جرعة حنان أكبر مني ومنهم علشان كدة عايزة أوحشهم ويوحشوني أكثر علشان يكون اللقاء عاطفياً جداً. وبعدين من ناحية تانية نفسي أعرف المكان هنا أكثر وأتعرف على الناس أكثر وانت بالذات. وبعدين هو انت زهقت مني ولا إيه؟ لو زهقت قول وأنا أمشي على طول.

- يا ياسمين زهقت إيه بس... ده أنا نفسي ماتمشيش إلا لما تبقى كويسة خالص، أنا بس قلقان على أسرتك، وقلقان عليك من بساطة المكان إللي هنا، إنت مش واخدة على كده. عموماً أنا هاسيبك شوية وأروح أشوف العربية بتاعتك خلصت ولا لسة وفرصة تقضي شوية وقت مع الستات اللي قاعدين برة علشان هما جولك إنت مخصوص.

- فعلاً يا صلاح عندك حق، الأصول كده برضه، أنا هاروح ليهم وانت روح شوف العربية وتكلف كام. وميرسي قوي بجد.

خرج «صلاح» ودموع مشاعره تتساقط من جفون قلبه على جدران صدره، خرج وكأنه ولد من جديد، ولكن بلا شهادة ميلاد وبلا عنوان وبلا أب وبلا أم. خرج يتيماً في الحب. خرج وهو يدندن في نفسه ولنفسه أغنية أم كلثوم «حب إيه إللي انت جاي تقول عليه، إنت عارف قبل معنى الحب إيه»...



obseikan.com

الفصل العاشر

«الديكور ما هو إلا بصمة فلسفة النفس التي تهيج وتهدأ
بين لوحاتها الطبيعية أو المصطنعة حسب الحالة المزاجية
لصاحب الديكور..».

خرج «صلاح» قاصدا مكان تصليح سيارة ياسمين كما وعدها
ولكنه شعر بحاجة شديدة إلى أن يجلس بمفرده وفي مكان بعيد عن هذا
الحي الذي قضى فيه معظم أعوامه الثلاثين. ففكر أن يركب «تاكسي»
ليختصر الوقت ولكنه فضل أن يمشي ليفكر في هذا الشعور المفاجئ
تجاه فتاه لم يرها من قبل، فتاه أرسنقراطية كيانها الاجتماعي والمالي
والتعليمي يبعد عنه آلاف الأميال. لا يدري كيف انتابه هذا الشعور
الخلو مع أنه قطع على نفسه عهدا من قبل بأن ينسى المشاعر التي
كانت تمس قلبه من وقت إلى آخر أثناء قراءته الروايات الرومانسية.
وحتى وإن استجاب قلبه للرومانسية يوما ما، فمن المتوقع أن تكون مع
قلب من قلوب أهل الحي.

مشى صلاح ومشى دون أن يدري بنفسه، ودون أن يعرف وجهته.
فمع أنه شعر بارتياح كبير ولذة لم يعرفها من قبل وهو يقول هذه
الكلمات الشعرية لياسمين منذ دقائق إلا أنه الآن يعنف نفسه بقوة
كمن ارتكب ذنبا كبيرا تحيطه اللذة من كل جانب. كيف لقلبه أن يخونه

ويخترق الحواجز ويقدم هذه المشاعر الحانية تجاه فتاه أرسقراطية. هل القلوب لا تعرف الأرسقراطية، هل كل القلوب سواء، هل كلها تهتز عندما تقابل وليفها. حتى وإن كان فلا بد من منع هذا الشعور نهائيا من قلبه قبل أن تهني عليه الظروف.

ما أتعسك يا صلاح! ترى الحب يجري أمامك ويتبخر ولا تستطيع حتى البوح به. ما أسوأها قلة الحيلة. مؤكد لو كنت «صلاح» آخر لاختلف الوضع، صلاح المتعلم حتى ولو لم يكن مثقفا، صلاح يسكن في مكان يليق بالأدمية، صلاح يمتهن عملا يليق به وبمن يحب، صلاح المهندس والملتزم دينيا، باختصار شديد «صلاح من برة كاندييه».

ولكن أنا صلاح كاندييه، ولا يمكن أن أكون «صلاح» آخر بعد مرور ثلاثين عاما كلها كانت لكاندييه. لن يعترف أحد بما يثور في داخلي مذ كنت طفلا، ثورة ضد كاندييه الفقر والحاجة والنظرة الدونية والعيش في عالم لا يعترف إلا بنفسه حتى ولو كان فاشلا وينكر الآخر، حتى ولو كان ناجحا. ما أتعسك يا كاندييه ويا ساكني كاندييه، وما أتعسك يا صلاح كاندييه.

شعر «صلاح» باحتقان في عينيه وانقباض في قلبه ودوران برأسه وبحبات من الدموع تتساقط على وجنتيه دون أن يدري. ثم فوجئ بأحد المارة ينهره بشدة على كتفه، يابني فوق وخذ بالك العربية كانت خلاص هاتخبطك، بطلوا بقى البلاوي اللي انتوا بتتعاطوها دي!!

انزعج «صلاح» من نفسه جدا، أكل هذا يفعلُه الحب بي، أين أنا الآن. نظر حوالياه فوجد نفسه بعيدا جدا عن كاندليه وعن المكان الذي يتم فيه تصليح سيارة ياسمين. قرر أن يجلس على أقرب قهوة ليسترد أنفاسه، ويعود إلى «صلاح» الطبيعي قبل أن يعود لكاندليه، فالقهوة خارج كاندليه هي المكان الوحيد الذي يعود فيه لنفسه كعادته التي يحب أن يستمتع بها من وقت إلى آخر. بحث عن أي قهوة في أي شارع، وأخيرا وجد قهوة في الشارع العمومي.

جلس على مقعد في واجهة الشارع وطلب شايا، فشعر بطمأنينة كبيرة في قلبه بمجرد أن جلس على الكرسي ناظرا إلى الناس بكل شغف، وهو الذي لم يلق بالاقط لتلك المارة. حدق في المارة باحثا عن صلاح آخر يشبهه، صلاح طيب من داخله مهندم في مظهره، صلاح المثقف والمتعلم ويكفي فقط أنه متعلم تعليما عاليا. تاه عقله وسط المارة، فهناك الكثير من صلاح الذي قد تتطبق عليه هذه المواصفات، ولكنه يريد نسخة من صلاح الأصلي، طويل ونحيف وكثيف الشعر وعيون عسلية وبشرة خميرية، هادئ الطباع، وعصبي المزاج إذا تحتم الأمر.

ابتسم «صلاح» في نفسه، فها هي أول مرة يوصف نفسه لنفسه ويعترف عليها بدقة، أي فعل الحب كل هذا بالنفس. جلس على القهوة ليعود إلى نفسه فإذا به يُشرح نفسه لا يدري لماذا.

أفاق على صوت نادل القهوة: أيوة يا سطي طلباتك؟ شاي ولا كركديه؟ نظر إليه صلاح بتعجب: مش معنى يعني شاي أو كركديه؟ وليه مايكونش قهوة ولا نيسكافيه؟؟

رد النادل: يا سيدي اللي إنت عايزه.. بس الأسطى هايطلب إيه يعني؟ دي العادة!

- وانت إيه إللي عرفك إني أوسطى؟! بتحكم على الناس من غير ما تعرفها!

- وإيه اللي يزعل في دي؟! أنا خمنت من هدومك، هدموم أسطى.. وأحلى أسطى كمان، وعموما يا سيدي ماترعلش إنت أستاذ وباشا ودكتور كمان، أوْمرنِي يا معالي الوزير.

نهض «صلاح» واقفا وغاضبا وناهرا لهذا الشاب الذي يبدو في العشرينيات من عمره: هي حصلت إنك تتريق عليّ، هو انت شايفني دكتور ولا وزير قدامك!!! وكاد «صلاح» أن يفتك بالشاب الذي تلعثم بين يديه في خوف محاولا أن يتجنب شر صلاح الذي بدأ يتطاير من عينيه غير عابئ بمن حوله من الناس.

تقدم شاب أنيق وهادئ الطباع ووضع راحته على كتف صلاح بهدوء: إيه بس يا معلم فيه إيه؟ ماحصلش حاجة تخليك تتعصب كده.. الراجل بيحاول يرضيك مش أكثر. عموما اهدى وأنا عازمك على شاي على حسابي وسيب الراجل يشوف شغله وكفاية الهم إللي هو فيه، ده راجل خريج كلية التجارة وملقاش شغل فاشتغل هنا وكمان بيحضر دراسات عليا، ماجستير يعني.

جلس «صلاح» بعد أن عاد له هدوءه بعد سماع كلمات هذا الشاب الوسيم والمهندم، وتأسف كثيرا للنادل إلى درجة أنه حاول أن يقبل رأسه اعتذارا عما حدث وإعجابا بما يفعل رغم تعليمه العالي.

- ماحصلش حاجة يا فندم، حضرتك قولي بس طلباتك وأنا تحت أمرك.

- هاتلي نيسكافيه، ده مشروبي المفضل من الآن.

رد الشاب الأنيق: خلاص يا أستاذ عادل، اتين نيسكافيه وعلى حسابي، ومن غير نقاش ومن غير عصبية. قالها بابتسامة هادئة كهدوئه.

ابتسم «صلاح» لهذا الشاب كعلامة على قبوله العزومة.

- أنا أدهم من هنا وباشتغل مهندس ديكور والصدفة البحتة خلتي أقعد شوية على القهوة دي دلوقتي على ما عربيتي تخلص عند الميكانيكي.

- أهلا أستاذ آدم، أنا صلاح، وتوقف دون أن يخبره عن عمله وعن مسكنه.

لم يشأ «آدم» أن يسأل صلاح على أي معلومات وتركه يتحدث لو أراد.

نظر «صلاح» مليا إلى هذا الشاب وأسر في نفسه، أخيرا وجدت «صلاح» آخر يشبهني وتطبق عليه المواصفات.

لاحظ الشاب تحديق صلاح فيه: هو حضرتك بتبصلي قوي كده ليه، يا ترى بتشبه عليّ، أو اتقابلنا قبل كده؟

رد صلاح بعفوية: لا أبدا أنا بس وجدت فيك المواصفات اللي كنت بدور عليها في فتى أحلامي.

انزعج «آدم» كثيرا من كلام صلاح: إيه إللي بتقوله ده حضرتك!! هو انت منهم ولا إيه!! فتى أحلام إيه.. هو انت شايفني ست ولا ولد بيتمرقع. إيه كلامك ده!!

لم يدر «صلاح» بنفسه إلا وهو يضحك على انزعاج هذا الشاب من مصطلح فتى أحلامه، وأمسك بيده ليجلس بعد أن هم في الانصراف: أرجوك ما تفهمنيش غلط، أنا ما قصدش اللي في دماغك خالص، أنا بس بمر بمشكلة شخصية دفعتني أدور على حد يمتلك صفات حقيقية كنت أتمنى أن توجد في لو كانت الظروف مشيت كويس وأنا صغير.

رد «آدم» باستغراب أكثر: أنا حقيقي مش فاهم حاجة، لو سمحت وضح كلامك أكثر.

- دي حكاية طويلة ها حكيها لك لما يجي النيسكافيه.
- نيسكافيه إيه بقى يا فندم، دي عايزة شاي ولا إيه رأيك؟
- خلاص موافق نشرب الشاي وخلي النيسكافيه لما أحكيلك واعرف رأيك.
- خلاص اتفقنا بس قبل ما تحكي لي لازم تعرف إنني راجل وألف راجل مش من اياهم، أنا مهندس ديكور أه.. وبتعامل بحنية مع الأشياء أه، ولكن مع الناس بالأدب والأصول.

ضحك «صلاح» ضحكة جعلت عادل النادل يأتي مستغربا: في إيه يا أستاذ آدم؟ إيه الحكاية هو من زعيق لضحك، إنت عملت في الرجل إيه؟

ضحك «آدم» هو الآخر: عملت إيه بس ده هو اللي عمل.. ده طلع حكاية كبيرة والظاهر إن حكايته فيها فلسفة خفية بس هاعرفها، ومين عارف يمكن ارسم من خيوطها أحلى ديكور، ولا أيه رأيك يا أخ صلاح؟

رد «صلاح» بنشوة: طبعا طبعا وليه لأ. الديكور ما هو إلا بصمة فلسفة النفس التي تهيج وتهدأ بين لوحاتها الطبيعية أو المصطنعة حسب الحالة المزاجية لصاحب الديكور، يعني حسب ديكور النفس البشرية.

- واو يا عم صلاح، ده انت حكاية كبيرة بجد، ده انت فيلسوف بقى ومتخفي ورا الملابس بتاعتك دي.. يا أستاذ عادل هات ثلاثة شاي وتعالى نشرب كلنا سوا ونسمع لصلاح.

- لا يا باشمهندس، أنا مش فاضي للفلسفة دلوقتي، بعدين أه، دلوقتي خيليني في شغلي، حالا هاجيب الشاي وعيشوا انتوا، بس ابقى قولني على الحكاية، إنت عارف برضه إنني عاشق للفلسفة.

شعر «صلاح» أنه وجد ضالته التي يبحث عنها في نفسه وبدأ يفرد عضلات أفكاره التي تحمي حنين عواطفه أمام آدم.

- شوف يا أستاذ آدم، أنا رجل غير متعلم بالرغم من ثقافتني المكتومة التي اكتسبتها في أعوام الطفولة عنوة وخلصه من وراء والدي من خلال مذاكرتي مع أصدقاء أكملوا دراستهم وأنهيتها أنا غصبا عني

بسبب إصرار والدي. وما احتفظت به وأكتسبته طيلة السنوات الماضية هي ثقافتي المكتومة التي اكتسبتها من قراءتي للعديد من الروايات والقصص والكتب التي كنت أشتريها خلسة وأحتفظ بها عند أحد زملائي حتى كبرت ونقلتها إلى حجرتي.. اشتغلت بكل الأعمال الحرفية التي تتخيلها، من نجار لسباك لمحار لمبيض، ولم أفجح في أي منها بسبب عدم حبي لها واقتناعي أنني خلقت لشيء آخر ولكنني بعيد عنه.. وحاليا أعمل عتال، فهي الشغلة الوحيدة التي أخرج فيها همومي الثقيلة مع الأحمال الثقيلة التي أنقلها من مكان إلى مكان آخر. باختصار أنا راجل من كانديه، اتولدت هناك، واتربيت هناك واشتغلت هناك وبحب الناس هناك، ولكنني لا أتمنى العيش هناك. إن كنت سمعت عن كانديه يا باشمهندس آدم.. عمرك رُحت هناك؟

- بصراحة أه سمعت. ولكن عمري ما رحت ولا فكرت لأنني أسمع عنها أمورا لا تسر، وبصعوبة دخولها بسهولة كده لأي حد.

تعجب «آدم» من هذه القصة التي تولدت بين يديه الآن دون سابق إنذار، قصة قد تصلح لتكون ديكورا في مسرحية أو فيلم أو مسلسل، ولكنها هنا متمثلة في صلاح.

- طيب يا صلاح، ليه ماحاولتش تسيب كانديه طالما شايف نفسك في حاجة تانية؟ عموما أنا لسة مش فاهم برضه إيه العلاقة بين اللي انت بتقوله وحكاية «فتى أحلامي»! بس واضح إنك إنسان متميز ومكافح.

- واللّه الموضوع مش بسهولة، اللي يدخل كاندليه صعب يخرج منها، وعلى رأي المثل دخول الحمام مش زي خروجه. أما موضوع فتى أحلامي ده فله حكاية لسه بدأه معايا امبارح بس تعبانى ومحيرانى وشغلانى. باختصار شديد أنا قابلت فتاه بالصدفة البحتة وأسدت لها جميلا بسيطاً فيه رجولة، ولكنى أشعر بحب جارف نحوها بالرغم من الفوارق التعليمية والاجتماعية والمالية وكل شيء. ولست أدري كيف حدث ذلك.. فتركتهـا هناك وجئت هنا أبحث عن نفسي وسط الناس فوجدت نفسي تأثمة وهزيلة ولا تصلح أبداً لحب مثل هذا، فبدأت أبحث عن نفسي الأخرى التي أتمناها، نفسي التي ترقى إلى حب الفتاه. ففتى أحلامي هي نفسي الأخرى التي أبحث عنها في الناس لأنها ليست في الآن.

- كلامك رمزي أكثر منه واقعي يا صلاح، ولكنى سوف أرد عليك أيضاً برد فلسفي.. أسباب السعادة مثل بخار الماء الذي يتصاعد من البحار والأنهار إلى السماء ليكون سحابة مملوءة بالسعادة، ولكن لا أحد يعلم سوى الله متى وأين وأي من عباد الله سوف تسقط أمطار السعادة على رؤوسهم، تلك هي السعادة وأسبابها يا صديقي، ولكن يجب أن نوفر الأسباب ما استطعنا حتى ولو لم تسقط أمطارها على رؤوسنا.

- فعلا يا باشمهندس يجب أن نعمل على أسباب السعادة وهذا ما أفعله في مقدوري دوماً، وهذا ما فعلته مع فتاتي، ولكنى هذه المرة أشعر أن أمطار التعاسة وليسـت السعادة هي التي هطلت على

رأسي، فكيف لي أن أحب شخصا ولا أستطيع حتى الإفصاح عن حبي، أليست هذه تعاسة!

- يا صديقي هون على نفسك، أولا من قال أنك لا تستطيع البوح إليها، بل يجب أن تخبرها عن حبك حتى ولو كنت تظن أن مؤهلاتك أقل منها، فمسؤولية الحب أكبر من المؤهلات، الحب سبب من أسباب السعادة ولا نملكه جميعا بقدر واحد، ولكن من وجد في نفسه القدرة على الحب فليحب بلا شروط، يجب أن تبوح بحبك يا صلاح، فالحب نصف الرجولة وتاج الشهامة، عبر لها يا صلاح عن حبك لها حتى ولو لم تكن تحبك هي، حتى وإن أحبتك هي أيضا ولم يترجم الحب إلى زواج.. فلا تحرم نفسك من أدبيات وثقافة وحنين وروعة الحب كما حرمت نفسك من التعليم وأنت طفل، الحب يا صلاح كالماء والهواء، الحب زهرة لا تذبل أبدا، الحب برهان أن القلوب فوق القوانين.

- ياااااااه قد إيه أرحتني بكلامك يا باشمهندس، سوف أخبرها وأبوح بحبي مهما كان الأمر فهي تستحق مني أن أبوح وأواجه العالم أجمع بحبي بغض النظر عن الارتباط، نعم لديك حق، الحب نصف الرجولة. ياريت نكون أصدقاء يا باشمهندس لو ما عندكش مانع وسوف أخبرك عن حالي فرب صدفة خير من ألف ميعاد.

- شوف يا صلاح، أنت رجل غير متعلم ولكنك مثقف جدا وحساس جدا وكمان وسيم يا سيدي، إيه رأيك تشتغل معايا، أنا كنت بدور

على حد يرافقتني دائما في أعمالي خاصة أثناء تنفيذ الديكور في الفيلات الكبيرة. وأنا عجبتي طريقتك الفلسفية في التفكير جدا بالرغم من عدم تعليمك. وما الديكور كما قلت أنت إلا فلسفة شخصية نلطف بها الأشياء. إيه رأيك يا صلاح في العرض ده؟ هايكون شغلك معايا مش مجرد عتالة يعني مش شيل وحط بس، ولكن عايزك تشاركني الذوق الديكوري بناء على خلفيتك في كاندليه خاصة الإسم رائع ورومانسي وديكوري خالص.

وما إن سمع «صلاح» إعجاب أدهم باسم كاندليه حتى ضحك ضحكة تعجب لها أدهم والذي بدوره سأل صلاح: يا ترى إيه إللي ضحكك فجأة كدة؟ هو كلامي فيه حاجة غلط؟

- لا أبدا، أنا بس افكرت فتاتي التي عجبها برضه اسم كاندليه جدا وتخيلته زي حي شانزليزية فأضحكتني جدا وكنت فرحان بحبها ليه، ودلوقتي انت كمان عجبك الاسم. عموما أنا موافق طبعا على العرض بس ياريت نفذ بعد يومين بعد أن أكون قد أنهيت موضوع ياسمين ورجوعها سالمة لبيتها. أما بالنسبة لدور كاندليه في الديكور فأنا لا أعرف ماذا تعني.

- شوف يا صلاح، أنا كنت بدور على فكرة جديدة جدا تعمل ثورة عندي في فن الديكور بعيدا عن الأعمال الكلاسيكية والحديثة والتي لم تخرج أعمال الديكور عنهما من عقد إلى آخر. ولذلك أنا أبحث عن شيء ما جديد، حتى ولو كان غريبا لأن الناس تعشق أي شيء جديد بغض النظر عن أصلته، وأنا حقيقي سمعت كثير

عن كاندلييه، ولكن بعدما رأيتك وتحديث معك أعتقد أننا نستطيع
توظيف كاندلييه بطريقة جديدة في الديكور المصري وتبقى فرصة
لتأصيل كاندلييه في ذوق وعقلية الناس وهذا هو الهدف الأسمى
وستكون معي في كل الخطوات وممكن أعلمك أساسيات الديكور
طبعاً.

- رائع يا باشمهندس، عارف لسه من شوية ياسمين كانت بتقولي
إن كاندلييه ممكن تتغير وتبقى على شاكلة حي الزمالك والذي بني
على العشنش. والآن وبدون سابق إنذار منك أو ترتيب مني نتقابل
ونتحدث وتأتي أنت بهذه الفكرة الرائعة التي لم تخطر على عقل
أحد من قبل، ولكنها تعضد فكرة ورؤية ياسمين. ما أحلى القدر
عندما يربط الأفكار من كل مكان وزمان وبدون سابق إنذار ويغزلها
ليصنع منها نسيجاً جديداً يرتديه ويلتحف به الجميع. القدر فعلاً
شيء رائع بيث في الحياة ألف حياة. كم أنا سعيد بالتعرف عليك
يا باشمهندس أدهم وبالأستاذ عادل وبياسمين التي بسببها وبسبب
حبي لها جئت هنا اليوم فتعرفت عليك لتقدم لي بعد ذلك هذا
العرض وتشجعني على البوح لها بحبي أيا كانت النتيجة فكم
أعجبني جداً تعبيرك «الحب نصف الرجولة».

- شوف يا صلاح، الحياة ما هي إلا فيلا كبيرة واسعة فارغة وما
على أصحابها إلى تزيينها بأجمل الديكورات بما يتناسب مع
إمكاناتهم شريطة ألا يكون سبب الديكور المنظرية ولكن الجمال
الذي يجعل من المكان جنة للآخرين وليس للساكن فقط.. ولذلك،

أنصحك قبل ما تعود لفتاتك ياسمين أن تغير بعض الديكور في مظهرك، ليس لأن ديكورك الآن سيئ ولكن بنية مفاجئاً بحبك لها بطريقة جديدة، يعني زي ما بنقول نيولوك الحب من أجل الحبيب.. وأهي فرصة تضع بعض لمسات ما كنت تبحث عنه في صلاح الآخري في صلاح كاندليه. إيه رأيك بقى في الفكرة دي؟

- فكرة رائعة يا باشمهندس أدهم لم أفكر فيها من قبل، فعلاً، لماذا يبحث الإنسان عن نفسه في الآخرين وهو يستطيع تغيير نفسه كما يريد أن يكون. ما أجمل الاعتراف بالنفس آيا كانت والأجمل هو قدرة الإنسان في تغيير نفسه كما يشاء وفي حدود رؤيته لنفسه. وهذا ما سوف أفعله الآن ولو كلفني كل ما أملك.

- هايل يا صلاح، أحب فيك تفكيرك العملي وطموحك الديكوري. ومع ضحكة الصداقة الجديدة نادى «آدم» صلاح أن يتبعه إلى المحل المقابل لشراء ديكور جديد من أحلى قميص وأحلى بنطلون لصلاح كاندليه ليفاجئ ياسمين.

امتلاً صدر «صلاح» وهو يتبع أدهم بحب العالم وديكور العالم في رسم أحلى صورة لأجمل فتاة.. كم يتمنى «صلاح» الآن أن يجري جريا ليذهب لياسمين في زيه الجديد وهو يقود عربتها بعد تصليحها، يا ترى ماذا ستفعل «ياسمين» عندما ترى «صلاح» في زيه الجديد؟ الزي الذي قبل به فقط لكي يقول لها أنني أحبك.



obseikan.com

الفصل الحادي عشر

«لماذا لا يكون هناك بوليس للحب يحمي كل المحبين
ويعطيهم حقوقهم في حب الحياة كما يشاءون، لماذا كل
هذه الأنانية من من يتفرجون على الحب!».

بدأت الحركة تدب بين أهل الشارع في هذا الحي الراقى الذي
يقطنه معظم الأثرياء وعلية القوم في المدينة. تتوسط الشارع الأبراج
العالية المتألقة ليعكس مظهرها مظهر ساكنيها و ثراءهم الفاحش،
ويتأثر هنا وهناك بين الأبراج السكنية بعض الفيلات التي تعكس
تاريخاً أرستقراطياً مقارنة بالشوارع القريبة والتي تُظهر بيوتها حال
ساكنيها المتوسط في كل شيء والشوارع البعيدة التي تظهر الفقر المدقع
وحاجة ساكنيها.

وهكذا المدينة خلطت وبدون قصد لتحتوي في أحد أحيائها
المظاهر المتألقة دوماً، وفي أحياء أخرى كثيرة حالة البساطة المزوجة
بالفقر والحاجة، وأحياناً التخلف عن جهل، وفي أحياء أخرى كثيرة
حالة متوسطة بين هذا وذاك لتبدوا هذه الأحياء وكأنها كرنفال من
الملابس المتناقضة والسلوك المتناقض والسيارات المتناقضة وغيرها
من المتناقضات الاجتماعية التي يحاول كل فريق اجتماعي الاستمتاع
بشريحته الاجتماعية في كل مظاهر الحياة أمام الفريق الآخر.

أصبحت المدينة بهذا الخليط من العمارات والفيلات والناس، مثل سماء الشتاء المملوءة بالسحاب الأبيض والأسود الذي يحجب لون زرقتها الصافية إلا من قطع متناثرة هنا وهناك فيجد الناظر صعوبة في رؤيتها والاستمتاع بصفتها. وعلى الرغم من هذا الخليط بقيت بعض الأحياء مثل حي كاندليه يمثل منطقة متميزة بأهلها وبيوتها وثقافتها وعاداتها.



أنهت سيدة البيت أعمال المنزل الصباحية الخفيفة، فالיום هو راحة الشغالة التي تأتي ثلاثة أيام في الأسبوع كما تعودت منذ أعوام لإنهاء أعمال المنزل في هذه الشقة الكبيرة التي تبدو بأثاثها وتصميمها وديكوراتها وكأنها فيلا زرعت في رحم هذه العمارة. ارتدت ملابسها للذهاب إلى العمل.

تأكدت من أن كل سنتيمتر في زيها وميكياجها ينطق بالأناقة والشياكة والذوق الرفيع لتبهر كل من يراها في الشارع أو العمل. اتصلت بالسواق المنتظر أسفل العمارة التي تقع في أرقى أحياء المدينة لتخبره أنها جاهزة للنزول لتبدأ مراسم أخرى من المظاهر التي تستمتع بها كل صباح أمام كل من يعرفونها في هذا الشارع الذي انتقلوا إليه حديثاً منذ سنوات بعد أن ظهر على زوجها النعمة والثراء .

دق جرس الباب ففجبت السيدة من دق الجرس في هذا التوقيت فهي لا تنتظر أحدا الآن في هذا الصباح الباكر! سألت من وراء الباب.

رد عليها أحدهم بلغة مهذبة: احنا هنا ياهانم علشان ندي لحضرتك الكنبه اللي اشتراها زوج حضرتك من المحل امبارح ودفع حسابها .

- ولكني لا أعرف عن هذه الكنبه أي معلومات ولم يخبرني بذلك، هل أنتم متأكدون من العنوان؟!

- أيوة يا هانم، حضرتك العنوان مطبوط واحنا إتأكدنا من البواب وقولنا له على موضوع الكنبه وخاد منا كل المعلومات عن المحل وعننا .

اتصلت السيدة بالبواب فأكد لها ما قاله هذا الرجل وزميله ثم حاولت الاتصال بزوجها للتأكد ولكن دون جدوى، فتليفونه خارج الخدمة .

عندما لاحظ الرجلان التردد في استلامها الكنبه سارع أحدهم بقوله: على فكرة ياهانم البيه كان متفق معنا نجيب الكنبه بكره يجوز فيه مناسبة عندكم ولا حاجة .. بس احنا جيبناها النهارده علشان خلصت وعلشان في طريقنا لتسليم حاجات تانية. فلو عايزة نجيبها في وقت تاني بس مش ضامنين إذا كنا نقدر نجيبها بكره .

تحيرت ماذا تفعل وترددت في بادئ الأمر أن تفتح وتأخذ الكنبه التي لا تعرف عنها شيء، ولكنها أخيرا قررت أن تفتح الباب وتستلم الكنبه لحبها اقتناء الأثاث الراقي ولظنها أن هذه الكنبه الأنيقه هديه عيد زواجها الذي لم يبق عليه سوى يومين .

انتابتها حالة من السعادة الغامرة بعد أن تذكرت عيد زواجهما،
وكم هو رائع من زوجها أن يتذكر هذا اليوم ويفاجئها فيه بهذه الهدية
الثرينة خاصة أنه يعرف تماما مدى حبها لاقتناء الأثاث وتغييره من
وقت إلى آخر لزوم التباهي أمام الأهل والجيران والأصحاب. مؤكداً
هو سافر الأمس واليوم وغدا حتى يحضر على عيد زواجنا وعلى
المفاجأة.

- اتفضلوا وشكرا فقد جاءت في الوقت المناسب، ضعوها هناك في
ركن الصالة. أعطتهم البقشيش بسخاء شديد ليعكس حالة انبساطها
من المفاجأة من زوجها، ويعكس حالة الاندهاش والسعادة الغامرة من
الرجلين، فقد وضعت في يد كل منهما ورقة مالية كبيرة تعكس أيضا
ثراء هذه العائلة.

عاشت السيدة في حالة هيام لم تعشها منذ سنوات على فرحة
هذه المفاجأة الكبرى من زوجها «الجينتلمان» في عيد زواجهما، وقررت
على الفور أن تشتري اليوم وليس غدا هدية له وصحبة ورد شيك تليق
بهذه المفاجأة وتليق بعيد زواجهما غير العادي هذا العام، ولن تخبره
بهذه الكنبة حتى تكتمل المفاجأة التي تصورتها.

- هانستأذن حضرتك بس ياريت كوباية مياة نشرب أحسن تعبنا
قوي من طلوع السلم.

- طبعا طبعا حالا، طيب اتفضلوا واقفلوا الباب وارتاحوا شوية من
السلم وعلى ماتشربوا حاجة؟

- شكرا لحضرتك لازم نمشي على طول علشان معانا حاجات لناس تانية. اتفضلي حضرتك واحنا هانستى على الباب.

دخلت السيدة المطبخ الذي يوجد وراء طرقة داخلية من البهو الكبير.

وكان هؤلاء الرجال يعرفون هذا البيت قطعة قطعة كما عرفوا يوم عيد الزواج، وكما عرفوا بتوقيت نزولها إلى العمل وتوقيت سفر زوجها. جرى أحدهم بجوار الكنبه، والثاني ظل عند الباب. وفي سرعة الضوء دخل الولد الذي كان يقف متخفيا في الخارج ودخل سحارة الكنبه في خفة وقفلوا عليه دون أن تشعر السيدة بأي شيء غير عادي.

شربوا المياه وتركوا الشقة، وبالطبع كانت وراءهم بقليل السيدة، ليخلو الجو لهذا الولد فيجمع ما خف وزنه وغلا سعره كما تم الاتفاق عليه أثناء تخطيط العملية تحت إشراف «أبو علاء» وفي وجود السيدات بما فيهم الشغالة عند أصحاب هذه الشقة. كانت التعليمات صارمة من الرجال إلى الولد أن ينهي كل شيء قبل أن تعود السيدة من العمل، وأن يترك الأشياء التي جمعها في سحارة الكنبه ويترك هو الشقة باستخدام نسخة المفتاح التي تم تجهيزها له من قبل.

ركبت السيدة السيارة وأدارتها بفرحة غامرة وكأنها تقودها لأول مرة، فقد شعرت بأن اليوم ليس كأى يوم، وزوجها ليس كأى زوج، وعيد زواجهما ليس كأى عيد. شعرت وكأنها ملكة وتاجها حب زوجها واهتمامه بها كل هذا الاهتمام. ترددت أن تعود إلى البيت وتترك

الذهاب إلى العمل اليوم؛ لتسعد بهدية الزواج، ولكنها آثرت أن تذهب إلى العمل لتحكي هناك لزميلاتها كيف يكون الزوج الحنون وكيف يكون التعبير عن الحب وكيف تترجم المشاعر وعن بعد. وقد كانت بالفعل فرصة كبيرة لها أن تفرد عضلات حياتها الزوجية أمام كل زملائها وزميلاتها في العمل لتكتمل حلقة المظاهر التي تسعدها.



امتلاً قلب «صلاح» بنوع من المشاعر الحلوة التي تخللت كل خلية في جسده حتى أصبحت كل خلية قلباً ينبض بحب ياسمين. لم يستطع أن يفسر أسباب كل هذا الحب الذي مس قلبه من أول لحظة رآها دون أن يدري، ثم نما هذا الحب في قلبه حتى فاض قلبه بحب ياسمين فتخلل دمه وأصبح جزءاً من كيانه يتنفسه ويحيا به.

كل كلمة سمعها من ياسمين وكل نظرة وكل همسة وكل ضحكة بريئة وكل إيماءة سكنت في قلبه حتى امتلاً قلبه بياسمين. لماذا ياسمين؟ لا يدري. هل لأنها مختلفة عنه؟ لا يدري. هل لأنها العقل والقلب الذي يتمناه صلاح الحقيقي؟ لا يدري. هل بسبب البراءة والجمال والتفاؤل التي تزين وجهها المشرق؟ بالتأكيد نعم. ومؤكد كل هذه الأسباب وغيرها من الأسباب الخفية التي لا يعلمها صلاح.

مشى «صلاح» وفي يده كيس الملابس القديمة في شوارع المدينة قاصدا الورشة التي يتم فيها تصليح سيارة ياسمين. ومع أن المسافة بعيدة جدا عليه ليمشيها، ومع أنه يشعر بوحشة كبيرة تجاه ياسمين

إلا أنه قرر أن يمسيها على قدميه ليفكر في نفسه وفيها ليستمتع بهذا الشعور الرومانسي الذي لم يشهده قلبه من قبل، ويخاف أن ينتهي مساء اليوم إذا تحدثت ياسمين مع والدها وعلم أين هي وجاء ليأخذها.

أراد «صلاح» أن يطيل فترة بقاء ياسمين في حجرته حتى ولو لم تكن أمامه. أراد أن تكون خطواته شاهدة على حبه، أراد أن يمسي في الناس ليخبرهم في سره بحبه ياسمين، أراد أن تكون خطواته شاهدة على حبه. كلما رأى فتاة في الشارع رأى ياسمين واشتاق إلى ياسمين.

أسرع «صلاح» الخطى نحو الورشة ليطمئن على سيارة ياسمين، وليجلس مكانها ويقودها إلى حيث تسكن ليفاجئها بسيارتها وبصلاح الجديد. ولكن يا ترى هل ستلقي بالآله، هل تحمل في قلبها ولو همسة واحدة من الهمسات التي تملأ قلبه باتساع العالم، هل حقا يستحق ياسمين، هل للحب أنياب وأشواك يدافع فيها عن نفسه ليحيا ويسعد المحبين ويحميهم من الحاسدين والمشككين والمعارضين. لماذا لا يكون هناك بوليس للحب يحمي كل المحبين ويعطيهم حقوقهم في حب الحياة كما يشاءون، لماذا كل هذه الأنانية من من يتفرون على الحب!

أه يا ياسمين لو تحملين لي ذرة من حب فلسوف أكون أقوى رجل في العالم بحبي، وأسعد رجل في العالم بقلبي، سوف أكون ألف صلاح وصلاح لأحبك بألف قلب وقلب، فقط أعطيني بعض الحب وأنا سوف أخلق «صلاحا» جديدا يستحق حبك ويستحق براءتك وأناقتك.

ولكن من أنا لتشعر به ياسمين، من أنا لتحبه ياسمين، إلا إذا كان الحب فوق كل القوانين.



وصل المعلم «محمود» إلى بيت صلاح ومعه الرجال والولد، وكله شوق أن تكون ياسمين هي دالينا التي يبحث عنها. دق المعلم «محمود» على الباب ليستأذن في الدخول على غير عادته، وذلك ظنا منه أنها دالينا.

ردت إحدى النسوة: ما تدخل ياللي بتخبط هو احنا من إمتى وبخبط! ادخل على طول. دخل على الفور المعلم «محمود» ومعه رجاله: إزيك يا ولية.. إمال فين صلاح؟

- صلاح برة يا معلم وزمانه جاي. خير فيه إيه كده اللي يخليك تيجي لصلاح ومعك الرجالة بربطة المعلم، حصل حاجة ولا إيه؟
- أبدا ما فيش حاجة بس بندور على حد. ونظر إلى ياسمين قائلاً:
إمال السنيورة تبقى مين؟ تلعثت «ياسمين» وشعرت بخوف من هذا الرجل خاصة في غياب صلاح وهو الوحيد الذي شعرت معه بالأمان في هذا المكان. صمتت «ياسمين» وخافت أن ترد حتى لا تقع في مشكلة، ونظرت إلى السيدات نظرة عطف ليتدخلوا للرد عليه بدلا منها.

- وانت مالك يا معلم بيها.. عايز تعرف هي مين ليه؟ السنيورة ضيف على صلاح من امبارح واحنا هنا معاها بناخد بالننا منها لحد ما صلاح بييجي. إنت عايز منها إيه؟

- انا مش عايز حاجة، عايز اعرف بس اسمها إيه.. وإيه اللي جابها عند صلاح؟ وإيه اللي خالها تلبس العباية دي؟ باين عليها مش من هنا، هدموها فين؟ هو صلاح خاطفها ولا إيه؟؟ قوليلي يا آنسة فيه إيه، عايز أعرف. ويحاول المعلم الحفاظ على تماسكه وعدم انفعاله حتى لا يتسبب في أذى مشاعرنا مخافة أن تكون بالفعل «داليا».

ازداد خوف «ياسمين» كثيرا، وبدأ جسدها ينتفض من شدة الخوف والقلق من هؤلاء الرجال ومن أسئلتهم، خاصة أن شكلهم غريب ومخيف. لم تستطع أن تتكلم أو تحاور هذا الرجل، فضلت الصمت حتى يجيء صلاح.

شعر المعلم «محمود» بخوفها فأقترب منها ليهدأها، ويحكي لها لماذا هو هنا وعن من يبحث، ولكن ما إن اقترب ليلمسها حتى صرخت ياسمين وبكت.

احتضنتها إحدى السيدات في حنان حتى تشعر بالأمان، وتصابحن في وجه المعلم «محمود»: إنت مالاكش كلام معاها هي عند راجل ولما بيجي أسأله.. كل اللي احنا عارفينه عنها إن اسمها ياسمين وإن صلاح مش خاطفها ولا حاجة، بالعكس ده قلقان عليها جدا من امبارح ويحاول يساعدها ويشوف طلباتها، أهو زمانه جاي ابقى أسأله.. دلوقتي بقى سيبها في حالها، البنيت يا حبة عيني خافت منك ومن العصابة اللي انت جاييها وراك دي.

توقف «محمود» وابتعد عن ياسمين وشعر بالحرج الشديد فصاح هو الآخر في النسوة: أنا مش عايز حاجة ولا يهمني صلاح خاطفها ولا لأ، أنا بس عايز أعرف هل هي داليل اللي أنا بدور عليها ولا واحدة تانية؟؟

وما إن سمعت «ياسمين» اسمها الحقيقي حتى زاد قلقها وتوقفت في صدر السيدة وتمنت لو صلاح هنا بجوارها، أو تتصل الآن بوالدها، ولكنها أصرت ألا تتكلم لخوفها من سبب السؤال، فلم يخطر في بالها أبداً أن والدها يعرف هؤلاء الرجال أو قد طلب منهم المساعدة.

- طيب، أنا هاسيبكم شوية وهارجع تاني لما صلاح بييجي طالما هي مش عايزة تتكلم وشكلها خايفة منا.



اقترب «صلاح» من الورشة، فزادت سرعة نبضات قلبه منذ لحظة جلوسه على مقعد ياسمين وقيادته لسيارتها، فידاه تلمس عجلة القيادة مكان لمسات ياسمين. كل لحظة تمر على صلاح الآن وهو يفكر في ياسمين تحوله إلى عاشق من الدرجة الأولى الذي يجد في عشقه سر وجوده في الحياة وسر استمرار دقات قلبه في نبضاتها وسر رجولته وسر خلق الله للقلوب.

- إيه الأخبار العربية يا معلم، يا تري خلصتها ولا لسة فيها شغل، أنا عايزها حالا علشان صاحبها عايزة تروح ومش عارفة.

- واللّه ظبطناها يا بوصول على قد ما قدرنا النهاردة علشان تمشي، بس محتاجين نشوفها تاني علشان نكمل السمكرة والدوكو.. وبعدين إيه النيولوك ده يا صلاح، أول مرة نشوفك كده، إنت وقعت على كنز ولا إيه؟؟ ولا خلاص سببت شغلتك وسببت كاندليه، احنا عارفينك عايز تهج من زمان وعارفين إنك مختلف. إيه الحكاية؟ رسينا ياريس.

- أبدا ياسطى، أنا بس قابلت صديق قديم، وبعد حكاوي كثير وهات وخذ في الكلام وَزَّني أعمل يا سيدي نيولوك وكمان على حسابه هديه منه بمناسبة صداقتنا، اترددت في الأول وبعدين قلت وإيه المانع نجرب حاجة جديدة، خلينا يا سيدي نعيش اللحظة ولو مرة من نفسنا.

- واللّه عندك حق يا ابو صلاح، الراجل منا لازم بمنجه نفسه ويروق مزاجه باللبس وبالأكل والخروج، يَعْنِي هانشقى وكمان ما فيش دلع. إنت لسه صغير يا صلاح وبرضه مثقف من يومك، فروق نفسك واخرج عن القالب اللي انت عايش فيه على طول، وعيش بره كاندليه شوية، هي هاطير يعني.

وبضحكة فيها هزار: طيب يا سيدي شكرا على النصيحة وشكلك كده مش هاتأخذ حق التصليح النهاردة علشان اعمل بنصيحتك ولا هاترجع في كلامك؟

- لآ يا أستاذ أنا عمري مارح في كلامي.. ولو عايز فلوس خد كمان، العربية جاهزة زي ما قلت خدها على ضمانتك والحساب يجمع بس ابقى هاتها تاني علشان نخلصها. وأدي المفاتيح. وعلى فكرة لقينا تليفون موبايل الظاهر بتاع السنيورة صاحبة العربية.. رن كتير بس مارضيناش نرد وبعدين قفلناه خالص لحد ماتيجي انت تتصرف.

- شكرا ياسطي على أمانتك وذوقك وكرمك، هات المفاتيح وأشوفك بعدين.

التهبت أنفاس «صلاح» عندما علم بالمكالمات التي وصلت ياسمين، فمؤكد أنها من والدها الذي مؤكد أنه منهار حاليا. يا ترى ماهو الصبح، هل أطلبه وأطمئنه قبل أن أذهب إلى ياسمين أم أنتظر حتى تتصل به ياسمين بنفسها؟ ولكن الوقت تأخر ومن المحتمل أن تؤجل ياسمين الاتصال إلى وقت آخر لتزيد من اشتياق أسرتها لها كما قالت. ولكن هذا لا يمكن، يجب أن أخبر والدها فهي في مسؤوليتي وكفى كل هذا الانتظار، خاصة أنها اصبحت أفضل حالا والسيارة الآن من الممكن سواقتها.

ركب «صلاح» السيارة وجلس على كرسي القيادة مكان ياسمين، فشعر بقشعريرة تنفذ أعماقه وتهز داخله كزلزال من مشاعر تنتفض وكأن للحب كهرباء. أدار المحرك ليعود إلى ياسمين بمفاجأة النيولوك والسيارة. ولكنه أصر أن يتصل بالدها قبل أن يعود إليها لتكن هي المفاجأة الثالثة، ومؤكد أنها سوف تتقبل ما فعله بصدر رحب. وبالفعل

بحث صلاح عن اسم والد ياسمين في تليفونها واتصل به ليرد والدها بكل شغف وبكاء ليمطر صلاح بسيل من الأسئلة كلها للاطمئنان عليها وعلى مكانها. هدا «صلاح» روع والدها وطمأنه أنها بأيدٍ أمينة، وحكى له عن الحادثة وأنها حاليا في حالة طيبة وموجودة مع بعض النسوة من الحي في بيته وأنه استلم سيارتها وهو الآن في طريقه إليها.

انزعج والدها جدا عندما علم بأنها في كاندليه، فكيف لها أن تذهب إلى هذا المكان ولماذا لم تتصل به حتى الآن ولماذا.. أخيرا تنفس والدها الصعداء عندما علم أنها بخير، وعندما وافق صلاح على إعطائه رقم تليفونه ليتأكد أن ما يقوله حقيقة وليس تلاعبا به تمهيدا لابتزاز مالي. وصف «صلاح» عنوان السكن للأستاذ «شوقي» والد ياسمين كما أخبره واستحلفه ألا يذكر ذلك لأحد حتى تتصل ياسمين به من جانبها احتراما لرغبتها، فالهاتف لم يكن معها منذ الصباح.

وافق «شوقي» بك على طلب صلاح، وبالتالي لم يتصل بالمعلم محمود الذي كلفه بالبحث عن داليل في كل مكان. وشكر صلاح كثيرا، ووعد به بأن يرد له هذا الجميل لشهامته ورجولته في الوقوف بجانب ابنته في محنتها واتصاله به وطمأنته.

أصر «صلاح» على شوقي بك ألا يتعب نفسه ويأتي لكاندليه، فسوف يحضرها بنفسه إلى مسكنها بعريبتها في خلال ساعة من الآن، وذلك بعدما يخبر ياسمين بهذا الاتصال.

شعر «صلاح» براحة كبيرة بعد أن طمأن والد ياسمين، وشعر أنه عمل واجبا كان يجب عليه منذ ساعات. استمر في قيادة السيارة نحو قلب ياسمين التي اشتاق إليها أيما اشتياق على الرغم من قرب الفراق، ولكن هناك أمل كبير يفترش جوانحه بأن الفراق لن يكون له مكان ولا زمان، كيف ولماذا لا يدري، ولكنه شعور كبير يملؤه بحالة تفائل تذيب كل هاجس يبعده عن ياسمين.



الفصل الثاني عشر

«وتركتهم لتخلو بنفسها في لحظات شاء القدر أن يصنعها
وينفذها بدقة بالغة لتفهم فيها معنى الحياة بعيدا عن كل
ما تعودت عليه من الرفاهية المطلقة...».

نزلت «ياسمين» إلى الشارع في صحبة النسوة مرتدية العباءة
السمراء التي تظهر بياض وجهها البريء والمشع بالأمل والحياة التي
تجري في عروقها، وتعكس بسمة لا تخفيها على شفيتها لكل ما تراه
حواليها في الشارع من متناقضات لما تعودت أن تراه خارج هذا الحي.

سمعت «ياسمين» كما من قاموس المصطلحات الذي لا تفهم معظم
مفرداته، ولكنها حاولت أن تفهم إحياءاته من لغة الجسد الحرة من
ساكني هذا الحي. نظر إليها الناس عن قرب وعن بعد ليروا ماذا
تخبئ هذه العباءة تحتها، هل هي صحفية أم باحثة اجتماعية أم مخبرة
أم من المؤسسات الاجتماعية أم من فاعلي الخير، ولكنها تأكدت أن لا
أحدا يلقي لها بالا من الخوف بل فقط من حب الاستطلاع وبالطبع
التحرش لو لم يكن معها هؤلاء النسوة من أهل الحي.

فجأة توقفت إحدى النسوة وأوقفت ياسمين: إيه ياختي، يعني
مشينا كتير في الشارع وما قولتيش حاجة يعني واحنا ساكتين، يعني
قعدت تتحايلي علينا كتير تنزلي الشارع ولما نزلنا شايفينك مسهمة كدة

وبتفريجي من غير ما تقولي ولا كلمة.. أقولك، تعالي نرتاح هنا شوية
في ساعة المغربية قدام البيت ده مع شوية النسوان دول وبعدين نرجع
قبل صلاح ما يرجع هو كمان أحسن يزعل مننا علشان ماقنلناوش.

- ماشي، موافقة تعالي نقعد معاها، أنا بصراحة مابتكلمش
علشان كل حاجة باشوفها حوالي غريبة وجديدة.. من ناحية فرحانة
إني يشوفها لأول مرة علشان فرصة أعرف جزء من مدينتي ما عرفش
عنه حاجة قبل كده ومن ناحية تانية زعلانة جدا على حال المنطقة
وأهلها إللي حاسة إنهم طيبين بس ما فيش رعاية ليهم لا من نفسهم
ولا من حد تاني، ليه مش عارفة! وده إللي خلاني أسرح في كل حاجة
باشوفها. بتمنى كنت أقدر أعمل حاجة للناس هنا علشان يبقوا زي
الناس اللي برة.

- ياختي كل اللي جه هنا زيك كده قال الكلام ده ولا عمل أي
حاجة ولا حد ها يعمل ولا احنا ها نعمل، الكل اتعود يشوفنا كده،
حكومة وناس واحنا كمان اتعودنا نشوف نفسنا كده.. تعالي تعالي نقعد
مع النسوان دول علشان تشوفي الستات اللي على أصولها. وضحكت
السيدة ضحكة عالية جدا وكأنها تسخر من ياسمين ومن النسوان ومن
الزمان والمكان، ضحكة تجمعت فيها كل ألحان سيمفونيات بيتهوفن
الصارخة.

أطلت «ياسمين» على وجود الستات الجالسين على الأرض،
والأطفال تجري هنا وهناك بينهن ووراء الدجاج والبط والأوز غير
مبالين لا بالقمامة التي غمرت أرجلهم، ولا بالطين الذي لطخ

أجسادهم، وكأن ما يفعله هؤلاء الأطفال أمام أمهاتهم في هذا الجو الفلكلوري العجيب هو سبب السعادة التي تتطلق من عيون ووجوههم، وضحكاتهم التي تزغرد في الهواء الذي يتخلل كل هذه العشوائيات بل يباركها .

جلست «ياسمين» القرفصاء تستمع إليهن، فما زالت تهاب المكان والزمان، وما زالت تتحسس كلماتها ونظراتها وإيماءاتها مخافة أن تخطئ فتعرض لنقد لاذع من إحداهن، ومع ذلك فهي مطمئنة لوجودها في حماية السيدات المرافقين لها .

- إزيك يا شابة .. مال وشك بهتان كده؟! إنت منين بتعملي إيه هنا؟ سياحة ولا عمل .. والله العباية هاتاكل منك حته. إيه ياولية إنت وهي، هي السنيورة وقعتوا عليها منين .. اوعى ياختي تكوني السنيورة اللي تايهة وأبوها قالب عليها الدنيا وبيدور عليها، على الله تكوني إنت، ده المعلم محمود قالب الدنيا وقرفنا معاه .

وما إن سمعت «ياسمين» كلام السيدة هذا حتى شعرت بالخوف مرة أخرى بعد أن نسيته مع نظرات المعلم محمود ورجاله منذ قليل قبل أن تطلب من السيدات أن تنزل معها الشارع للهروب منه حتى يأتي صلاح. ولكنها كتمت خوفها، وتمتت ببعض كلمات تؤكد فيها أنها ليست ضائعة، وطلبت أن تدخل الحمام، فقد فعل الخوف بها فعلته وأتاها شعور مفاجئ بالذهاب إلى الحمام الذي لم تفكر فيه منذ أمس .

- آيوة، تعالي يا شابة، تعالي ورايا يا حبيبتي، الحمام هناك أهو،
خدي راحتك.

ومع أن ياسمين كانت تتوق لاستخدام الحمام للانعزال بنفسها
ولو لدقائق بعيدا عن جو التحقيقات هذا، وفي نفس الوقت لترتاح من
شعور مفاجئ لم تفكر فيه ولم تشعر به منذ أمس، إلا أنها كاد أن
يغمى عليها عندما رأت حالة الحمام المذرية.

هل خلق الله هؤلاء الناس وتركهم؟ أم هؤلاء الناس هم من تركوا
الله بعد أن خلقهم؟ كيف يعيش الناس هنا هكذا، شيء لا يصدقه
العقل، كيف لا يشمئزون من القمامة والوحل والطين والتراب وفضلات
الحمام والجدران البائسة والأسقف المتساقطة والرطوبة الحالكة،
والكلاب والقطط والفئران الحرة في كل مكان. كيف هذا، شيء لا
يصدقه العقل. تعجبت «ياسمين» مما تراه، هل خلق الله الناس درجات
كما خلق الحيوانات درجات؟ هل فعلا الدنيا خلقت هكذا، غابة من
الناس بفروقات قوتهم المادية والسلطوية والفكرية والجسدية والمكانية؟

هل صمم الله خلق دنيا الإنسان لتحاكي دنيا الحيوان، أم أن
الإنسان ومعه الشيطان هو الذي صمم الدنيا على هذا النحو؟ هل
الدنيا صممت فقط في هذه المدينة أم أن كل مدن العالم قد صممت
هكذا؟ بالطبع لا، لم يصممها الله هكذا بدليل أن هناك العديد من
المدن التي زرتها في العالم لم تحوي أبدا مثل المكان هنا، إذن هو
الإنسان بأنانيته وحبه في التمييز ولو على حساب الآخر. . تعانقت
وتسارعت كل هذه الأفكار في رأس ياسمين بعد أن هالها منظر وحالة
الحمام المذرية.

أفاقت «ياسمين» من أفكارها على الرائحة الكريهة الصادرة من الحمام وكاد أن يغمى عليها، فأصيبت بشعور مفاجئ من الدوار من جراء الرائحة والمنظر الذي لم تتحمل عيناها الرقيقتان أن تراه. ارتكنت على الحائط، وتهاوى جسدها رويدا رويدا حتى سقطت دون أن تدري. فسمع النسوة ارتطام جسدها الذي تممدد على الأرض، وعيناها ما زالت مفتوحة على النسوة والمكان.

جرت السيدات في حالة فزع مما حدث لياسمين، وكالعادة حاولوا افاقتها بفحل بصل ولكنها ما زالت لا تستجيب، وأرادت أن تصرخ بأعلى صوتها، أرجوكم أخرجوني حالا من هذا المكان، ولكن لم يسمع أحد صراخها الواهن بداخلها.

أسرعت إحدى النسوة المرافقين لها بالنداء على صبي على عربة كارو ليأتي إليها، وأمرت الجميع أن يحملوها سويا على العربة إلى حجرة صلاح لعلها تهدأ هناك، ولعلها تستطيع استعمال الحمام. حملوها النسوة ووضعوها على عربة الكارو، وأسرع الحمار إلى سكن صلاح تحت سياط كرياج الصبي العربي ومازالت عينا ياسمين مفتحة، وما زالت تتمنى دخول الحمام، ولكن لا تدري كيف تحدث هذه المعجزة الآن.

اقترب الحمار بعربته وحمولته من المسجد القريب من سكن صلاح ولاحظ إمام المسجد هذا المنظر، فتاة مسنودة على صدر النسوة، وواضح من ملامحها أنها غريبة عن المنطقة. وبتوجس أوقف الشيخ الحمار ليعرف ما الخطب من الفتاة ومن النسوة، فلم تجب

الفتاة من ضعفها ومن إحراجها، ولكن على الفور تتطوعت السيدات وأخبرنه بما حدث على التو عند الحمام هناك.

فهم الرجل السبب وراء هذه الدوخة المفاجئة للفتاة، ولم يشأ أن يسأل عنها ولا عن مقصدها ولكنه وعلى الفور طلب منهن إدخالها المسجد لإنعاشها. وبالفعل حمل النسوة ياسمين إلى ساحة المسجد في أقرب مكان.

أسرع الشيخ بإحضار بعض المسك والكولونيا التي يحتفظ بها لزوم خطبة الجمعة، وأشعل البخور على الفور وانفجرت أساريه عندما لاحظ استرداد ياسمين لقواها، ولابتسامتها العريضة له وهي تعبر له بانسراح عن امتنانها لما فعله، والقدر الذي ساقه إليها في اللحظة الحاسمة.

لاحظت «ياسمين» نظافة المسجد واعتناء الرجل به، واختلافه تماما عن باقي المنطقة، وهنا تأكد لها بالدليل القاطع أن الدين وكماله فوق الفوارق الإنسانية. ارتاحت كثيرا لهذا المسجد، وتمنت أن يكون فيه حمام. لم تكمل أفكارها حتى أكمل الشيخ جميله وكأنه قرأ أفكارها، هنا يابنتي حمام نظيف ممكن تستعمليه واحنا هاننتظرك هنا.

بابتسامه عريضة مملوءة بكل تشكرات العالم، شكرا يا حضرة الشيخ. وتركتهم لتخلو بنفسها في لحظات شاء القدر أن يصنعها وينفذها بدقة بالغة لتفهم فيها معنى الحياة بعيدا عن الرفاهية المطلقة..



الفصل الثالث عشر

«وهنا تأكد لالصبى أن ما يفعله رجال كاندليه مع بعض الناس ليس من فراغ بل من واقع مرير. وهنا فقط زاد تعلقه بكاندليه».

الفقير يسرق والغني يسرق والضعيف لا يسرق. و يعلم أهل كاندليه جيدا أن هناك الكثير من رجال الأعمال الخاصة والحكومية ممن يسطون وبدون وجه حق على ما تحت أيديهم أو أيدي الآخرين. ويعلمون جيدا أن السارق لا يعطي أبدا المسروق منه وإلا ما سرق بل يمتد فجره لاستخدام المسروق منه ومن الفقير نفسه. ويعلم أهل كاندليه أيضا أنهم في حاجة ماسة إلى المال لكي تسير حياتهم على الرغم من أعمالهم الشاقة من ناحية، والمذرية من ناحية أخرى. ولهذه الأسباب لا يشعر سكان هذه المنطقة بأي ذنب عندما يخططون للسطو أو يحصلون على غلال السطو. وبهذه القناعة خطط «أبو علاء» للسطو المقتن على بيت من البيوت المعروفة لكي يحصل على بعض الأشياء الثمينة ليبيعه ويقسمها على أفراد مجموعته الفقراء.

يا ترى هل ما يحدث في المناطق العشوائية مثل كاندليه امتداد لعصر الفتوة الذي ساد في عصر طويل في مصر، يقوم فيه الفتوة بحماية أهل الحي مقابل دية من ساكنيه. أم أنه امتداد لعصر «أدهم

الشرقاوي» والذي كان يقوم فيه أدهم بالسطو على الأغنياء لصالح الفقراء. أم أن لكل عصر مفردات وآليات قوته المسيطرة من قبل الفقراء على الأغنياء ومن قبل الأغنياء على الفقراء.

يا ترى هل ينطبق مصطلح الفقراء على أهل العشوائيات أم أنهم نتائج لمجرمي الفقر والحاجة. فكما أن هناك مجرمي الحرب فهناك أيضا مجرمي الفقر. و هل هم حقا السبب في الفقر والحاجة أم هو المجتمع وبنאוّه المغشوش. وهل كان الفقر يوما ما سببا للسطو أم أن السطو هو من التأثيرات الجانبية للفقر حتى تحول من عرض يترك إلى حق مكتسب. وإذا كنا نريد من هذه المجتمعات الآلية للسقوط حياة بعيدة عن الإجرام فما دورنا في ذلك

هل من الممكن أن تتحول العشش إلى منتجعات سكنية، من يدري لعل ذلك يحدث كما حدث في الزمالك التي تحولت من عشش إلى حي أرقى أحياء القاهرة. ولكن هل للماضي أن يتكرر، بالطبع نعم ولكن إذا استطعنا نحن بناء إهرامات جديدة بسواعدنا.

«صلاح» من أهل كاندليه وعباس وأمه من أهل كاندليه ومن أهل الحاجة والفقر والعَوَز، ولكنهم مختلفون ولو قليلا عن الآخرين، لمجرد أن صلاح تعلم قليلا وفكر كثيرا، ولأن الصبي عباس يخرج معه كثيرا فتأثر به، وأم عباس مختلفة لأن هناك شيء ما بداخلها متعلق بالأصول، ومؤكد هذا الشيء موجود في صدور معظم ساكني كاندليه. عندما نزل الوحي على سيدنا «محمد» اهتم بالفقراء والمحتاجين وبدأ بهم حتى يتساوى الجميع تحت لوائه. وقد كان هذا من أهم أسباب

الدعوة المحمدية وإلا شابها العوار. وحتى بعد نجاح الدعوة وثباتها عزز الحق حقوق المحتاج والفقير والمسكين في أموال الأغنياء بالزكاة ومن بعدها الصدقة. ولكن لا هذا ولا ذلك يطبقه عامة الناس وبالتالي تحول أفراد المجتمع إلى أخذ حقوقهم بطريقتهم. ومن هنا جاءت قناعة أهل كاندليه، جهل وفقير وحاجة مع طموح ورغبة عارمة في حياة كريمة ولو بأقل الأسباب. هكذا وُلد ونما وينمو مجتمع كاندليه بخليط من أبو علاء وصلاح ومحمود وعباس وأم عباس.



انتظر «أبو علاء» الصباح على أحر من الجمر ليجمع غلال الأمس التي سوف يضعها الصبي عباس في الكنبة كما اتفق عليه. قاربت الساعة التاسعة عشر مساءً ولم يأت رجاله بالكنبة. اشتاط غضبا مخافة من فشل المخطط الذي يعول عليه كثيراً في مصروفات الشهور القادمة. اتصل بالعرجي وبالعتال وبالصبي عباس ليعرف ما الأمر. وبعد عدة محاولات رد العتال على مكالمته ليُفاجأ المعلم أبو علاء أن العتال يخبره أنه وجد الكنبة فارغة تماماً من أي شيء!

ازداد غضب «أبو علاء» من هذه المفاجأة المؤلمة ولم يصدقها على الرغم من القسم الذي أقسمه العتال والصبي عباس الذي كان يرافقه. لم ينتظر أبو علاء وجرى إليهم ليرى بنفسه ما الخطب، وطلب العرجي أن يسبقه إلى هناك بعد أن تأكد منه أنه وجد الكنبة خاوية عندما فتحها أسفل العمارة.

وما إن وصل أبو علاء حتى انتفض عباس والعتال والعرجي
معربين عن غضبهم من الصبي الذي لا يريد أن يقص الحقيقة إلا
بوجود أبو علاء. وهنا ازداد تعجب أبو علاء مما يحدث، فكل شيء
كان مرسوماً بالمسطرة، والصبي كان متحمساً جداً وكذلك أمه لم تبدِ
اعتراضاً في نهاية اجتماعهم على لتخطيط لهذه العملية.

- إيه إلهي حصل ياد يا عباس؟ العملية باظت إزاي على إيديك بعد
التعب اللي تعبناه والتخطيط اللي ما يخرش المياه!!
- واللّه ياريس أنا هاقولك الحقيقة بس ماتضربنيش لأنّي ماليش
ذنب فيها.

- انطق قول، إيه اللي حصل؟

- بعد الست ما خرجت من البيت، خرجت أنا من الكنبه على طول.
ورُحّت أدور على الحاجات اللي أمي قالتلي عليها في الأماكن
بتاعتها، وجمعت حاجات كتير و حايطها في الكيس الكبير إلهي
كان معايا، وبعدين شلت الكيس على ضهري ورحت أفرغه في
الكنبة لقيت تليفون جايلي من أمي بتقوللي اوعي تحط حاجة في
الكنبة من الشقة، دول ناس باشتغل عندهم ومش ممكن أخونهم
أبداً.

- يابن الإيه إنت!! هي مش كانت معنا لآخر لحظة وكانت بتتمرقع
الأول وتقول لأ وبعدين وافقت على الخطة.. وبعدها قالت لنا على
المواعيد اللي بيروحوا فيها الشغل وبيسافروا، وكمان على أماكن

الحاجة بالطبطب!؟ فجأة بقي أمك ضميرها صحي علشان تبوظلنا الدنيا، ينعلك وينعل أمك واللي جابكم.

- والله يا ريس مالي ذنب، هي قالتلي لو حظيت حاجة في الكنبه هاموتك أنا وأبوك وها تبقى ليلتك سودة.. وإنك عارف أمي بقي. ولما قولتلها ليه مانتِ اللي قايلالي، قالتلي أنا فكرت في الموضوع تاني ورجعت لعقلي ومش ممكن أسرق الناس اللي ائتموني. علشان كده سمعت كلامها، بس على ماجيت أحط الحاجة تاني في مكانها حصلت حاجة خلتنى اتلبش وأغير رأيي وأحط الحاجة تاني في الكنبه حتى لو أمي مش موافقة.

- إمال إيه إلهي حصل بقي يا حيلة أمك وخلاك متحطهاش، ونطلع بالكنبه ناشفة. لقيت حد نط على الشقة غيرك؟؟

رد العتال: سيب الولا بقي ياريس أبو علاء وأنا هاحكيلك اللي قالهولي، الولد خايف من ساعتها وماتلمش على روحه ونزل من الشقة من هناك بالعافية. وانت عارف الولد عباس ده بالذات مش بيكذب أبدا ولو على رقبته، ما انت عارف طالع لصلاح ياسيدي اللي بياخده معاه في كل حته لحد ما اتعدى منه.

- يا سيدي خلصني، ينعل الولا على صلاح، احك يا سيدي أم الحكاوي بتاعتك، ما احنا بقينا بتوع كلام وخلص.

- يا سيدي اللي حصل إن الولا فوجئ بحد بيدخل من الباب والحد ده كان جوز الست وواحدة معاه. الولا اتكلبش وساعتها

كان في أوضة الضيوف فاستخبي ورا ستارة ومعاه الكيس اللي فيه الحاجة إللي جمعها .

- إزاي الكلام ده، هو الراجل مش المفروض مسافر واحنا شغلناه بالتليفون لحد ما مراته وافقت تاخذ الكنبه. إيه اللخبطة دي. وبعدين إزاي الولا عرف إن الرجل ده جوز الست؟

- الولا عارفه وعارف صوته كويس لأنه كان يروح مع أمه من وقت للتاني، فعرفه لما سمع صوته. المهم إن الولا سمع جوزها وهو بيتكلم مع الست وبطريقة كلها دلح ومرقعة على نجاح الخطة اللي رسمها على مراته اللي صدقت إنه مسافر وإن الوقت حاليًا متاح ليهم ليحتفلوا بآخر عملية بيع للأدوية المحذورة في سرير مراته قبل مايجي بعد ٦ ساعات من دلوقتي. الولد اتخشب مكانه أحسن يشوفوه أو يحسوا بيه ويمسكوه وتبقى مصيبة.

قاطعه «أبو علاء»: طيب ياريت كان مسكوه علشان الواد كان أرّ عليهم وعلى وساختهم في الغش والخيانة، مش قلتكم إن دول ولاد كلب وحلال نسرق حباب عندهم. ووجه حديثه للصبي عباس: وبعدين ياوولا احكي لي انت الحطة الحلوة دي وبالتفصيل الممل وعلى البطيء، عايز استمتع يا ولا على الأقل أطلع بحكاية أقولها لصحابي الليلا دي مع حجرين الحشيش. قال رجال أعمال قال، دول رجال غش وجنس وخيانة ومسخرة. قول ياللا احكي لي.

- هما دخلوا يا معلم أوضة النوم من هنا وسمعت صوت مزيكا ورقص وهيصة وهأهأة جامدة وبعد كده الصوت قل، وهنا قلت بقى أنا هاخذ الحاجة هاخذها، جوزها مايستهلش كلام أمي وحلال سرقتها. شيلت الكيس تاني علشان أروح أحطه في الكنبة وافتح الباب واهرب على طول، وهنا وحظي الأسود لقيت الراجل خارج من أوضة النوم ومعاه فلوس في شنطة صغيرة بيديها للست اللي معاه وبيقولها تعالي في الصالة شوية قبل ماتمشي تحسبنا لأي ظرف. الراجل فوجئ بالكنبة فضحك قوي وقال للست الظاهر مراتي عاملالي مفاجأة في عيد زواجنا وجابت الكنبة الجميلة دي.. بلاش نقعد عليها علشان ماتشكش في حاجة وقعدوا على الكنبة اللي قدامها، بس شوية على الكنبة وشوية يدخلوا الأوضة وهما بيجروا ورا بعض وبيهزروا. انا اتسمرت مكاني وخفت وكنت حاسس إنهم هايحسوا بي بس ربنا ستر.

- طيب ما كده حلو أهو ولقيتهم متيلين على عنيهم، ما حطتش الحاجة ليه بقى في الكنبة ونزلت في أي وقت دخلوا فيه جوة!! خايب زي أبوك وزى صلاح بتاعك، كلكوا عينة واحدة خايبة وهاتخبونا معاكم. كمل كمل يا حيلة أمك.. ماستخبتشني ليه لحد مايتيلوا يخرجوا وتحط الحاجة وتنزل لأنه أكيد هاينزل قبل ما مراته ما تيجي؟

- يا معلم، الموضوع كان صعب. بس أنا عموما لما لقيتهم كده قلت هاسيب الحاجة معايا زي ما هي وبعدين أحطها واخرج بسرعة

أول ما يدخلوا الأوضة. ولكن فوجئت بمراته هي كمان رجعت بدري على غير عاداتها ودي كانت المصيبة الكبيرة لأنها عارفاني. فجريت على بلكونة الحمام وسييت الحاجة علشان أستعد يا إما للهروب من على مواسير المجاري أو من الباب لو عرفت.. دخلت الست مراته تغني ومبسوطة وراحت على أوضة النوم وهنا سمعت زعيق وصريخ وشتيمة ومواويل من مراته ومنه، وقعدت تصرخ وتقول تخوني مع صحبتي يا مجرم يا بن المجرم وأنا اللي افكرتك جايب الكنبه في عيد زواجنا أتاريك جايبها علشان تيمني أنا وتنام انت مع العاهرة بتاعتك اللي عامله صحبتي. أنا سمعت كده، فقممت نازل جري من على مواسير المجاري ومنه على المنور على بره ويا فكيك.

- وشك شؤم ياللا، مش هاتشتغل معانا تاني، خليك جنب أمك بقى هَشْ ونَشْ وتببش، ما انتوا فقر مالكوش في الخير. إمال يا معلم انت وهو جبتوا الكنبه إزاي، ولا سيبتوها هناك زي الشطار؟

- نسيبها ايه بس يا ريس، احنا رُحنا على الميعاد اللي اتفقنا عليه لأن الولا عباس ماجلناش على طول فمعرفةناش اللي حصل. خبطنا على الباب طلعتنا الست وهي بتزعق مع جوزها وطايحين في بعض وماسكة في أيدها سكينه وبتهدده وراحة كمان تقطع الكنبه انتقاما منه لسه متخيلة برضه بخبيبتها إنه هو اللي اشتراها. طبعا جرينا عليها ولحقناها وفاهمنها ان احنا جنبناها على عنوان غلط وإن جوزها ماشرهاش ولا حاجة وده تشابه أسماء.. الست طبعا

انهارت لما عرفت إنه ماجبش حاجة ولا فاكرها ولكن بيخونها في سريرها ومع صاحبته. أغمى عليها واحنا أخذنا الكتبة وسيننا جوزها يفوقها وخرجت صاحبته تجري تجري على السلالم. ده كل اللي حصل يا معلم.

- يا ولاد الإيه، دول طلعلوا ناس فالصوا قوي وعاملينلي فيها بهوات وبشوات، دا أنا مش هاسيبيهم بعد كده، ده أنا هاقصقص ريشهم أول بول، وابقى خلّي أمك بقى تقول لأ يا نئوس عين أمك. علش لن تعرفوا إن احنا أرجل منهم وأشرف منهم.. صح ياد يا عباس ولا لأ؟!

وهنا أطرق «عباس» في الأرض مجيبا بالإيجاب: أيوة يا ريس، أنا وأمّي غلطانين. وهنا تأكد لعباس الصبي أن ما يفعله رجال كاندليه مع بعض الناس ليس من فراغ بل من واقع مرير. وهنا فقط زاد تعلقه بكاندليه.



obseikan.com

الفصل الرابع عشر

«ياسمين أنتِ زهرة لا تقطف، أنتِ أقحوانة من عنبر،
أنتِ حواء من سلسبيل، أنتِ الحياة سكنت في قلبها الأيام
الضاحكة، أنتِ طريق العمر الطويل، وأنا مجرد عابر سبيل».

تحولت المسافة إلى مسكنه إلى طريق من ألف ميل، فكلما
اقتربت السيارة من حي كانديه كلما اضطرب قلبه وانتفض جلده
وشعر بخجل مما فعله من تغيير هيئته. لماذا أغير هيئتي، هل يحتاج
الإنسان أن يغير مظهره ليلقى إعجاب الناس. ولكن ياسمين ليست من
عوام الناس يا صلاح. نعم هي تستحق أن أفعل كل ما يرضيها، فهي
ليست كأى فتاة، هي من رق قلبي لها وامتلاً بحبها. هي رأيتي وأنا
«صلاح» كانديه، وارتاحت لكلامي وفكري وفلسفتي وأشعاري، فمؤكد
أنها ستفاجأ بهذا التغيير وسوف ترحب، ومؤكد سوف تكون مفاجأة
تسررها فلا داعٍ إلى القلق، فهي إنسانة متفتحة العقل ورفيقة القلب
ورائعة الفكر. فلأنحي أفكارى هذه وقلبي جانباً، ولأكون مستعداً لتلك
الحظة الجميلة التي أراها فيها وتراني، فقد شعرت أني تركتها منذ
أيام وليس فقط منذ ساعات.

آه يا صلاح، تبا لهذا الحب الذي أذاب قلبي على غرة، حب له
بداية ولكن بلا نهاية، حب قد يكون من طرف واحد، طرف خيطه

رفيع نبت في قلبي وانتهى في قلبها، ولكن المسافات التي سوف تخطوها
ياسمين هي التي سوف تتحكم في بقائه أو قطعه. آه يا آدم، ليتك
كنت معي الآن تشد من أزري وترى ياسمين لتخبرني عن لغات عينيها
عندما تراني، وعن أسرار كلماتها عندما تتحدث إليّ، مؤكد يا أدهم
كنت ستفهم مشاعرها وتترجمها لي لأرسو على الشاطئ، شاطئ
الحياة، أو أغرق في بحور الحياة العميقة.

أخذ «صلاح» يتحدث إلى نفسه دون أن يدري وكأن هناك صلاح
آخر يسكن داخله ويحاوره، صلاح يقاوم أفكاره ورغباته ويذكره بصلاح
كاندليه وبفقر يديه وفقر تعليمه وفقر اجتماعياته. شعر صلاح وكأنه
مشئت بين صلاح كاندليه وصلاح الآخر ولم يشعر إلا وهو أمام بيته
بكاندليه والأولاد منطلقون في الشارع يجرون ناحية السيارة مهملين
وكانه يقود طائرة وليست سيارة هبطت عليهم من السماء وصلاح
فوقها كالفارس المهيمن على سماء كاندليه.

ابتسم في نفسه وشعر بقشعريرة من هذا الصخب المرعب به
والذي سرعان ما تلاشى عندما ظهر صلاح بهيئته أمام الأولاد لينقلب
الترحاب والتهليل إلى فتور وسخرية بعد أن فقدوا الآمال العراض في
الحصول على أي حسنة من غريب قادم، فصلاح لا يعطي حسنات.

تحول فتور الأولاد إلى صياح وتهليل وسخرية من الهيئة الجديدة
التي ظهر عليها صلاح باللبس الجديد وقصة الشعر الجديدة والوجه
اللامع الذي اختفت منه أثار الأتربة والغبار ليبدو وكأنه وجه سينمائي
جديد .

يبدو أن هيئة صلاح قد تغيرت كثيرا مما جعل الأولاد يقتربون منه أكثر وأكثر ليتحسسوه وهو لا يريد أن يمنعمهم فهو يحبهم جميعا ويعاملهم برقة مختلفة عن باقي رجال المنطقة. ولكن تمادي الأولاد في حب الاستطلاع فأمطروه بوابل من الأسئلة بطريقة فيها شيء من السخرية ولولا حبهم له وتعلقهم به لرأى منهم مالا يسر جراء هذا التحول غير المبرر.

الغريب أن الأولاد عندما رأوا صلاح ثابتا في مظهره ولم يتأثر بكلامهم واستخفافاتهم هدأوا وتحولوا إلى قطط هادئة تتمسح في صاحبها لعله يوجد عليها بشيء لظنهم أنه من المحتمل أن يكون بالفعل تغير ووقع على كَنز أو نصبة كبيرة وأصبح معلما كبيرا على هيئة أستاذ.

وهنا ابتسم «صلاح» وأقر بأن المظهر فعلا غلاب ومُقلب العقول من هازئة إلى طالبة ومتمسحة وراغبة. وتأكد له أيضا أنه أصبح صلاح آخر بمجرد تغييره الهندام وقصة الشعر ولمعان الوجه، نعم أصبحت صلاح آخر في عين الأطفال حتى صدقوا ما رأوه، ولكن ماذا عن ياسمين، هل سيعجبها الحال أم سوف يكون مسارا لسخرية بطريقة أكثر تحضرا. اهدأ يا صلاح وسوف ترى بنفسك تغييراتها في دقائق.

أغلق صلاح السيارة وحاول أن يبعد الأولاد عنه ونظر إلى أعلى ناحية ياسمين التي كان يتمنى أن تكون هناك على الباب في انتظاره. ولكنه وجد حجرته هادئة، لا صوت لها ولا للنسوة. خفق قلبه خوفا

عليها. دخل الحجره مسرعا ليرى ما إذا كانت نائمة بالداخل فلم يجد أحدا، ولكنه لاحظ وجود كيس ملابسها ما زال في ركن الحجره. أمسك الكيس وتحسس ملابسها وكأنه يتبارك بها حتى يجدها.

جن جنون صلاح، أين ذهبت ياسمين، هل اتصلت بوالدها وجاء وأخذها، ولكن أبوها وعده ألا يتصل بها حتى يهيئ صلاح الأمور على حسب رغباتها. حتى ولو، فكيف وتليفونها معي في السيارة، هل اتصلت به من تليفون أحد النسوة. هل أخذها النسوة إلى مكان ما في المنطقة، ولكن كيف وبدون إذني. جن جنونه وعاد إلى العربة يقودها في كل مكان في كاندليه يبحث عنها أمام كل بيت وفي كل حارة ولكن لا جدوى.

وفجأة شاهد «عباس» وهو يجري مع الأولاد في الشارع فأوقفه «صلاح» وسأله عن أمه وباقي النسوة اللاتي كن مع ياسمين قبل أن يتركها منذ ساعات. لم يرد «عباس» ولم يتكلم ولكن أشار بيده ناحية المسجد. تعجب صلاح ولم يفهم ماذا يقصد عباس. أعاد عليه السؤال وطلب منه أن يتكلم ليفهم ليتبدد قلقه الذي تملكه كله:

اتكلم يا عباس، فين يابني أمك وفين ياسمين، هي وادتها فين؟؟

وبعد صمت نطق عباس: يا صلاح هو كل حاجة أمي أمي، النهاردة يا سيدي كان يوم طويل وحصلت حاجات كثيرة وانت بتجيب العريية. من ناحية العمليه اللي كان المعلم أبو علاء بيخططها باظت وجاب الهم عليّ أنا وأمي. ومن ناحية ثانية، ياسمين خرجت مع نسوان الحتة ومعاهم أمي يشوفوا الشوارع والبيوت علشان ياسمين كانت عايزة كده.

- طيب هما فين دلوقتي يا عباس أنا بدأت أقلق يابني، قولي هما فين، وازاي يوافقوا على كلامها ويخرجوا، دي ممكن تتعب من المناظر، يابني دي مش زيننا خالص ومش واخدة على المناظر الوحشة والمقرفة اللي ممكن تشوفها لو دخلت أي مكان. ربنا يستر.

- واللّه ده اللي حصل يا صلاح.. وهي فعلا تعبت وحاليا في الجامع. عموما انت ممكن تروح تلحقهم هناك مع الشيخ.. أما موضوع العملية ده هاكيهولك بعدين علشان موضوع كبير ولازم تعرفه. وكمان في حاجة أهم حصلت مع ياسمين عندك في الأوضة مع المعلم محمود.

تأرجح قلب صلاح يمينا وشمالا وهو يسمع من الصبي عباس عن وجود ياسمين في المسجد وعن المعلم محمود، اضطرب عقله وتفكيره وتأكد أن شيئا ما حدث وتملكه القلق، وهرول نحو المسجد عليه يلحق بياسمين هناك ليعرف ما الخبر. أكل هذا يحدث يا ياسمين في الساعات التي تركتك فيها. هرول صلاح وهو يحدث نفسه بهذه الكلمات وهو في حالة قلق شديدة تكاد تمزق قلبه وتمتت عقله.



- أهلا يا أبو صلاح.. فينك من الصبح يابني، سببت ياسمين ورحت فين، دي البنية خرجت معنا تشوف الحطة وبعدين فجأة تعبت وداخت مننا والحمد لله الشيخ ساعدنا.

لم يستمع «صلاح» إلى كلامهن، فقد نظر يمينا وشمالا وحوله في المسجد ليجدها هناك متكئة على الحائط في هدوء، ساقاها ممددة من تحت العباءة، والشيخ يجلس بالقرب منها. هرول صلاح إليها كالمجنون: مالك يا ياسمين.. إيه إلهي حصل؟؟ ولية سييتي البيت وخرجت من غيري. تمنى صلاح أن يضع راحة يده على جبين وخذ ياسمين لتطمئن حواسه وتتأكد مشاعره أنها بخير، ولكنه لم يستطع، وتوقفت يدها بجانبه بلا حراك. نسي صلاح تماما هيئته الجديدة ولم يتذكرها إلا عندما فوجئ بوجه ياسمين يبتسم ابتسامة بعرض الحياة واتساع السماء وهي تقول له وبصوت خافت: ما أجملك يا صلاح في هيئتك الجديدة! ما أروعك في أي هيئة جديدة أم قديمة! فصلاح هو الهيئة. هنا تذكر صلاح هيئته الجديدة وتبددت مخاوفه، ولكنه ما زال يخشى أن ما تقوله ياسمين الآن ما هو إلا طيبة لمشاعره حتى لا تجرحه.

علقت إحدى النسوة من بعد: إمال إيه صحيح يا صلاح اللي انت عامله في نفسك ده؟! هو انت هاتتبرى منا ولا إيه؟! ولا خلاص شوفتلك شوفة جديدة، اللي بينسى أصله يا صلاح بينسى فصله وبيتوه في الحياة.

ردت أخرى: والنبي ياختي هو شكله كده يجنن، ماتسبيه يفرح بنفسه وهو حد واخذ منها حاجة، خاليه يدلع ويلبس حلو على راحته بدل ما هو طالع داخل علينا بنفس المنظر التعبان.

علقت أخرى: ياختي هو حر بس يكون قادر على اللي بيعملوا، الموضوع مش كلام، ده فلوس.. هو أدري بنفسه. ولأ أنت رأيك إيه يا ياسمين؟

ردت ياسمين وهي ما زالت تحتفظ بابتسامتها على شفيتها وكأنها تريد أن تعضد موقف صلاح: والله أنا شايفة إن الفلوس مش هيه المشكلة خالص، لأن ممكن الواحد يشتري طقم واحد أو اتنين بالكثير ويلبسهم بعد الشغل ليمتع نفسه وجسده ومشاعره حتى لو كانت الملابس رخيصة.. وبصراحة أنا مبسوطة من الطقم ده جدا ياصلاح وذوقك شيك وقصة شعرك الجديدة جنان مع إنني كنت اتعودت خلاص على صلاح قبل التغيير. وضحكت «ياسمين» ضحكة جعلتها تستند على الجدار. وهنا مد صلاح ودون أن يدري راحتيه ليسندها ولم تعقب هي بأي ملامة أو عتاب بل تركته يساعدها في الاعتدال على الحائط.

- ياخويا على حنيتك! من إمتى ده كله، باين عليك وقعت ومحدث سمى عليك، احنا كده فهمنا الفولة، إنت عملت كده علشان تعجب السنيورة. بس يا حبيبي خيالك راح لبعيد قوي يا حبة عيني، العين ما تطلعش على الحاجب، ولا الميه بتطلع للعلالي يا حبيبي. إنت حبيت البنية ولا إيه؟! يا بني ماينفعش، دا انت لسه عارفها يدوبك من يوم، لحقت يا بو قلب حنين، يا ابو قلب ورق.. بكرة ياسمين تقطع قلبك الورق ده قبل ما تكتب فيه كلمة واحدة، وابقى خليك فاكر كلامي ده.

تضايقت «ياسمين» جدا من كلام هذه السيدة الموجه إلى صلاح، خاصة لإحساسها بالحرج الشديد الذي بان على ملامح وجهها، فردت بسرعة لكي تلطف من وقع الكلام عليه: إزاي بقى؟ صلاح صحيح مش متعلم ولكنه مثقف وأديب متخفي في هيئته وعمله وعلاقاته.. أنا شخصيا معجبة جدا بصلاح وبطريقته المختلفة عن باقي رجاله

الحتة، أنا متأكدة إنه هايكون حاجة كبيرة وبكرة تشوفوا . وأضافت مع ابتسامة عالقة على شفتيها الرقيقتين: أنا وصلاح خلاص بقينا أصدقاء بالعند فيكم ومش هانسيب بعض أبدا .

مع أن كلام «ياسمين» قد أزال الحرج عنه وطببطب على قلبه وهدأ من مخاوفه، إلا أن صلاح سرعان ما تملكه خوف من أن يكون رد ياسمين ما هو إلا إنقاذ لموقفه أمام سيدات المنطقة أو شفقة عليه ورحمة بمشاعره وامتنانا لوقوفه بجوارها في محنتها، خاصة أنها ما زالت في كنفه وحمائته في هذه المنطقة التي لا تعرف فيها أحدا غيره . ولما تملكه هذا الإحساس اغرورقت عيناه بحيات من الدمع الخجول الذي حبسه في مآقيه مخافة أن يسيل أمامها وهو الرجل الذي يزين حبه برجولة لا تعرف دموع المواقف .

تهد «صلاح» تهيدة جمع فيها كل حرمان العمر، تهيدة كادت أن تحطم جدران قلبه المحب، تهيدة بث فيها كل آماله في الحياة بالقرب من ياسمين، تهيدة نطقت بلطف المشاعر الحانية بقلبه وبكلمات قالها لياسمين غير عابئ بهؤلاء النسوة: «ياسمين أنت زهرة لا تقطف، أنت أقحوانة من عنبر، أنت حواء من سلسبيل، أنت الحياة سكنت في قلبها الأيام الضاحكة، أنت طريق العمر الطويل، وأنا مجرد عابر سبيل» .

لم يدر «صلاح» بنفسه وهو يرسل هذه المشاعر دفعة واحدة على رموش تزين عيون ياسمين، وأمام النسوة، وأمام شيخ الجامع، وفي حرمة المسجد .

لم يدر بهيامه الذي انساب حروفا تتلألاً، وكلمات تتساب من شفثيه على رقصات رموش عينيه الحاملة في عيون ياسمين. لم يدر بنفسه وانساق وراء مشاعره التي خدرته فاستمر في ترتيل مشاعره، وياسمين تنظر إليه مندهشة ومنبهة بهذه التصويرات الشعرية الرائعة التي لم يسمعها أحد من قبل.

لم يدر صلاح بنفسه إلا بضحكة عالية من شيخ المسجد وهو يقول: الله الله يا صلاح يابني، كلامك رائع وإحساسك مرهف، كيف جئت بهذه الكلمات والتعبيرات الجميلة؟ كيف يكون عندك هذه الموهبة الفذة في كتابة وتأليف هذا النظم وتترك نفسك هنا في كاندليه تعمل عتالا لا حول له ولا قوة!

وما إن وقعت على مسامع صلاح كلمة «عتال» حتى أفاق من الحالة الشاعرية التي تملكته وجعلته يغيب للحظات عن كل من حوله ما عدا ياسمين، وبان على وجهه ملامح الخجل ممزوجة بالضييق. فبقدر ما أسعدته جرأته المباغته والمفاجئة لنفسه وللموجودين ليعبر عن مشاعره لياسمين دون أن يدري، وبقدر ما أسعده كلام الشيخ وإعجابه بكلماته وبقدر، ما ران على قلبه من سكينه وثقة وراحة كبيرة وهو يلقي بكلماته هائما في عالم آخر، وعيناه تسكن عيني ياسمين، إلا أن كلمة «عتال» الذي قالها الشيخ دون أن يقصد جرحت مشاعره، فقد نزلت على قلبه هذه الكلمة كحجارة من سجليل دون أن تميته.

وبسرعة راحت «ياسمين» تصحح الموقف وعيونها على صلاح: يا عم الشيخ، الشعر والمشاعر والشعراء ليس لهم وطن ولا عنوان ويعيشون في كل

زمان وأي مكان يرغبوه. ولذلك فالشعراء شهاداتهم كلماتهم ورأس مالهم مشاعرهم الفياضة وبحورهم العميقة وأنهارهم العذبة التي تحمل سفن أحلام الناس نيابة عنهم مجاناً.. وصلاح شاعر وكاتب من الدرجة الأولى، ولولا وجوده في كاندليه ما ظهرت هذه الموهبة الفذة، فهنئنا لكم بصلاح وهنيئاً لي بصداقة هذا الشاعر المرهف.

ضحك الشيخ ضحكة كلها طيبة ودعوات وهو يربت على كتفي صلاح: هنيئاً لك يا ابو صلاح بإعجاب ياسمين بك وبكلماتك وبشخصيتك، وهنيئاً لك بموهبتك الجميلة والتميزة. ثم نظر الشيخ إلى ياسمين قائلاً: وكذلك يا آنسة ياسمين لولا وجودك الآن ومنذ أمس في حياة صلاح لما تفجرت تلك الموهبة وازدانت بتلك الكلمات، فهنئنا لك أنت الأخرى سيدتي بإعجاب صلاح بك الكامن في معاني كلماته التي باحت بمكنون مشاعره، وما عليك إلا أن تقويها أو تداويها.

نظر صلاح بابتسامة مغلظة بعتاب مكتوم: يا عم الشيخ إيه كل ده؟! أنا بس كنت عايز أقول لياسمين حمد الله على السلامة واطمن عليها بس بطريقة مختلفة شويه علشان بس تعرف إن كاندليه برضه فيها كلام حلو، يعني مش كل حاجة هنا وحشة وتوجع البطن.. وبعدين يا شيخنا ومين ما يحبش الناس الطيبة ولاد الأصول المتواضعين ده واجب علينا برضه.

- ماشي يا ابو صلاح.. ولا أقولك يا أستاذ صلاح؟ خاصة وانت في الهيئة الجديدة والنيولوك الجديد ده؟ خليك بقى نصلي المغرب لأنه وجب.

ردت النسوة بسرعة: احنا ماشيين ياخويا انت وهو وكفايا علينا
الفيلم الهندي بتاعكم ده اللي كان عايز مترجم وشوية رقص هندي،
صلوا انتوا بقى واحنا هانمشي ونصلي على النبي.

ضحك الشيخ على كلامهم، ولم يشأ أن يضغط عليهم للصلاة
لأنه يعلم النتيجة، فالسيدات هنا لا تصلي لا في البيت ولا في المسجد:
عموما كتر خيركم على مساعدتكم لياسمين وأنا هاجيبها البيت أنا
وصلاح بعد الصلاة ونعمل اللازم.

- طيب يا عم الشيخ هاودي ياسمين البيت دلوقتي لأن العربية
بتاعتها برة وجبتها من عند السمكري وبعدين آجي. ونظر إلى
ياسمين لعله يقرأ في عينيها رأيا آخر، فابتسمت له ياسمين ولم
تنهض ففهم أنها قد تريد أن تبقى لتصلي في المسجد: ولا أقولك،
خلاص يا شيخنا هاصلي وبعدين أروح مع ياسمين علشان أعمل
اللازم ليها قبل ماتمشي.

- أيوه كده يا صلاح، أذن للصلاة يا بني علشان تصلي معايا.. إنت
شايف المسجد فاضي والناس مابتجيش إلا يوم الجمعة بس ومش
كلهم كمان.

ترك صلاح ياسمين في مكانها واستأذنها للذهاب إلى الناحية
الأخرى من المسجد التي بها القبلة ليؤذن للصلاة. هزت ياسمين
رأسها بحنان بالغ وكأنها تبارك هذه اللحظات الجميلة التي رسمها
القدر في حياتها دون ترتيب لتعيش هذه السيمفونية الرائعة من الطيبة
والصدق والمشاعر التي تمشي ببساطة على الأرض أمامها.

استقبل «صلاح» القبلة وسوى هدامه ووقفته، وسكن للحظات ناظرا تحت قدميه ثم رفع رأسه إلى أعلى بهدوء وبسكينة ليؤذن للصلاة بصوت كله خشوع وعبودية واستسلام لله وتوكل عليه فتردد صوته كمزمار عذب ملاً أركان المسجد بالخضوع والخشوع لله.

تعجب الشيخ كيف تتفجر مشاعر الحب من النفس لله وللحبيب هكذا في وقت واحد ومن شخص واحد وفي مكان واحد. بارك الله فيك يا صلاح وفي صوتك وفي كلماتك وفي شخصك وفي حبك لياسمين الذي لم يدرك أحد سواي قدره.

وما أن أنهى صلاح الأذان حتى صلى ركعتين لله ثم ركن إلى نفسه يدعو الله، وكانت كل دعواته أن يحقق الله أمنياته في حب ياسمين وكأن هذه الصلاة رتبت له ليدعو في حرم المسجد أمام الله وبشهادة الشيخ لأن تحبه ياسمين.

نظر الشيخ إليه نظرة الأب العطوف، نظرة كلها محبة وعطف وحنان، وطلب منه أن يقيم الصلاة وأطلق في نفسه دعوات كلها لصلاح ووعود على نفسه أن يساعد صلاح لكي يكون صلاحا آخر يعيش لموهبته التي زرعت في الحي وحنان وقتها لتطرح خارج الحي ولصلاح الحي.

أقام «صلاح» الصلاة وكأنه مقيم شعائر منذ نعومة أظفاره، مع أنها المرة الأولى التي يراه فيها الشيخ يفعل ذلك. مرة أخرى تعجب الشيخ من تأثير الحب، فضحك في نفسه وقرر أن يحب.



الفصل الخامس عشر

«الحب أفعال ماض وحاضر وآت، الحب لغة معنوية أبجدياتها

تكتبها أفعال المحبين والإعلان عنه نصف الرجولة».

نهضت «ياسمين» بعد انتهاء الصلاة مباشرة، وشكرت الشيخ بشدة ووعدته أن تراه لاحقاً بالتأكيد، ودعته لزيارتها بعد أن تتماثل للشفاء عن قريب.

دعا لها الشيخ كثيراً وشدد عليها أن تأتي لزيارة الحي في أي وقت ترغبه وتحت رعايته، ثم أعقب ضاحكاً: وبالطبع تحت رعاية صلاح إذا استمر في العيش معنا.

ابتسم «صلاح» للشيخ وهمس لياسمين للعودة لسكنه: يلاً بينا علشان عندي أخبار مهمة عنك وعن والدك وعني.. وبعدين يافندم عربيتك برة مستتيك، هي مش وحشتك ولا أيه؟!

- طبعا يا صلاح، وحشتي.. وحشتي جدا يلاً بينا.

فرحت «ياسمين» جدا عندما رأَت السيارة أمام المسجد، وجرت عليها كالطفلة التي فقدت عروستها ثم وجدتُها فجأة: معقول يا صلاح، أنا كنت خيفة جدا إنها ماتتغلش تاني، ميرسي يا صلاح، الحمد لله إنني ممكن أروح بيها وبابا يبقى يوديها للتوكيل بعد كده، حقيقي

ميرسي يا صلاح على كل اللي عملته معايا من امبارح.. احكيلى بقى
إيه اللي حصل في الساعات اللي كنت فيها بره كانديه وإيه حكاية
بابا؟ قلقتي.. وبعدين يا سيدي إيه الشياكة والنيلوك الجديد ده، حلو
الطقم عليك جدا .

- طيب الأول يلاً بينا ندخل العربية ونروح عندي ونتكلم هناك.
- أوك، بس أنا حبة نقعد في العربية شوية وبعدين تعالي هنا علشان
تسوق إنت.
- حاضر يا فندم. أولاً أنا ما عملتش حاجة وياريت ما فيش داعي
للكر، ياريت كنت أقدر أعمل أكثر من كده، ولكن على قدر ما
استطعت.. بس ماكنش لازم تنزلي وأنا مش معاك لأن في حاجات
ممكن ماتتحميلش تشوفها وتتعبني زي ما حصل. عموماً الحمد
لله حصل خير. أنا اتصلت بوالدك علشان ما يقلقش وفهمته إنك
بخير وإنك هاتكلميه بالليل بعد ماكون رجعت، ياريت تكلميه
دلوقتي وتليفونك في العربية، ياريت علشان ما يقلقش.
- أوك، هاتصل عليه ولكن قولني الأول إيه اللي حصل معاك وانت
بره، احكيلى، وإيه الكلام الكبير اللي انت قلتة لي في الجامع قدام
الشيخ ده. كلام جميل جدا وحاسة إنه من قلبك يا صلاح، إنت
كنت تقصده فعلاً، ولا مجرد كلمات شاعرية مجاملة منك.
- أولاً اللي قلتة في الجامع مش كلام، دي تعبير عن مشاعري التي
تملكتني تجاهك منذ الصباح، حاولت أقاومها فلم أستطع، فقررت

أن أخرج من كاندليه لأهرب في نفسي ومن نفسي وأنا بجيب
عربيتك، ولكني لم أستطع. قررت أن أمشي في الشوارع المجاورة
فضال بي المشي حتى جلست على قهوة وتعرفت على «آدم» الذي
استمع إليّ، واستمعت إليه ودار بيننا حوار رائع وحكيت له عن
قصة حبي لكِ وكم أنا خجول ومتردد في الإفصاح عنها لقلّة
حيلتي وبعد المسافات بيني وبينك من جميع الاتجاهات التي
تجعلك لا تفكري فيّ من الأساس ولا تقبلي حتى بفكرة حبي لك.

- ليه يا صلاح؟! الحب في حد ذاته بغض النظر عن المسافات شيء
رائع بل الحب وحده هو الذي يقرب المسافات، ثم أنا مؤمنة تماما أن
لو هناك أحد يحبك جدا على طول الخط وتحت كل الظروف فمؤكد
أنك أنت أيضا تحبه حتى ولو لم يتولد الحب بعد من رحم المشاعر..
ولكن يا ياسمين الحب كضوء الشمس الساطعة، تشعه الشمس
من قلبها ليدفئ قلوب الناس وينير طرقاتهم، ولكنه أيضا وللأسف قد
تجبه عن الناس سحابة معلقة تكونت من صنيع الناس، حينئذ يصبح
الشعاع بلا قيمة.

- أختلف معاك يا صلاح، بالعكس يظل شعاع الشمس مضيئا وباعثا
للدفء حتى ولو حجبه أسباب السحاب، يظل يدفئنا وينير لنا
الطريق دون أن ندري.. الحب يا صلاح فوق المسافات وفوق
القوانين وفوق الظروف وفوق كل الحواجز، الحب حالة إنسانية
فياضه بالمشاعر الحلوة التي تحلو بها الحياة حتى ولو كانت
صعبة وقاسية.

- ولكن الحب يا ياسمين يحتاج أن يعبر عن نفسه بمقاييس الزمن الذي ولد فيه ليكبر وينمو ويثمر عن علاقة رسمية تبارك القلوب المحبة وتبني أسوارا عالية تحمي الحب من الانقراض عليه من الكارهين والحاقدين والمعارضين. الحب يا ياسمين يحتاج قوة تحميه والإعلان عنه واجب على المحب تجاه الحبيب وإلا صار الحب مجرد مشاعر كسيحة غير قادرة على الوصول إلى قلب الحبيب.

- أبدا يا صلاح، اعلن عن حبك عندما تشعر بالحب، فالحب مسئولية على كتف المحب، يحملها طواعية ويتلذذ بحملها ويتباهى بحملها ويتحملها ولو كانت ثقيلة ولو كان ضعيفا، الحب يا صلاح يقوي صاحبه، يقوي المحب والحبيب. لا تتردد أبدا في الإعلان عن حبك، الحب يا صلاح تاج على قلوب المحبين. فلتعلن عن حبك لتكون فارسا نبيلاً في ميدان المشاعر.

- ولكن يا ياسمين الخوف كل الخوف من الإعلان عن الحب ثم ينتهي الإعلان دون أن يلفت نظر الحبيب، فيصاب المحب بحالة انكسار ويسيل الحب من قلبه على الأرض في الطرقات فيسيل منه نبع الحياة ويموت من الانكسار. وهذا ما أخاف منه.

- يا صلاح، فلتعلم أن من تحبه بهذه الصورة يستحق منك أن تعلن له عن حبك ليستمتع به ويقدره ويثمنه بمشاعره وإن لم يتحقق في صورة أي علاقة رسمية، فالحب يطفى على الرسميات. الحب كالجنين يا صلاح، عندما يشاء الله أن يتكون في رحم الأنثى بقاء

ذكرها، لا يشعر به أحد سواهما لأنهما الوحيدان اللذان اشتركا
سويا وبحب في تكوين هذا الجنين الذي يكبر رويدا رويدا فيعلن
عن نفسه في الوقت المناسب عندما يصل إلى حجم مناسب
وعندما يبدأ يتحرك ويشعر ويتنفس. وهكذا الحب يا صلاح يولد
جنينا بلقاء الأعبة ثم ينمو ويكبر ويتنفس ليعلم عن نفسه دون
حتى إعلان من المحبين.

- كلامك يشجعني كثيرا يا ياسمين، ما أحلى وأعذب كلماتك، كم
أنت رائعة، حلقة من الوصل أنت، ودائرة من الحنان أنت، كلماتك
تولد أشعة الحب في قلبي لتسافر بعيدا بعيدا لتضيء العالم أجمع
فقط لأنها تحب، وفقط لأنها تعشق من تحب. ليت كلماتك يا
ياسمين هي أبجدية كل اللغات، ليت أنفاسك هي هواء القارات،
كم هو العالم ضئيل أمام ضياء عيناك.. ها أنذا أعلن عن حبي
أمامك كما أعلنت عنه أمام نفسي وأمام الشيخ والنسوة في
وجودك، وأمام أدهم صديقي الجديد الذي قال ما قلتيه وشجعني
على الإعلان عن حبي بكل الطرق وفي كل الطرقات. كم كان أدهم
محقا وكم أنا قوي الآن، وها أنذا أعلن عن حبي وأضعه أمانة
بين يداك يا أعز الناس، فلتبقى الأمانة بين يديك سالمة ولك أن
ترديها إليّ أينما أردت، أو لتضعيها في قلبك أيضا أينما أحببت.

- هنيئا لك يا صلاح بحبك، فمن يحب كل هذا الحب ويعبر عنه كما
عبرت أنت وبطريقة عفوية كالיום، مؤكد هو صاحب قلب كبير
ومشاعر رائعة.. المهم يا صلاح أن تكون متأكدا من حبك ومن
مشاعرك حتى لا تؤذي من تحب بعد فوات الأوان.

- متأكد يا ياسمين، أنا قرأت الكثير من الروايات والقصص والشعر، و قابلت الكثير ورأيت كثيرا من المحبين وكثيرا ما تخيلت نفسي يوما من المحبين بل أنا الذي قاتلت هذه الفكرة وأبعدتها عن عقلي وقلبي لأن ما كنت أبحث عنه كان خارج كاندليه ولا أعرف له عنوانا ولا اسما ولا ملامحا، فكل ما كنت أعلم عنه هو حلو الكلام وصدق المشاعر المزينة بتواضع وثقافة الحب. وها أنذا قد قابلت الحلم الذي كان ينام ويصحو معي ويلازمني في سكون وصمت. أنا واثق من حبي وواثق من مشاعري وواثق من حروف كلماتي. أنا الآن أعلن عن حبي وكلي شرف وكلي ثقة وكلي أمل في حب الحبيب، وأنت الحبيب الذي تركع أمام حجرات قلبه أنامل وسواعد وأقدام مشاعري.

- طيب قولي يا صلاح مين «آدم» ومين كان ورا فكرة النيولوك الجديد ده وليه؟ أنا شغوفة أعرف.. واكيد الحوار الذي دار بينكم هيعكس سبب النيولوك الجميل ده.

ابتسم «صلاح» ابتسامة تحمل لوعة لإحساسه أن ياسمين أرادت أن تغير الموضوع عمدا، ابتسامة يغلفها العتاب ولكنه يعلم أن ردها ليس بالأمر الهين ويحتاج تفكيراً ودبلوماسية خاصة إذا كانت تفكر فيه كصديق وليس كحبيب.

شعر «صلاح» أنه تسرع في تعبيره عن حبه واعترافه أمامها وأمام الشيخ وأمام النسوة، كان يكفي اعترافه لأدهم لأنه يفهم ما يدور بخلده. شعر «صلاح» بالندم لأنه نسى أو تناسى أن تكون ياسمين

مرتبطة، صحيح أنها أخبرته أنها انفصلت عن خطيبها منذ أمس قبل الحادثة، ولكن كل الاحتمالات واردة، ثم أن حبه له شيء من درب الخيال.

ابتسم «صلاح» في نفسه ولكن هذه المرة كانت ابتسامته مغلقة بثقة كبيرة وعلياء وترفع فيكفي أنه اعترف بحبه لياسمين على الرغم من كونه يعلم الفارق الكبير بينه وبينها في كل شيء فهو لم يخش حبه بل أعلنه رغم هذا الفارق ويكفيه شرفاً إعلاناً عن حبه، فالإعلان عن الحب -كما قال آدم- نصف الرجولة.

- إيه يا عم صلاح، فيه إيه، سرحت في إيه، هو أنا كل ما أسألك على حاجة تسرح مني. ليه يا صديقي العزيز.

- أبدا يا صديقتي العزيزة! كنت أفكر في سؤالك عن النيولوك الجديد، لأنه واضح أن النيولوك هذا آثار فضول كل من رأني حتى أدهم وحتى أنا شخصياً وبالطبع أنت. أشعر أنني في حيرة من أمري، هل فعلاً كان يجب عليّ أن أخوض هذا التجربة كما نصحتني أدهم لأجرب شيئاً جديداً وخبرة جديدة أستطيع من خلالها أن أحكم على الأمور، أم كان يجب عليّ ألا أفعل وأبقي على هيئتي التي اعتاد عليها الناس وتتناسب مع عملي ووضعي. أنا فعلاً في حيرة ولكن ما يعضدني أن معظم من رأني أثقوا على التغيير في حد ذاته، وأنني ما زلت أحمل تحت هذه الهيئة صلاح الذي عرفه كل الناس، وحتى لو حصل تغيير فسوف يكون للأفضل، وإن لم يحدث فيكفي فلسفة التغيير طالما أقدر عليها.

فما أجمل من العمل بمظاهر تناسب كل الناس وتساعد جوهر النفس.

- فعلا يا صلاح منطوق رائع التغيير في حد ذاته وسيلة وليس غاية، وسيلة لغاية كبرى وهي إسعاد النفس، وتحدٍ أكبر وهو إرضاء الناس. و كما أخبرتك من قبل ليس لذلك علاقة بالماديات طالما تستطيع ماديا على التغيير والذي من الممكن أن يكون في أبسط صورة. وما قمت به يا صلاح سواء بدافع منك أو من صديقك أدهم هو نجاح للشخصية الإنسانية في أرقى صورها خاصة لو هذا التغيير مقصود ومرتب لهدف نبيل، وهذا ما فعلته أنت يا صديقي العزيز، وأنا فخورة بما فعلت وسوف أسير على درب التغيير أيضا لهدف نبيل.. لقد تعلمت منك يا صلاح ومن أهل كاندليه في خلال يومين ما لم أتعلمه طوال سنين، ولكن الفارق بينك وبين باقي أهل كاندليه أنك طموح ومثقف ومجتهد ولديك أسلوب متميز في الحياة. فلا تكن أبدا مشتت الفكر لأنك تسيير على الدرب الصحيح، فمن يفهم نفسه جيدا يفهم الآخرين بلا عناء. و يا سيدي أنا فعلا فرحانة بالنيولوك صدقتي علشان كده سألتك. قولّي بقى إيه حكاية أدهم دي؟

ابتسم «صلاح» بغيظ مكتوم: إنتِ بقى إيه حكاية أدهم معاكِ؟!
ليه مُصرة تعريفي؟! مش غريبة شوية!

- غريبة ليه بقى، ده انت اللي قولت لي إنه كان معاك وهو اللي نصح بالنيولوك بالرغم من إنك أكيد اترددت، وبعدين احنا هانغير

ولا إيه . قالتها ياسمين بدلع أنثوي فيه دلال أوهم به صلاح أنها تهتم بأمر حبه .

- أدهم يا ستي مهندس ديكور، شاب ذو أدب جم وطموح عملي كبير وله رؤية واضحة في الحياة وحضور اجتماعي ورغبة في مساعدة الآخرين. تعرفنا على القهوة التي جلست عليها لأستريح وذلك على موقف كاد يدفعني إلى الدخول في معركة مع نادل القهوة. تحدثنا سويا ودار حوار رائع كان مضاده أن حب الرجل نصف رجولته وأن الحياة تستحق التغيير والمغامرة وأن من نحبهم في الحياة هم الأولى بأن نغامر من أجلهم وأن نكون على أتم الاستعداد لكي نغادر حياتهم بلطف إذا كانت المغادرة فيها سعادتهم.. نصحني أدهم بتغيير مظهري حتى لا أضيع وقتي في البحث عن صلاح جديد فبداخل كل منا ألف إنسان وإنسان نستطيع أن نوظف أي منهم لتجديد الحياة تحت إشراف السمات العامة للشخصية التي قد تتطور ولكنها لا تتغير. وفوق كل ذلك وعدني بعمل معه لإعجابه بفلسفتي في الحياة وبصورة الحياة في كاندليه ورغبته في زيارة المكان ليكون محل إلهامه في تصميم ديكوراته الجديدة ليكون متميز ومتفرد بشيء جديد. ووافقت على فكرته في التعاقد في العمل معه وعن قريب .

- هاييل يا صلاح، واضح أن الحديث مع الناس بغض النظر عن الزمان والمكان ويعيدا عن الرسميات يجدد الفكر ويحرر العقل من قيوده التي تسيطر وتهيمن عليه دون قصد ودون أن يدري.

فعلا الحديث مع الآخر أيا كان الآخر -حتى ولو كانت النفس- يفتح مجرى أنهار الفكر فتجري مياهها لتروي الأرض العطشى إلى أفكار ترويهها وتهز باطنها لتلتئم الشقوق فتتبت أفكارا تطرح أشجارا من المشاعر التي تحول النفس الإنسانية من صحراء جرداء إلى واحة خضراء. هذه رؤيتي في الأحاديث الإنسانية والثقافة الاجتماعية شريطة أن يكون وراءها مقصد طيب.

أسند «صلاح» رأسه إلى مسند الكرسي وضم ساعديه على صدره وراح يستمع إلى ياسمين بلذة تملكته ليس من تحليلها المنطقي للأمور فقط، ولكن من تعبيرات عينيها الحانية وهي تتحدث بكلمات تتمنى أن يسجلها صوت وصورة لتبقى معه دليلا للعالم على رقتها وعذوبتها مع أنها لا تحتاج إلى أدلة ولا هو يحتاج إلى تقديم تلك الأدلة: رائعة تحليلاتك يا ياسمين، أزيدني عقلي بكلامك سيدتي.

- ماشي يا عم صلاح، مالك سهمت كده في كلامي، ما أنا يا سيدي هاكمل لأنني فعلا حاسة جدا بكل كلمة بقولها. وفعلا يا صلاح هذا ما حدث لك أنت وأدهم بعد حديثكما. فمن ناحية هو قد استفاد من أفكارك في توليد دفعات ديكورية وغير مسبوقه له وكسب شخصا رائعا مثلك ليشاركه طموحه وأفكاره لينفذ مشروعه الأكبر في تجديد ديكورات الحياة بيت الحياة فيها. وأنت أيضا استفدت من أفكاره في الوصول إلى لحظة الاكتشاف الكبرى لنفسك الحقيقية والتي كنت تبحث عنها ولكن بصمت سواء في طبيعة العمل أو النيولوك المظهري أو الاجتماعي أو الوظيفي

أو الرومانسي مع بقاء أحلى ما فيك يزين كل هذه المظهريات بمزهريات من الثقة بالنفس وحب الناس. وما حدث معك ومع أدهم صَحَبِكَ حدث لي أيضا كما ترى، فبعد أحاديثي معك ومع سيدات الحي ومع الشيخ منذ الأمس وحتى هذه اللحظة التي نتبادل فيها الحديث بدون ترتيب تفجرت لديّ ليس فقط أفكار ورؤى جديدة للحياة واجتماعيات الناس -مع أن هذا تخصصي الدقيق في الجامعة- ولكن تفجرت داخلي أيضا مشاعر إنسانية رقيقة عاقلة تارة، وشقية تارة أخرى، وطفولية في بعض الأحيان، ورومانسية حاملة لأول مرة اكتشفها في نفسي التي كانت تهوى حتى أمس التعلق بالأشياء وليس بقيمة وحلاوة الأشياء. هكذا يكون تأثير الحديث بين الأشخاص الجميلة والمتحابة والداعمة لتجديد الذات وليس جلدها، الذات يا صلاح إذا تجددت في صدق وحب تجدد كل شيء حولها ولو جماد، الذات هي محور الكون، وهي محرك قلوب وعقول الآخرين لتفجير الأفضل أو الأسوأ بداخلنا.

- ياه يا ياسمين ده انتِ طلعتي فيلسوفة كبيرة، ده أنا كنت متخيل إن أسئلتك الكثيرة لي نتيجة شغف للمعرفة ولكني اكتشفت الآن أنها مقصودة حتى تمتلكين بين يديكِ الخيوط التي تستطيعين بها تحليل المواقف وإظهار الحكمة منها وإبراز أحلى ما فيها ولو جهلها أصحابها. كم هي رائعة طريقة تفكيرك وتعقبك للأحداث بحكمة وأناقة ولياقة ولباقة وابتسامات مغلفة بروحك الطيبة التي حولت هذه العباية البسيطة التي ترتديها إلى روب مرصع بأحلى

المشاعر وأرقاها . كم كنت أتمنى أن أسجل هذه اللحظات الرائعة التي لا وجود بها الزمان علينا كثيرا . ما أحلى كلامك سيدتي .

ضحكت «ياسمين» ضحكة طفوليه سكنتها براءة قلوب العالم أجمع: شفت بقى إنت خلتي أنسى نفسي وانطلق زي الصاروخ في السماء بكل طاقته، ربنا يستر بقى واقدر أجدد طاقتي علشان ماقعش على الأرض بعد كل هذا الانطلاق . وبعدين يا سيدي ما تسجل اللحظات بكلماتك الجميلة، اجعل من كل +«كلمة» كاميرا تصوير، ومن كل «جملة» شاشة عرض كبيرة، إنت كتاباتك رائعة يا صلاح، اكتب كل يوم ولا تتوقف أبدا عن الكتابة، إنت ليس لديك ثروة لغوية جميلة فحسب ولكن أيضا قدرة رائعة على تصوير ما تشعر به وهذه هدية من الله لك فلا تخبئها بل أظهرها للناس .. وأنا يا سيدي واحدة من الناس .

- حاضر يا ياسمين أوعدك فعلا بأن أكتب كل يوم وسوف أبدأ أولى كتاباتي عن قصتي معك التي بدأت هنا في كاندليه والتي لا أعلم كيف وأين ومتى تنتهي ولكني سوف أنهيتها بخيالاتي لو خانني واقعي . وسوف يكون عنوان قصتي هذه «كاندليه» .

- رائع يا صلاح وأنا سوف أقرأ لك يوميا لتكون جملك التي ألقاها منك صباح كل يوم هي جمالي التي أعبر بها صحراء الحياة إلى واحتها الوارفة . اكتب ولا تتوقف عن الكتابة، فالكلمات هي بصمة أرواح الإنسانية، وأنت بصمتك رائعة حقا .

- وأنتِ يا ياسمين بسمتك رائعة، بسمتك هي الحياة..
- يمكن بقى نتصل بوالدك بعد هذا الحديث العذب الذي أعتبره وثيقة شرف وتعاون بيننا، بين القلب الطيب والعقل الشارد، بين كاندليه وأرق المشاعر..
- أوك يا صلاح، ولكن قبل ما اتصل بوالدي هاسألك آخر سؤال كبير النهاردة أو من حتى امبارح، ما هو الحب من وجهة نظرك وكيف يحب المحب وكيف يرى المحب الحبيب؟؟
- يا ياسمين الإجابة على كل سؤال من هذه الأسئلة تحتاج إلى مؤلف كبير. ولكن سوف أجاب على قدر ما تسمح به اللحظة والزمان والمكان.. الحب حالة من فوضى المشاعر التي تتولد مرة واحدة من أمواج هادرة من الإعجاب بالحبيب دون أن يدري بماذا ولماذا، موجات تعلقوا تردداتها فوق دقات القلوب ونبضاتها فيهتز القلب لينبض بأحلى ما فيه وسط هيجان المشاعر وثورتها في الإعلان عن حبه للحبيب. وتفور المشاعر وتحاول أن تتحدث عن نفسها وتحاول، ولكن يمنعها جهلها بقواعد الحب وخجلها من الحبيب وخوفها من ردود الأفعال على المحب.. وهكذا تبقى مشاعر الحب دوارة في النفس لا تبرحها فتهداً ثورتها رويدا رويدا حتى تتعرف على معالم الحب وملامح الحبيب وقدرات المحب. حينئذ تتحول مشاعر الحب من ثورة إعجاب إلى ثروة من الحب الذي يرى الحب في صوت الحبيب وفي نظراته وفي كلماته وخطواته وأفكاره وهمساته. حينئذ يثق المحب في حبه ويجري وراء الحبيب ليعلن عن

حبه بكل الوسائل على أمل الوصال منه بهمسة أو لمسة. هذا هو الحب الحقيقي الذي عندما يتولد لا يدري صاحبه لماذا وعندما ينمو ويكبر تتكشف له أسباب الحب. الحب ليس كلمات منظمة أو مبعثرة، الحب أفعال ماض وحاضر وآت، الحب لغة معنوية أبجدياتها تكتبها أفعال المحبين.

ابتسمت «ياسمين» وأمالت رأسها على مقعد السيارة، فبدت كمالك ينتظر لحظة هبوطه من السماء ليبارك أرضا مقدسة، وقالت بهدوء مملوء بالرومانسية الهادئة التي ألهمت مشاعر صلاح: إجابة دبلوماسية يا صلاح وأفهم ما ترنو إليه. طيب، ماذا عن سؤالي كيف يُحب المحب وكيف يرى الحبيب؟ ممكن يا فيلسوف الحب؟

- أنا لست بفيلسوف يا فندم، أنا مجرد عقل يحاول أن يفهم لوحة من المشاعر رسمها قلبه بكل ألوان الطيف التي خطها الإعجاب بالحبيب. فالمحب يرى الحبيب رمزا للحب ومشكاة تثير طرقاته في الحياة الشائكة فتتحول الأشواك إلى أشواق، يراه قاموسا يستمد منه معاني كلمات الحب ويضيف إليه مفردات جديدة للحب وأفعال حقيقية للحب ليصبح الحبيب مصدرا لكل أفعال المحب. المحب يرى الحبيب نهرا وبحرا وهواء وأرضا وسماء، يرى فيه كل الناس حتى يصبح الحبيب خريطة حياة للمحب، بوصلة اتجهاتها في قلب المحب، وسهمها دائما يشير إلى الحبيب. المحب يرى الحبيب في كل زمان ومكان، حتى يصبح الحبيب عيونا يرى بها المحب، وحتى يصبح المحب والحبيب سواء. هكذا أرى أنا الحبيب، أراه جملة اسمية هو

اسمها وأنا خبرها، أراه جملة فعلية هو فاعلها وأنا مفعولها، أراه صفة لكل الصفات وحالا لكل الأحوال، أراه في أبجديات العالم. هكذا أرى الحبيب.

وبرقرقة في صوتها ولمعة في عينيها وبحة في صوتها نظرت «ياسمين» إلى صلاح وهو هائم في أبجديات حبه، سارح في عيون ياسمين، تزين عينية لمعة تسكن وجنتيه فرحة: يا سيدي ياسيدي، وتقولي مش فيلسوف، ده انت أصبحت أبو الفلاسفة المعاصرين. واستمرت في مداعبتها لصلاح: ردودك يا ابو صلاح أكبر بكثير من سؤالي المتواضع، أنا قتلتك لازم تكتب ويجب ألا تتوقف عن الكتابة لتغير العالم بكتابتك، فيكفي أنها تخرج من قلب عاشق وعقل مفكر من كانديه. طيب جاوب بقى على آخر جزء من السؤال كيف يجب المحب الحبيب؟ ثم أردفت بضحكة تحمل دلالة المحبين: وكده يا سيدي أكون خلصت أسئلتى أحسن زمانك عايز تضربني.

- يا فندم أسئلتك لها الفضل على كلماتي، أسئلتك تسكنها حروف مفرداتي، أسئلتك هي مصدر إلهامي، أسئلتك هي روح أفكاري، فإن كنت تريدني فعلا أن أكتب وألا أتوقف عن الكتابة فعليك أنت أيضا أن تسألني وألا تتوقفي عن سؤالي حتى لا تنضب كلماتي.

- خلاص يا سيدي، دي أسهل حاجة الأسئلة وأنا عندي آلاف الأسئلة.

- وأنا سوف أكتب آلاف الكتب ردا على أسئلتك، فقط امنحيني رؤوس أسئلتك سيدتي.

- طيب جاوب بقى يا سيدي، كيف يحب المحب الحبيب؟
- المحب يحب الحبيب كحب النهار للشمس ليصحو وينير، وكحب الليل للنجوم والقمر ليسكن ويضيء، وكحب الأرض للماء لترتوي وتتبت، وكحب الحداثق للربيع لتزهو وتتزين، وكحب الكتاب للجمل ليتكلم ويسجل المستحيل. المحب يا ياسمين يحب الحبيب بلا كيفية ولا سببية، لأن عند اكتمال الحب يصبح المحب والحبيب سواء، فتصير نفس المحب والحبيب واحدة، تتنفس هواء واحدا، هكذا أرى كيف أحب أنا الحبيب.
- تعبيراتك رائعة فعلا يا صلاح، حقيقي استمتعت بكل حرف وكل كلمة وكل عبارة وكل جملة فيها ليتني سجلت كلامك لأنشره في كل المحافل ليتعلم منه الناس كيف يكون الحب وكيف تتولد المشاعر وكيف تنمو وتكبر وتتضح، وكيف تعبر عن نفسها حتى تصير حبا أشجاره ورافة تظلل سماء المحبين، هنيئا لمن تحبها يا صلاح.
- سألتيني يا ياسمين كل أسئلتك وأحسست أني أحب ولكن لماذا لم تسأليني من أحب، لماذا؟؟
- أبعد كل هذه الأسئلة مني، وكل تلك الإجابات منك ياصلاح ولم تدرك لماذا لم أسألك هذا السؤال؟؟ لن أسألك يا صديقي ولن تسألني من أحب، فأسألتي نصف حبي وإجاباتك كل الحب.
- لم يصدق «صلاح» قلبه ولا عينيه ولا عقله ولا نبضات قلبه التي هاجت فجأة عندما وقع عليها صدى تلك الكلمات التي تحوي في

حروفها كل قواميس لغات العالم أجمع «أسألتني نصف حبي وإجاباتك كل الحب». اغرورقت عينا صلاح من فرحة لم يحسبها ولم يتخيلها، وشعر وكأنه مخلق في السماء السابعة والنجوم ترقص حواليه والقمر يغني أمامه والشمس تحمل ياسمين على طرف أشعتها بجانبه. هام «صلاح» وهام وهام في ملكوت كلمات ياسمين، وشعر كأنه مخدر بكلماتها التي دغدغت مشاعره ولم يفق لنفسه ومن دهشة صمته إلا وأنامل ياسمين تتلمس أنامله لتعلن عن يوم جديد لميلاد صلاح كاندليه.

- ياسمين، لبيت لي ألف قلب وقلب لأحبك أكثر، وليت لي ألف عقل وعقل لأفكر فيك أكثر، وليت لي ألف روح وروح لأحيا طوال العمر أحبك..

وبأناملها الرقيقة لامست «ياسمين» شفاه صلاح: أعلم يا حبيبي، أعلم وليتني ألف حواء وحواء لأحبك أكثر، وليتني ألف ضلع وضلع ليخلقني ربي ألف مرة ومرة لأحبك كل مرة من جديد..

- ما أروعك في ثوب الحب يا ياسمين، و ما أجملك!
ابتسمت «ياسمين» في حب: وأنت يا صلاح من غزل ونسج وأخاط ثوب حبي.



oboiikan.com

الفصل السادس عشر

«ولكن ما يحزنني هو لماذا لا نعطي للقوانين والثوابت

استثناءات، فكما نؤمن بالثوابت يجب أن نؤمن أيضا -ودون

تردد- بالاستثناءات».

- ألو بابا، أنا ياسمين، وحشني جدا يا بابا، أنا بخير ماتقلقش

عليا.

في لهفة على ياسمين لم يشعر بها من قبل، أتى صوت «شوقي»

بك على التلفون كالطفل الصغير الذي وجد ضالته: إزيك حبيبي..

دا أنا قلبت عليك الدنيا.. أنا وماما كنا خلاص هانتجنن. إنت فين

دلوقتي ومع مين، في حد اسمه صلاح اتصل عليّ وبيقول إنك معاه.

ده صحيح، إنت بخير؟؟؟

- أيوة يا بابا أنا بخير وبقيت زي الفل، أنا كنت عملت حادثة

بالعربية بس دلوقتي تمام، هابقي أحكيلك على كل حاجة لما آجي

كمان شوية. أنا مع صلاح وهو هايجيني بعرييتي، هو بيعرف

يسوق كويس.

- تجي إيه يا ياسمين!! أنا اللي هاجي حالا أخذك بنفسي، صلاح

مين وبتاع مين!! ده أنا قلقان عليك منه، المنطقة اللي انت فيها

دي يا ياسمين خطر عليك، لازم آجي حالا، قوليلي فين بالضبط؟

- يابابا لا خطر ولا حاجة، الناس طيبين وساعدوني ووقفوا جنبي خاصة صلاح اللي عمل المستحيل لمساعدتي، هو شاب ممتاز وها عرفك عليه. وبعدين تيجي إزاي لوحذك هنا طالما الناس دول خطر. خليك يابابا وأنا جاية.

- مش ممكن يا ياسمين، لازم آجي بنفسي وعلى فكرة أنا أعرف ناس في المنطقة دي وطلبت منهم يدوروا عليك. بس ماتصلوش بي لسة. بس خلاص، الحمد لله إنك بخير، كنوز الدنيا فداك يا ياسمين.

- أنا عرفت يابابا، وبالأمارة اسمه المعلم محمود، وهو جه فعلا عندي بس سأل على داليا وأنا مارضيتش أقوله لأنني بصراحة مارتحش ليه وكنت مش متأكدة هو تبع مين بس دلوقتي اتأكدت.

- أيوه فعلا، انا اديته اسم داليا ونسيت أقوله على ياسمين، عموما الحمد لله.

- خلاص يابابا، شوية وهاجيلك، دا أنا حتى قدام الجامع في عربيتي ومعايا صلاح بعد ما صليت في الجامع وعلشان تطمن أكثر معاك صلاح أهه كلمه.

- يا بنتي طولي بالك، تصلي هناك إزاي بس وانت ماتعرفيش الناس دول، دول فيهم ناس وش أجرام وناس إرهاب. معايا يا ياسمين ولا
للأسف!!

- لأ يا فندم، أنا صلاح يا شوقي بيه، أرجوك تهدى، ياسمين هانم كانت في عنينا وعملنا كل اللي نقدر عليه أنا وناس الحي. حالا هاجيبها لحد حضرتك علشان تتأكد من شخصيتي واكتب لك تقرير كمان إنها كانت في أمانتي من أول الحادثة لحد ما فاقت وقدرت تتكلم، علشان أعرف منها رقمك واتصل عليك.
- طيب اديني عنوان البيت، ويا ترى تعرف المعلم محمود؟
- طبعا أعرفه ولكن ليست لي صلة كبيرة بيه، ولو تحب حضرتك ممكن أروحله حالا علشان تكلمه بنفسك؟
- أوك، ياريت، وأرجوا أن تعذرني، إنت ما تعرفش ياسمين غالية عليّ أنا ومامتها قد إيه.
- عارف يا فندم، وهي كمان غالية علينا جدا، ياسمين هانم تستاهل من يحافظ عليها ويضعها في عيونه. حالا هاروح أشوف المعلم محمود وهاكلم سعادتك من هناك. وتحت أي ظروف أنا جاي أسوق العربية لياسمين هانم لحد عندكم.
- أرجوك أنا لازم آجي وأشوف كانت فين بنفسي من ليلة امبارح. اوصفلي المكان وخليّ المعلم محمود معاك على أول المنطقة علشان ما ادخلش لوحدي.
- حاضر يا فندم، اديني نصف ساعة وهاتصل عليك تاني.. مع السلامة، وياسمين مع سعادتك.

- أهلا بابي، إنت ليه مش مصدقني إنني فعلا في إيد أمينة، لولا صلاح يا بابا أنا كنت اتبهذلت وممكن كنت مت كمان، هو أنقذني، وممنونة ليه جدا، أرجوك تشكره يا بابا لأنه يستحق كل تقدير.
- خلاص يا ياسمين لما آجي هاشكره بنفسي، بس يلا روحي معاه عند محمود علشان أكون مطمئن أكثر.

وبسبب انفعال «شوقي» بك كان صوته عاليا إلى درجة تجعل من السهل على صلاح أن يسمع كلامه بوضوح. ولكنه تفهم مخاوف أبيها وإن كانت قد أثرت في نفسه إلى حد كبير.

- مالك يا صلاح. سرحت مني تاني في إيه؟ وبضحكة هادئة بها هزار متعمد: ولا انت خضت منه ولا إيه؟ ده بابا يابني طيب جدا. وبضحكة تلقائية وب نظرة محملقة في عينيه: وبعدين ماتقلقش يا صديقي العزيز.

نظر إليها «صلاح» بنبرات تملؤها القلق وعدم الراحة: صديقك العزيز واحنا لسه ماخرجناش من كاندليه يا ياسمين.. إمال بقى لما نكون عندكم ها تتادينني بإيه!

- يا صلاح أيوة ولازم تتعود على كده، إنت حبيبي ولكن قدام الناس صديقي حتى نكسب ود الناس وخاصة بابا وماما، أرجوك تفهمني، إنت عارف تفكير الأب والأم ومعتقداتهم. فلأزم أعمل خطة علشان ننجح، ثقافة وذكاء اجتماعي يعني يا سيدي. إنت مخك أكبر من الكلام ده!

وبضحكة كلها ثقة في ياسمين وحبها: أوك صديقتي العزيزة
ياسمين هانم.

- لأ ياسيدي، أنا مش هانم أنا ياسمين بس وداليا كمان، اختار
انت بقى الاسم إللي تجبه ونادينى بيه. إيه يا صلاح مالك كده
باصص للسمما وسرحت تاني؟!؛

- أنا فعلا سرحت في أمور كثيرة، أمور تتعلق بالإنسان والإنسانية،
وبالتعليم وبالمال والطبقية، وهذا ليس عيب في الإنسان، ولكن هي
واقع الحياة الذي يجب أن نتعامل معه، فلقد خُلقنا على هذا،
خُلقنا على الطبقة سواء النبات أو الحيوان أو الإنسان وحتى
السموات الذي بها عرش الله هي الأخرى طبقات والأرض كذلك.
فأنا لا اعترض لي على الطبقة لأنها ممنهجة ومكتسبة في نفس
الوقت لتكامل الإنسانية.

- إذا ماهي المشكلة يا صلاح طالما أنت مؤمن فكريا وعقائديا بذلك،
الإيمان بالأفكار يُسهل على الإنسان ليس فقط تقبلها بل التعايش
معها وتطويرها إذا أراد. وهذا ما قصدته عندما طلبت منك أن
تقبل مناداتي لك بصديقي أمام الناس حتى نستطيع تطوير
فكرهم بتقبل ما نريد ولكن بأفعال تقنعهم إن لم تُرغمهم على
ذلك. هذا ما قصدته، وأرجوا ألا يكون ضايقتك طلبتي إلى هذا
الحد. أنت تعلم أنني أؤمن بك كشخص وكحبيب.

- لا، لأ طبعاً لم يضايقني طلبك.. فأنا أفهم قصدك تماماً وتقبلت الموقف، ولكن ما يحزنني هو لماذا لا نعطي للقوانين والثوابت استثناءات! فكما نؤمن بالثوابت يجب أن نؤمن أيضاً ودون تردد بالاستثناءات إذا وجدت أسباب منطقية تبررها، أليس هذا عدل وإنصاف في تقييم الأمور، أليس هذا مرونة في الفكر الإنساني الذي خلق ليكون مرناً. القاعدة ألا نخطئ ولا نذنب ولكننا إذا أخطأنا أو أذنبنا وهو الاستثناء يغفر الله لنا كما وعد في كتبه السماوية وأمر عباده بالمثل. لماذا نطبق قواعد الثوابت وننسى حدوث الاستثناءات مع أننا نراها حوالينا في الصحة والمرض في كل مكان. هذا ما سرحت فيه وهمني، ألا تتفقين معي في هذا الفكر يا ياسمين؟

- بالطبع أتفق تماماً بل أنفذه على أرض الواقع هنا في كانديله، معك أنت يا صلاح، فأنت الاستثناء الذي يساوي القاعدة ولذلك أحببتك، بل أنت أرقى وأنقى من القاعدة ولذلك أنا مؤمنة بك. ولكن ليس كل الناس تأتي لهم فرصة ليعيشوا مثلما أنا عشت معك اليومين الماضيين لكي يحكموا على الاستثناءات ويؤمنوا بها مثل القاعدة. ما حدث بيننا يا صلاح قَدَرِي لا أنا ولا أنت فكرنا فيه ولا رتبنا له على الإطلاق، بالعكس سبب الحادثة أنني كنت أفكر في الاستثناء ولماذا أصبحت ثوابتاً! فالقدريات نؤمن بها بسهولة فعندما يحدث ما لم نتوقعه على الإطلاق في الزمان والمكان يجب أن ننظر إليه بحكمة وتمهل، ببساطة لأنه مرتب من

اللّٰه، فلا يمكن أن يمر علينا هكذا بدون التفكير والتدبر فيه، وهذا ما حدث معي ومعك، فلم أقل لك أحبك بسهولة ولا أنت أيضا، بل بعد تفكير ونقاش واقتناع بالاستثناءات وليس الثوابت.

- معك حق يا ياسمين تماما فيما تقوليه وهو يعضد فكرتي في التعامل مع الثوابت والاستثناءات مع الفارق أني كنت أتمنى أن الكل يعتبر هذا الفكر والمنطق عند التعامل مع الاستثناءات حتى لا يرفضها بدون تفكير وتضييع الفرص على أصحابها. وبضحكة متعمدة مال «صلاح» على ياسمين في مداعبة: وطبعاً كل ده علشان أفوز بيك من أبيك دون عناء.

- شوف يا صلاح، أبي لن يرغمني على ترك شيء أريده أو يرغمني على شيء لا أريده، ولكني يجب أن أحترم ثقافات المجتمع وحق من يحبونها في التعبير عن حبهم بطريقتهم، ثم ثبت لهم بالدليل القاطع مع الوقت أن أحيانا تتساوى الاستثناءات على الثوابت ولكن من الممكن أن تتفوق عليها. وهذا ما أعول عليه في علاقتنا ومتأكدة من النواتج فلا تقلق، أنسيت أن تخصصي يا أستاذ الثقافة الاجتماعية، أنسيت؟

- لا لا طبعاً وأنا أقدر، ولكن أنا أحببت أناقش معك هذا الفكر حتى أفجر لك قبلة من العيار الثقيل، احتفظت بها في صدري حتى لا أفجرها إلا في الوقت المناسب تماماً، وها قد حان وقت تفجيرها بين يديك، ولكنها قبلة سلمية خالية من البارود بل مملوءة بخبر لا بد أن يكون سارا لك وقد يساعد في اختصار

بعض الأمور. قبلتة لم أُخبر بها أي أحد سوى شيخ المسجد ومنذ عام واحد تقريبا.

- قلتتي يا صلاح، خير إيه القبلة دي؟ وليه كنت محتفظ بها في صدرك! ولماذا حكيت لإمام المسجد فقط؟! قول بقى قلتتي.. يا ترى سبع ولا ضبع، دا انت طلعت حكاية. بس شوف قبل ما تفجر القبلة دي، قولي لو كان عندك قنابل تانية لسه محتفظ بيها، أنا مش حمل قنابل يا سيدي.

- هاهاها ماتلقيش يا ستي، هي قبلة واحدة بس طبعا لما تنفجر هايطلع منها شوية شظايا كده صغيرين، بس برضه ماتخافيش، دي شكة صغيرة خالص زي شكة الدبوس. واستمر «صلاح» في ضحكته..

- يووووه بقى، قول مش قادرة أصبر، قول قبل ما بابا بييجي أو المعلم محمود.

- حاضر يا ستي، القبلة هي.. وحكى «صلاح» قصته مع «عزيز» بك و«جهان» هانم بالتفصيل والتي كان لها بالغ الأثر في اكتساب صلاح خبرات ومعارف لم يكن يحلم بها ليخرج منه صلاح آخر غاب عن كاندليه حتى عاد قبل نهاية المطاف إلى كاندليه مرة أخرى.



الفصل السابع العشر

«ويجري النهر ليقابل البحر هناك في نهاية رحلته ليصب حمولته من هموم الناس في المياه المالحّة فتذوب عذوبته بعيدا عن أعين الناس».

ضاقت الدنيا في عيني «عزيز» فلم تعد عيناه ترى هذا الكون الممتد أمامه وفوقه وتحتة، اختزلت عيناه هذا الكون بألوانه الزاهية في مساحة لا تزيد عن أبعاد وجهه ولم يعد يرى الأشياء بألوانها الطبيعية بل اتحدت الألوان لديه وتجمعت في اللون الرمادي والأسود وكأن عينيه يمثلان أول إصدار من كاميرا أبيض وأسود. لم يعد يرى العالم بأبعاده الثلاثية وجمال الأشياء في استقاماتها وانحناءاتها.

وقف «عزيز» أمام النهر فلم يعد يرى تيارات مياهه تعلوا وتهبط في رقة وعذوبة حاملة على سطحها أحلام العشاق والفرسان وطالبي الحياة، أحلام كان يراها وكأنها وقعت من قلوب الحالمين وعقولهم فحملتها مياه النهر في سعادة بالغة وتركتها تسبح فوق سطح أمواج تلها بكبرياء أمالها. لم يعد يرى «عزيز» كل ذلك في النهر، بل يراه مجرد كتلة من المياه المتحركة أو لجة أسنة من زبد أبيض يعلو طين يابس التصقت به أماله وطموحاته فتعفنت وتنت رائحتها التي كانت تملأ عليه حياته ليستغنى بها عن تلبد مشاعر الناس.

تحول «عزيز» من رمز الطموح والعلو والاندفاع والشباب إلى الانكسار والخضوع والذبول والاكْتئاب في عمره الذي يقاوم نهاية العقد الثالث، ولا يريد أن يتركه أبداً قبل أن تتحقق أحلامه. وقف «عزيز» أمام النهر متخادلاً وهو الذي كان يقف هنا على شاطئه حتى أمس يقامره بأحلامه ويغزله برجولته المتقدمة وفحولة شبابه وكأن مياه النهر هي أنثاه التي تمرد على حبها وإخلاصها بكل ما يمتلك من قوة النظرات وعبير الحكايات ورمزية الذكريات وعواطفه المتقدمة، النهر أنثاه التي يراها عروفاً تجري في يديه. وقف «عزيز» أمام النهر التي تجري مياهه أمامه غير عابئ بتحولاته النفسية وما جرى له منذ أمس.

وقف «عزيز» في شرفة العوامة باحثاً عن نسائم الهواء القادمة من النيل -بعد أن قَبَلَتْ رذاذ تيارات المياه المتراقصة في مكانها- تلاطف وجنتيه كأم تدلل طفلها الوحيد. ولكن لم يشعر عزيز بلطف النسيمات كما كان يشعر بها من قبل وكان نهايات أعصاب الإحساس هجرت بشرة وجهه الناعم الرقيق.

ألقي «عزيز» نظرة عميقة في مياه النيل حتى كاد أن يرى قاعه من صفاء مياهه، فحسد النهر على صفائه وانجذاب الناس إليه، وحسده على انطلاقه وعلى قدرته على تحمل البشر عندما يعتلوا سطحه أو يلتقوا فيه بمخلفاتهم أو يبعثروا مياهه الصامته بالعوام أو بالقوارب أو بمراكبهم كبيرة كانت أم صغيرة. يا لك من بطل يا نيل تتحمل كل هذه الأحمال ولا تنوء، يا ليتني نهر مثلك أو أحد روافدك أو تيار من تيارات مياهك أو حتى قطرة تذوب في أعماقك فلا تشعر

بوحدة وهموم الحياة وأحزانها التي تتولد في القلب، قلب يمشي فوق الأرض الواقفة تحت الأقدام. و لكني لست أنا بنهر فما أنا إلا مجرد شاك بلا شكوى أو دليل.

لم يأبه النهر بعزيز ولم تأبه مياهه بكلماته واستمرت تجري في طريقها بعيدا عنه. اشتد غضب «عزیز» على نفسه وعلى النهر فأمسك بحجر وألقى به وجه البحر متمنيا أن يصيبه بعاهة كالتي أصابته أو بجرح كالذي أصابه لعل البحر يكتئب. شعور عدواني أراد به «عزیز» أن ينفث عنه الغضب النائم في أحشائه الذي لم يجد من يروضه. ولأن «عزیز» لا يريد أن يغضب أحداً غيره ولا يجرح إنسانا غيره، ولذلك قذف النهر بالحجر لأنه يعلم أن مياهه تحوي كل مظاهر الغضب أياً كانت وهكذا فعل.

لم يتأوه النهر كما تمنى عزيز بل اهتز مأوّه في ابتسامه عريضة على هيئة دوامات دائرية إما هازئة من إلقاء الحجر أو متعاطفه مع انفعالاته غير المعلنه. لم يعجب «عزیز» رد فعل النهر فهو يبحث عن شيء أكبر، رد فعل أكبر، يبحث عن بكاء، عن جرح، عن عويل، عن شكوى ينفث فيها غضبه الكامن والمكبوت والذي لو أطلق له العنان لخرج منه كالنار من جوف التين تحرق ما عداها. أمسك عزيز بحجر أكبر ثم جمع كل قواه العضلية ورجع بذراعه بزاوية منفرجة إلى الخلف ثم قذف الحجر بعيداً في مياه النهر لعلها تتأوه وتبكي من جروح عميقة كالتي في نفسه لعله يرتاح.

فور إلقاءه الحجر فوجئ عزيز بأصوات بكاء ونحيب وشكوى قادمة من النهر، تعجب كيف للنهر أن يبكي من إلقاء الحجر، أهو في حلم أم خيال أم سراب. ولكن لم يكن سراباً بل واقع أمام عينيه، فقد ظهر بجوار العوامة التي يقف في شرفتها قارب صغير يقترب إليه وبه سيدة مسنة ومعها صبي وفتاة. الصبي يجدف في المياه بكل طاقته والفتاة تلقي الشباك في النهر والسيدة تمسك برأسها والدماء تسيل من جبهتها بعد أن أصابها حجر عزيز.

العوامة هي سكن مؤقت للأغنياء وعزيز منهم وهذا ما تعرفه السيدة العجوز جيداً، ورغم شدة الألم والجرح العميق لم تشأ السيدة أن تدخل في عراق مع عزيز بك الذي تبدو عليه علامات الثراء فقد يمنعها من المجيء بقارب الصيد هنا مرة أخرى. تمالكت نفسها ولما اقتربت منه لم تزد عن كلمتين: «كده برضه يابيه، دا احنا على باب الله.. ابقى خد بالك وانت بتهزر مع زمايلك».

لم يصدق عزيز ما حدث، هل يقول لها أنه لم يكن يمزح مع زملائه بل كان يداعب النهر بحجر ينفث به عن غضبه المكبوت وأحزانه وهمومه التي ترسوا جبالاً في قلبه ولا يستطيع التحرك أو التنفس منها. أيقول لها أنه لم يقصدها أبداً، بل يقصد مياه النهر الواقفه مثل حياته التي وقفت منذ أمس فأراد أن يحركها بحجر بديلاً عن مواجهته لنفسه.

لم يستطيع عزيز إلا أن يظهر أسفه وسوء تصرفه للسيدة العجوز: «أسف يا أمي على جرحك، لم أقصدك، أسف وياريت تسمحي لي أداوي جرحك الذي ينزف».

- مفيش داعي يا بيه شوية وهيبقى كويس.. أنا هاربطه بالطرحه بتاعتي على ما أروح وأحط عليه بن وشاش.

أصر عزيز أن يداوي جرحها عوضا عن مداواة جرح نفسه العميق. وبعد إصرار من عزيز قبلت السيدة فأشار لها أن ترسو بالقارب على مدخل العوامة لتدخل هي والصبي والفتاة معهما.

تبدو السيدة في هيئتها كنجلة هشة قضت عليها رياح العمر فلم يبق إلا جذعها وبعض الجريد الناشف. وبدا الصبي والفتاة كعيدان غضة من الياسمين قطفها أحد العابثين ليشمها ثم رماها في أرض وحلة. عيونهما تشع ذكاءً وطيبة وشفاهم تمتلئ بابتسامات العالم النقي. اتكأت السيدة على كتفي الصبي والفتاة بعد أن ربطا مقدمة القارب بسلم العوامة. لم يكن هناك في العوامة غير عزيز الذي تعود أن يأتي إلى هنا مع أصدقائه ليستمتع بحياة الصخب.

- بس ياريت أعرف اسمك؟ أنا ابنك دكتور قلب وجراح ودي عوامتي باجي فيها كل أسبوع مع أصحابي ولكن دي أول مرة آجي لوحدي فياريت تكونوا أصحابي النهاردة.

- والنهاردة بس ليه يا ابني نكون أصحاب على طول بس احنا مش قد المقام.

- أبدا يا أمي، أنتم تشرفوني.

- عموما أنا هامشي دلوقتي أنا والولاد علشان نلحق نبيع السمك اللي اصطدته.

- أنا هاشتري كل السمك منكم وناكله سوا كمان بعد ما عمله
بأيديا بس قوليلي اسمك إليه.

- أنا يا ابني اسمي عزيزة ودول صلاح وسعدية وولاد بنتي اللي ماتت
من شهرين هي وجوزها سوا مرة واحدة في حادثة على الطريق.
وصلاح وسعدية بربيهم دلوقتي وبأخذ بالي منهم لحد مايكبروا.
والحمد لله إن الحجر خبط فيا مش فيهم.

- اسمك رائع يا حاجة عزيزة واسم على مسمى وربنا يقويك عليهم
ويبارك فيهم.

- الله يسترك يا بني ويفرح همومك ويعينك ويسعدك دنيا وآخره.

تلقى «عزيز» هذا الدعاء كأنه سيمفونية من سيمفونيات بيتهوفن
التي تشجيه أو كأنها أم كلثوم في نهج البردة أو عبد الوهاب في النهر
الخالد. دعاء جميل في كلمات قليلة ولكنه كممحاء محت بعض أحزانه
أو كأنها حقنة مخدرة أو مقويات أنعشت قلبه بعد أن كاد يموت هناك
وحيدا غريقا في النهر بعيدا عن عقله. شكرا يا أمي على دعواتك.

بعد ما رأى وسمع «عزيز» المشوار اليومي لهذه الأسرة وصدقتهم
مع البحر شعر بالضآلة في نفسه أمام هذه السيدة التي من الواضح أنها
خبطت رأسها في حائط الحياة حتى قشطت الأيام طبقات نضارتها،
ثم ألفت الحياة عليها بطبقات أخرى من شظف وجمود وتراب الحياة
فجعل ابتسامات شفيتها في وجهها كزهرة برية في أرض شراقية جف
ثراها فنبتت عنوة بعد أن وقعت عليها بعض قطرات الندى.

لم يستطع «عزيز» أن يتحمل الشعور بضآلة نفسه أكثر من ذلك

فلجأ إلى بلكونة العوامة ليخاطب النيل كعادته عندما تضيق به الحياة الناعمة التي ورثها عن والده فجعلته مليونيرا من أعيان البلد، حياة أرضها خصبة تروى بمياه تجري تحت قدميه فتبتت الزهور أشكالا وألوانا كل يوم بين يديه فيقطفها ثم يلقبها على هيئة ابتسامات أو ضحكات كما يحلو له على وجوه من حوله في الحفلات وسهرات المساء التي لا تنتهي كل أسبوع بل أحيانا كل يوم بعوامته التي ورثها أيضا مع أطيان وعمارات ومصانع والده.

وقف «عزيز» في شرفة العوامة، وبصره معلقا بمياه النهر الذي يعرف على عكس عزيز هدفه فيجري بهدوء وثقة رغم ما يحمله على سطحه من أثقال، ورغم ما يلقى في بطنه من هموم وأحزان البشر، يجري ليقابل البحر هناك في نهاية رحلته ليصب حمولته من هموم الناس في المياه المالحة فتذوب عدوبته بعيدا عن أعين الناس.

نظر عزيز في المياه ليجد العديد من القوارب الصغيرة السابحة بمجاديفها متناثرة هنا وهناك وفي بطنها وجوه تشبه وجه عزيزة .

نظر «عزيز» إلى هذه القوارب وكأنه يراها لأول مرة تركض أمام عوامته .

تعجب وهو يحاور مياه النهر في صمت، كيف لم أر هذه الأعداد الهائلة قبل اليوم، كيف تأتي وتروح يوميا باحثة عن رزق بين حبات مياه النهر العميقة. ولكن كيف لي يا نهر أن أرى القوارب على سطح مياهك وأنا أتبختر داخل قاربي الكبير، على عوامتي ألهو فيها بريشة رغد الحياة، وأرسم بها لوحة السعادة الزائفة ولا أرى فيها هذه

القوارب الصغيرة إلا كديكور يملأ فراغات لوحتي حتى تبدو طبيعية دون أن ألقى بالا بطبيعة القوارب ومن فيها من أناس يبحثون عن شظف الحياة.

أمسك «عزيز» بسور شرفة العوامة بقبضة يديه، وكأنه يخشى الوقوع في مياه النهر فتلقيه مع باقي هموم البحر الأبيض المتوسط القابع هناك منتظرا مياه النهر. الآن فقط أدرك عزيز لماذا تهيج أمواج هذا البحر ولماذا يتوسط العالم، فما هذا البحر الهائج إلا إناء كبير تُصَب فيه هموم العالم فتلقفها أمواجه الهائجة بين شد وجزر ثم تدغدغها ثم تهضمها ليصير البحر أبيضاً نقياً خالياً من الهموم. الآن فقط أدرك عزيز معنى الهموم الحقيقية التي لا يشتكي كثير من شدتها، وابتلاء أصحابها بها فحملوها على ظهورهم وداخل بطونهم فذابت في دموعهم وتجمدت في قلوبهم حتى أصبحت جزءاً من خلايا الجسد تموت مع موته وفنائته.

الآن فقط تمنى عزيز أن يخرج خلايا عقله بمغرفة صدأة كالتي رآها يوماً بالية في يد جنائني فيلته، يلقي مخه كقطعة أسفنج أمام عينيه على سور شرفة عوامته لينهال عليه ضرباً بعضا البيسبول المعلقة هناك على جدار عوامته ليفرم خلايا تفكيره وإحساسه ومشاعره ويفتتها ثم يلقيها في مياه النهر الساكن لتذوب فيه، أو لتلقفها أفواه الأسماك الجائعة فيحيا بلا عقل بعد أن اكتشف أنه مأوى للتفاهات التي ألقى عليها ثوبا أسود باهظ الثمن، فقط ليجعلها تبدو هموماً وأحزان.



الفصل الثامن عشر

«ولكن هو القدر الذي ينسج الأحداث وما علينا إلا أن نخطئها بالطريقة التي نراها سواء نجحنا أو فشلنا في حسن خياطته».

في زحمة أفكاره هذه، أفاق «عزيز» من ثورة انقلابه على نفسه على صوت صلاح وسعدية قائلين: روحت فين يا بيه.. ستي بتسأل عليك لأن بقالك فترة بتبص في المياه ومش بتتحرك. بس العوامة حلوة قوي يابيه، أه لو القارب بتاعنا يكبر ويبقى عوامة زي دي. هو انت عايش هنا فوق المياه يا بيه ولا بتعمل بيها إيه؟

ابتسم «عزيز» وأمسك بيد الأولاد واتجه نحو جدتهم ليطمأنها: أنا مش ساكن هنا يا اولاد.. ولكن ببيت أحيانا بعد ما نخلص الحفلات والرقص والغناء مع أصدقائي.

- يا بختك يابيه.. ده أنا وستي وأختي بنبيت في القارب كتير لما بتتعب وما بتقدرش نروح بس لما بيكون الجو حلو. وأيام كنا نصحى بالليل على صوت الغنا والموسيقى إللي في العوامات اللي هنا دي، وكنت بسأل جدتي ما تيجي نقرب من العوامة يمكن نعرف ندخلها ونشوف الناس دي بتعمل إيه.

- وجدتك كانت بتقوللك إيه لما تسألها؟
- كانت بتضحك عليّ وتقوللي يابني العوامات دي بيبات فيها السمك الكبير بتاع البحر ولو رحى السمك ده هايكلك .
- هاهاهاه خليتتي أضحك مع أن ما ليش نفس . طيب وانت كنت بتصدق كلامها؟
- لأ طبعا ده أنا كنت باقولها طيب يا ريت يكون السمك الكبير هناك علشان أروح اصطاد واحدة ونبيعها بفلوس كثير ونبطل شغل وأروح المدرسة كل يوم أنا واختي أو نشتري مركب كبير ونبقى أغنيا زي صحاب العوامة نفسهم .
- احنا لازم نمشي يابيه علشان نكمل رحلة صيدنا النهاردة .
- لكن لسة جبينك مجروح ولازم ترتاحي شوية وتاخدي كبسولات للألم ومضاد حيوي يا ست عزيزة.. تعالي ارتاحي هنا على السرير وأنا هانزل بدالك مع الأولاد .
- إزاي بس يابيه ماينفعلش دا شغل ما حدش يعرفه إلا احنا أصحاب الكار وكله بهدلة وعايز خبرة .
- وأنا نفسي أجرب واشتغل بإيدي .. فياريت تديني الفرصة دي وما تقلقش هاشتغل معاهم كأنك موجودة، أنا شفتمكم كتير وانتوا بتتصادوا وعارف بتعملوا إيه .
- بس ماينفعلش يابيه إنت مقامك عالي ومش محتاج .

- لأمين قال..! أنا محتاج جدا .
 - عموما إللي حضرتك شايفه.. بس ياريت أكون معاكم.
 - لأ، ياريت ترتاحي هنا لحد ما نرجع.
 - طيب يابيه، ربنا معاكم ويرزقكم وترجعوا ليّ بالسلامة، إذا كان كده خليني أقولك على شوية حاجات لازم تاخد بالك منهم وانت على القارب.
 - أيوه كده، قولي وأنا سمعك .
- طوق «عزيز» كتفي الأولاد بحنان بالغ وكأنه يتأبط حاضره ومستقبله الذي جاءه يتهادى زخات زخات من السماء على جبين قلبه من سماء أناس بسطاء لا يملكون من متاع الدنيا إلا القناعة والدعاء بالستر والرزق والسلامة.
- أمسك «عزيز» بمقدمة القارب ليستقر على صفحة المياه حتى ينقل الأولاد أقدامهم بداخله. أمسك المجاديف وبدأ يضرب سطح الماء بكلتا يديه بخفة، فانطلق القارب كطائر النورس وسط تيارات الماء المندفعة على جوانب القارب تشاهد ما يفعله هذا الغريب.
- انطلق القارب وانطلقت معه دقات قلب عزيز تدور في أجواء جسده توسع لصفاء نفسه طرقات عقله الذي كان مغلقا حتى الأمس. شمر عن ساعديه وبدأ يتعامل مع مجاديف القارب كلجام لفرس يمتطيها وهي طائعة كيفما يشاء.

اندهش الأولاد بمهارة عمو «عزيز» في تسيير المركب ودورانه يمينا وشمالا بسرعة وببطء ليفسح لهم ساحة مياه النهر ليلقيا بشباكهم لتخرج من المياه، وبها تتلألأ الأسماك ضاحكة تجاه عيني عمو عزيز. امتلأت السلة بالسمك، وامتلأت سلة خياشيم قلوب الأولاد بالرضا والسعادة الطاغية بهذا الحصاد من الرزق الوافي. وامتلأت مسام أنفاس عزيز بنسمات الهواء القادمة من كل أركان النهر تبارك كضوف يديه المقاتلة.

أصر «عزيز» أن يحمل السلة المحملة بالسمك الضاحك الذي يسابقه إلى عوامته ليقع بين يدي عزيزة التي لم تنقطع يوما عن القارب ومجاديفه وشباكه. دخل عزيز ومعه الأولاد بهدوء إلى العوامة حتى لا يوقظوا عزيزة النائمة، وحتى لا تستيقظ آلامها الساكنة في جبينها. و عندما دخلوا من الباب على أطراف أصابعهم فوجئ بعزيزة في بهو العوامة في غمرة الحديث مع «جيهان» التي جلست بين يديها وركبتها في صدرها وكفيها على وجنتيها تستمع في صمت واهتمام إلى حديث عزيزة وكأنها تلميذة في روضة الأطفال.

اندهش «عزيز» وتملكه الغضب وتعجب كيف تأتي إلى هنا من أرادت أن تنهي حياته، كيف تجرؤ قدماها أن تتخطى أعتاب بابيه وحياته مرة أخرى. كل ما حدث من تحولات في حياته كان بسببها، هم «عزيز» أن يمسكها كمجداف ويلقيها خارج العوامة ولكنه أهاب عزيزة وآثر أن يصبر وينتظر حتى تنهي حديثها ثم يتفرغ لها وينهرها ويطردها من حياته تماما كما يفعل النهر مع همومه.

- أهلا بيك يا عزيز بيه، يا ترى أخبار الصيد والسمك والبحر إيه؟ شكلوكوا جبتوا سمك مع إن معاك حورية البحر الحلوة.
- مين هي حورية البحر إللي تقصديها؟
- جيهان هانم يا عزيز بيه إللي أنا قاعده قدامها، ست زي القمر، جمال وأدب ومال، ربنا يهنكوا ويخليكوا لبعض.
- عموما بعدين نتكلم يا ست عزيزة في الموضوع ده.
- لا خلاص يا بيه أنا هاخذ الأولاد ونمشي ونسيبك مع جيهان هانم تتهنوا سوا.
- لأ طبعاً مش ممكن، أنا عامل حسابي أجهز السمك بنفسي للغدا سوا، دا احنا اصطادنا كتير زي ما انت شايفة في السلال!
- والنبى يا سيتو نقعد شويه مع عزيز بيه، احنا حابناه قوي، نقعد شوية ونمشي آخر النهار.
- إيه رأيك يا جيهان هانم؟ أنا مش عايزة أضايقكم.
- أبدا يا طنط، خليك أصل أنا حبيت كلامك قوي.. وبعدين علشان تصالحيني على عزيز إللي ما قالش حتى أهلا يا جيهان!!
- صحيح يا عزيز بيه ليه ما سلمتش عليها لما دخلت؟! الأصول ترمي السلام على حبيبة القلب.
- أنا رميت السلام يا ست عزيزة بس في البحر مع الأمواج بلا رجعة.

- يعني إيه الكلام ده مش فاهمة حاجة؟!!
- ما تشغيلش بالك وتعالى شو في السمك إللي احنا اصطدناه وخليني أحكيك على مغامرات البحر النهاردة أنا والأولاد.
- لأ يا طنط هو قاصد يهملني وما يعبرنيش مع إني جايا مخصوص ليه النهارده علشان أصالحه مع إني معاملتش حاجة تستاهل زعله مني .
- يا عزيز بيه، جيهان هانم حكّت لي على سبب المشاكل بينكم وأنا شايفة إنها حاجة بسيطة ما تستاهلش الخصام والقطيعة بينكم، خاصة إنها جاتلك أكثر من مرة وتأسفت، يابني الدنيا مش مستاهلة وعيشوها ببساطة وربنا يسعدكوا .
- شوفي يا ست عزيزة، جيهان كويسة بس المشكلة في إنها رافضة تحمل وتخلف وأنا نفسي في أطفال موت، وأنا هاسيب ده وهي كمان لمين.. وبعدين الأولاد عزوة وعايز أعمل عيلة كبيرة. حقي ولا لأ؟ ويعني أعمل إيه؟ أتجوز واحدة تانية؟ طبعاً مش هاقدر لأنني بجيها .
- يا عزيز احنا اتكلمنا في الموضوع ده كتير وانت عارف أنا مش ممانعة واحنا رُحنا للدكتور، وأنا قلتلك نسيب الأمور إلى أن يشاء الله، وأنا يا سيدي مش مستعجلة دا احنا لسة صغيرين خالينا نستمتع بحياتنا إلى أن يشاء الله. أرجوك يا عزيز مش عايزين نناقش الموضوع ده تاني وما فيش داعي تسمح لتدخل الأهل والأقارب في حياتنا .

نظر «عزيز» إلى صلاح وسعدية وإلى ملامحهم الملائكية وإلى المتعة غير العادية والتي تملكته اليوم وهو معهم في المركب يصطادون وسط الجد والمرح، وتذكر كم كان سعيدا وسطهم حتى ولو لم يكن أولاده من صلبه. كم تمنى أن يكون فقيرا مثل عزيزة جدتهم مقابل أن يهبه الله الذرية التي تملأ عليه الحياة وتبث فيها حركة وحياة ومعاني مختلفة لحياته مع زوجته وحببته جيهان. صحيح أنه يحبها ولكن هذا الحب يحتاج إلى أطفال تجمعهم مصلحتهم وتربيتهم وطموحهم. أولاد قرة عين لهم يسهرون عليهم ويفرحون لهم ويطمحون لهم ويراقبونهم وهم يكبرون.

اغرورقت عينا عزيز من هذا الحرمان الذي تملكه وأنساه كل ما عنده من أموال وعقارات. كل هذا وأنت يا جيهان لا تفعلني شيئا لتحقيق طموح وأمنية حياتي. لقد مللت هذه الحياة وعناد جيهان، ولا بد من اتخاذ موقف صارم تجاه تحقيق رغبتني حتى ولو كان زيجة أخرى. انتبه «عزيز» على كلام الست عزيزة وهي تسأله: إيه رأيك يا عزيز به في اللي قالتها الست جيهان؟ كلام معقول برضه.

بانفعال متعمد وغضب في ملامحه: مش موافق يا ست عزيزة على كلامها، كل ما افتح الموضوع ده تقوِّلي نفس الكلام والسنين بتعدي ومافيش جديد. أنا زهقت من الحياة دي ومش موافق عليها واستحالة هاستمر بالشكل ده. بزمتك يا حاجة عزيزة إنت تقدرني تستغني عن صلاح وسعدية مع إنهم أحفادك، تعريف تعيشي من غيرهم؟

- بصراحة يابني لأ، إزاي دا هما حياتي وما عرفش أستحمل الحياة من غيرهم، بس لو مكانش ربنا أمر وجم ورزقنا بيهم من الأول كنت هاحمد ربنا وهعيش. ربنا يخليهم ليّ دول ماليين عليّ حياتي.

- شوفت بقي أنا عندي حق إزاي.. أنا من حقي أعيش نفس إحساسك ده وإحساس كل أب تجاه أولاده. يا جيهان بلاش عند أكثر من كده وسيبي نفسك للحمل، وإلا مش ممكن الحياة هاترجع عادية بيننا.

احتارت «جيهان» في أمرها، أتخبره بالحقيقة التي خبأتها عنه طوال خمس سنين حتى لا يتأثر نفسيا وتتأثر علاقتهم وهو ما لا تقدر عليه حبها الشديد لعزیز وتمسكها به لأنها تعلم أيضا كم يحبها، فطالما حسدهم الناس على حلو علاقتهم وعلى ما أعطاهم الله من مال وجاه. ماذا تفعل الآن وهو أصبح مصرا يوما بعد يوم على التحدث في هذا الموضوع الذي أدى إلى صراع يومي وفُرقة قد تستمر يوما أو أكثر حتى تعود هي لتصالحه كما فعلت اليوم. لا لن أبوح له أبدا فهو حبيبي وزوجي وصديقي، ومن يدري لعل الله يحدث أمرا كان مفعولا، كما قال الطبيب من أن إمكانية حدوث الحمل بسبب ما يعاني منه عزيز ضئيلة جدا ولكنها ممكنة ولو بعد حين.

اغرورقت عينا جيهان وهي تنظر إلى عزيز يصارع رغبته في الإنجاب، ورغبته في استمرار الحياة معها، وسالت بعض الدمعات من عينيها الحانيتين وهي تجد نفسها في هذا الموقف الصعب الذي لم تتخيل أبدا وهي في مقتبل العمر أن توضع فيه مع أحب الناس، ولكن هو القدر الذي ينسج الأحداث وما علينا إلا أن نخيطها بالطريقة التي نراها سواء نجحنا أو فشلنا في حسن خياطته.

الفصل التاسع عشر

«من لا يمتلك حق البنوة كمن يدعي النبوة».

أفاقت «جيهان» على راحة الست عزيزة وهي تططبب عليها لما رأتها على هذا الحال والدمعات تتساقط من عينيها أمام عزيز الذي كان معطيا ظهره لجيهان وناظرا تجاه مياه النهر وهي تتوالد وتجري فرحة حاملة أمواجها على ظهرها غير عابئة بمن حولها. لم يشعر «عزيز» بدموع جيهان وحزنها إلا عندما هزته سعيدة من وسطه: تعالي يا بيه شوف الست جيهان أحس زعلانه وبتعيط.

أدار «عزيز» وجهه ناحية جيهان ليتأكد، وما إن رآها على هذا النحو من الانكسار والحزن، والدموع تسكن عينيها، حتى هرول إليها ماسحا بأنامله دموعها ومعتذرا عما بدا منه ومعلنا على صبره واحتساب أمره عند الله إلى أن يشاء هو.

ابتسمت «جيهان» وربتت على كتفه وأخذته في حضنها كالطفل الذي يبحث عن صدر أمه، فلان لها وقبّلها، ثم أخذها من يدها في حنو بالغ لتتهض واقفة بجانبه وهو يحتضنها ويحتويها في جنبه كما يفعل دائما لتشعر هي بالحنان والأمان متمسحة فيه كقطته المدللة.

هام «عزيز» في أنفاس جيهان وبصره يراقب مياه النهر وهو يجري حاملا أمواجه فرحا على كتفيه. تمنى من داخله دون أن يظهر

لجيهان تمنياته أن يهب الله لها القدرة على الحمل والفرحة كما منحها لهذا النهر. كم أشفق عليك يا جيهان، لعل الله يهبك القدرة كما وهبنا كل شيء لتكتمل سعادتنا وتستمر حياتنا سويا .

أفاق «عزيز» على صلاح وهو يسأله بعفوية وبراءة ضاحكة: هو أنت عايز تخلف كام يا عزيز بيه؟ وولاد ولا بنات؟

وبعفوية أيضا ردت «جيهان» وابتسامة حانية وهي تنظر بعينيها إلى عيني عزيز: إذا كان على عمو عزيز هو نفسه في دسطة ولاد، فريق كورة يعني نصهم ولاد والنص الثاني بنات علشان يملوا العوامة دي والفيللا ويبقوا فريقين. بس احنا متفقين يا صلاح على طفلين ويا ريت بقى لو ولد و بنت حلوين زيك كده إنت وسعدية .

نظر «عزيز» إلى صلاح نظرة أبوية صب فيها حنان الأبوة المشتاق إليها، خاصة أن وجه صلاح فيه براءة وطفولة غير مقصودة على الرغم من الإجهاد والتقشف الذي يبدو على وجهه من العمل مع جدته: سؤالك بالنسبة لي كبير قوي يا صلاح.. ولكن إيه رأيك لو أسألك إنت نفس السؤال لو إنت كنت في عمري ومكاني .

ابتسم «صلاح» ابتسامة شقية كلها طفولة وعفوية: والله يا عزيز بيه ما فكرتش في السؤال ده قبل كده، ولكن لو أنا عزيز بيه بصراحة كنت خلفت ولد الأول واتعلمت فيه كل حاجة عن الخلفة وتربية العيال وبعدين أجيب بقى بعد كده بقية الدسطة إللي نفسك فيها .

ضحك «عزيز» وهو ينظر إلى جيهان ضحكة انفرجت لها أساريره، وهو لم يضحك منذ ثلاثة أيام بسبب العبوس الذي يسيطر عليه من جراء خلافاته مع جيهان: مش معنى يعني ياصلاح طفل في الأول والباقي بعدين هو انت شاكك في قدرتي على تربية الأولاد ولا إيه؟؟

- بصراحة يا عزيز بيه، إنت نفسك في الأولاد قوي فأكيد هادلعم جامد، فأحسن تجرب في واحد علشان عيوب التربية فيه ماتتكرش في الباقي، دول عيال برضه يا بيه.. وأعقب ذلك بضحكة زينت شفاهه العارية من كل مظاهر العز والراحة.

- ياواد عيب تكلم عزيز بيه كده، إتلم يا صلاح، عيب.

رد عزيز: ولا يهملك يا ست عزيزة، بالعكس ده أنا حابب كلامه جدا، وأنا بحب الطفل الذكي واللماح واللي يقدر يعبر عن رأئه وبأدب زي ما صلاح عمل دلوقتي.

نظرت «جيهان» إلى صلاح من رأسه حتى أخمص قدميه، فقد طرأت في ذهنها فكرة لم تخطر على بالها من قبل، فكرة تولدت حالا من جراء إجابة صلاح على سؤال عزيز، فكرة رائعة ومن الممكن أن تحل مشكلتها مع عزيز في الإنجاب ولا تعرضه للإحراج والألم النفسي إذا علم بصعوبة قدرته على الإنجاب كما أخبرها الطبيب. فكرة بمليون جنيه، برافو عليك يا صلاح.

نظر عزيز إلى جيهان نظرة يغلب عليها الشفقة ظنا منه أنها سرحت منهم فيما قاله صلاح والذي قد يكون كلامه ألمها وذكرها

بعدم قدرتها على الإنجاب كما يظن هو دائما دون أن يبوح لها عن ذلك.

- رُحتي فين يا حبيبتي؟ إيه إللي خدك مننا؟ دا انتِ مش معانا خالص!

- بالعكس يا عزيز أنا معاكم وسامعة كل حاجة وجاتلي فكرة رائعة لو الكل وافق عليها والست عزيزة أولنا، وبعدين احنا كلنا، وأهم حاجة موافقة صلاح..

- فكرة إيه دي يا جيهان؟! عايزاني أنزل أصطاد تاني مع الأولاد؟ ماعنديش مانع بس تيجي معانا وحالا وهيبقى يوم تحفة في العمر.

- يا حبيبي، لو وافقت على فكرتي هانعمل كده كتير. خليني بس أقولك على فكرتي.

وأنصت الجميع إلى جيهان وهي تقص فكرتها والكل فاتح فاهه من فكرتها الجنونية والتي لا يستطيع أحد أن يفكر فيها. وبعدها أنهت شرح فكرتها نوهت للجميع ألا يقرروا الآن بالموافقة أو الرفض. وطلبت من الست عزيزة أن تفكر في الموضوع مع أحفادها سعيدة وصلاح وهي سوف تذهب مع عزيز إلى الحجرة المجاورة لكي يفكر عزيز هو الآخر في الموضوع.

وبعد النصف ساعة من النقاش وراء الجدران وكل فريق بمفرده، نادى «جيهان» على عزيزة لتعرف رأيها وبدون أي تأثير.

- قولتِ إيه يا ست عزيزة.. صلاح هايبقى في عينا وما تلقيش عليه هايبقى ابننا إللي ماخلفناهوش وتيجي تزوريه في أي وقت.. وها نعلمه أحسن تعليم وها نصرف عليه كل اللي هو محتاجه وأخته هاتبقى معاكِ ومسئولين عنها وعنك كمان. وضحكت «جيهان» وهي تجثو على ركبتيها تدلل صلاح ممسكة بساعديه: وبالشكل ده يا عم صلاح نكون نفذنا إجابتك لبابا عزيز على أرض الواقع زي ما قلت وهو موافق جدا، قلت إيه؟

نظرت «جيهان» إلى عيون الثلاثة، عزيزة وصلاح وسعدية، لعلها تجيب بنعم، ولعل عيونهم تكون فرحة كما فرحت هي وعزيز، لعل بنوته لصلاح تتسيه إلحاحه في طلب الخلفة، ومن يدري لعل الله يكتب لي الحمل منه في أي وقت، حينئذ سيكون صلاح قد كبر ويستطيع أن يحدد هو ما يريد.

نظرت «عزيزة» نظرة فيها رضا ممزوجة بانكسار الجدة التي لا حول لها ولا قوة، وتتمنى كل الخير لأحفادها خاصة صلاح الولد الذي من الممكن أن يساعد أخته في حياتها إذا تحسنت حياته. نظرت «عزيزة» إلى صلاح ثم احتضنته وقبلت وجهه البريء: أنا موافقة يا ست جيهان بس بشرط صلاح لو حب يرجعلي خالص في أي وقت يرجع، ولا إيه يا صلاح؟

طأطأ «صلاح» رأسه خجلا، فقلبه معلق بجده وأخته، وبالمكان الذي تربي فيه، مع أن عقله متعلق بكلام جيهان عن التعليم والتربية وحسن الحال.

انحنى «عزيز» بركبتيه أمام صلاح ليربت على كتفه بحنان: مش هاتقدم أبدا يا صلاح، وستبقى أنت صلاح الذي تتمناه.

ترك «صلاح» نفسه لحضن عزيز دون أن يبادل له الحضن، ولكن علامة منه على الموافقة.

ردت «جيهان» على عزيزة: وانتِ كمان عمرك ما هاتدمي ياست عزيزة.. وانتِ شفتِ قد إيه قلب عزيز طيب وأنا كمان.

- على فكرة يا دادا عزيزة هو إنتوا ساكنين فين أصلا علشان نبقى عارفين؟

- احنا يا جيهان هانم من منطقة اسمها كاندليه في أطراف البلد.

- كاندليه اسم حلو قوي يا صلاح، أكيد هانبقى نروحه كلنا ونشوفه مع بعض.

- ربنا يسهل ياهانم، صلاح أمانة في رقابتكم لحد ما يقول هو، وأنا مش هاقول لحد من كاندليه خالص غير شيخ الجامع هناك فهو حامل الأسرار، علشان حد يكون عارف مكان صلاح فين لو جرافي حاجة.



- يااااه يا صلاح، دي قصة ولا الأفلام، طيب وبعدين إيه اللي رجعت كاندليه تاني؟

- الجزء الثاني من القصة هابقى أحكيهولك بعدين وبالتفصيل لأن الوقت عدى بسرعة وباباكي زمانه جاي حالا، لازم نمشي.
- يابني نمشي إيه بعد ما فجرت القنبلة، لازم أعرف إيه إللي حصل ورجعك تاني لكاندليه؟؟
- والله هاكيهالك بعدين بالتفصيل.. ولكن باختصار شديد أصبحت أنا أعامل على إني ابن جيهان وعزيز وتعلمت في أرقى المدارس حتى الإعدادية وحينئذ تحقق الأمل الكبير لعزيز فقد حملت جيهان، وفي تسعة أشهر أكرمهم الله بطفل جميل ومنذ الحمل تحولت كل الاهتمامات إلى الطفل الجديد وانشغلوا عني تماما ولكن لم ينسوا دراستي حتى مرت الأيام ثقيلة بعد أن فتر اهتمامهم بي والذي تحول إلى غيرة في بعض الأحيان حتى انتقلت إلى الصف الثالث الثانوي العام، وأصبح طفلهم ذا خمسة أعوام.. قررت ترك البيت دون أن يعلموا ورجعت إلى كاندليه بعد أن تلقيت منهم درسا قاسيا بسبب جرح ابنهم لي أثناء لعبي معه، وقد كان فعلا الدرس قاسيا ولن أنساه ما حييت. وتعلمت من هذا الدرس أن من لا يمتلك حق النبوة كمن يدعي النبوة.
- فعلا يا صلاح قصة غريبة وبالنسبة لي قنبلة فعلا أن أعرف أنك تعلمت في أحسن المدارس حتى الثانوية ثم تتركها وأنت على أبواب الجامعة، شيء صعب جدا، حقا قنبلة بمعنى الكلمة وبقدر ما شعرت بضيق من انقلابهم عليك مع إني لا أعرف ماذا حدث بالضبط، إلا إني سعيدة بأنك ممكن تحقق حلم حياتك بعد كل

هذا العمر وتتهي الثانوية وتدرس في الجامعة وكمان عندي في كلية الأداب كما كنت دائماً تطلب مني، واضح إن طلبك لم يكن عفويا بل مبني على رغبة قديمة ودفينة.

- شفتِ الحمد لله إن الوقت كفى لأحكملك على القنبلة، حظي حلو، أهو يا ستي المعلم محمود مقبل كصقر قريش علينا أهه. وضحك «صلاح» وهو ينظر في عيني ياسمين: أنا بقى خلصت دوري معاك، هاسيبك معاه تعيشي حياتك وأمشي أنا.

- صلاح، إنت مجنون أوعي تمشي وتسيبني، خليك معايا لحد بابا ما يبجي وكمان إنت إللي هاتوصلني لحد البيت وتحكي لي باقي روايتك دي في الطريق.

- هاهها إنت صدقت! أنا طبعاً مش هامشي، أنا معاك إلى آخر مدى، وإلى آخر الدنيا، دنياك يا ياسمين، يا أجمل دالياً خلقها الله لتزين الوجود وتزين حياتي.



الفصل العشرون

«فإذ به يطعن كبريائه أمامها بسكين الجاه والمال الذي

دائما وأبدا يسبق سكين الفكر والقيم».

نظر المعلم «محمود» إلى صلاح وهو يجلس على عجلة القيادة لسيارة ياسمين متعجبا: هو من إمتى وانت بتعرف تسوق يا ابو صلاح.. عمرك ماقتلي يعني ولا انت قاعد قدام الدرکسيون منظر كده يعني وبس فرحان بالعربية، إيه الحكاية قولي، ده انت عمرك ما خبيت عليّ حاجة يا معلم.. وبعدين إزاي ما تقوليش إن عندك داليسا هانم والدنيا كلها وأنا بندور عليها، كان لازم تقولي زي ما بتقولي كل حاجة، أنا زعلان. أدار المعلم «محمود» نظره ناحية ياسمين: وحضرتك ليه ما قتليليش إنك داليا لما جيت أدور عليكِ عند صلاح، كان إيه إللي مخوفك مني! ثم أكمل بابتسامة مصطنعة: كده يا هانم ضيعتِ عليّ الحلاوة إللي كان هايدفعهالي شوقي بيه.

ضحك «صلاح» وهو ينظر إلى ياسمين: ده ياستي المعلم محمود إللي والدك طلب منه يدور عليكِ في كاندليه وجالك الأوضة عندي وأنا مش موجود، مش عارف إنتِ خوفتِ منه ليه ده طيب جدا، ده

مجرد بيخربش الوش بالسكينة بس وبالكتير يشق راس، ليه خفت ده ملاك، وشنباته الكبيرة دي علشان أيام الانتخابات، مش كده ولا إيه يا صاحبي؟

نظر المعلم «محمود» إلى صلاح شذرا: ماشي يا ابو صلاح كلامي معاك بعدين ولازم أوضبلك وشك ده زي ما قلت. المهم يلاً بينا على أول كاندليه علشان شوقي بيه على وصول ولازم نستناه هناك لأنه عمره ما جه كاندليه.

شعرت «ياسمين» بخوف شديد من كلام صلاح عن المعلم محمود، وتمنت أن يتركهم ويمشي وتبقى هي فقط مع صلاح، فكم تشعر معه بالأمان وبأن هناك شيء ما خفي عليها يربطها به ويجعلها تسهر براحة نفسية وطمأنينة، حتى وهو يتحدث إلى المعلم محمود سواء يجد أو هزار.

أدار «صلاح» السيارة وبجانبه ياسمين وفي الخلف المعلم محمود، واتجه ناحية مدخل كاندليه لاستقبال شوقي بك الذي بقدر ما يتشوق صلاح إلى مقابلته بقدر ما يخشى اللحظة التي سوف يتحدث إليه فيها ويحاوره ولو لبعض الدقائق. فيا ترى كيف سينظر إليه شوقي بك وكيف يقيمه وبأي لغة سوف يحاوره، أسئلة كثيرة دارت في عقل صلاح وهو يقود السيارة التي كان محركها يبيض بعلو نبضات قلب صلاح، فالانطباع الذي سوف يتركه صلاح اليوم بعد مقابلة شوقي بك سوف يكون له أثر بالغ فيما بعد. تنهد «صلاح» تنهيدة تحمل في طياتها

حكايته مع الزمان وكل طموحاته وأسراره، تهيدة مكتومة أخفاها عن ياسمين وعن المعلم محمود، تهيدة نصفها حب ونصفها عذاب يقترب منه على أول كاندليه. ولكن تهيدته حملت بداخلها أمانا وثقة في القدر الذي بالتأكيد سوف يجد حلا لما هو فيه من متناقضات كما رتب لكل هذه الأحداث وبكل هذه السرعة.

- مالك يا صلاح، سرحت في إيه ورحت فين؟ ده انت مش معنانا خالص. طمني فيه إيه. أنا عايزاك تركز كده علشان لما تقابل بابا، المفروض تكون فرحان بمقابلته وفخور باللي انت عملته معايا.

- يا ست ياسمين ما فيش حاجة، ماتلقيش على صلاح، هو يا إما فرحان قوي بالسواقة خاصة وحضرتك قاعدة جنبه كده أميرة فتخيل إنه أمير أو خايف من مقابلة شوقي بيه وقلقان منه. عموما ماتخافش يا بو صلاح، شوقي بيه راجل بيعجب الغلابة اللي زينا وبيعطف عليهم وأكد هايكرمك، وأنا معاك أهه، المهم بس الست ياسمين ماتشتكيش منك لما تشوفه لتكون فيها حاجة كده ولاكده.

- يا جماعة أنا كويس، وبعدين بطل أفكارك وتحليلاتك دي يا معلم محمود، أنا مش قلقان من حاجة، أنا بس سرحت في حال الدنيا والأحداث والقدر الذي يحركنا كعرائس المولد كما يشاء تارة، وتارة أخرى يتركنا نواجه الحياة بأفكارنا نحن وبدون تدخل. والآن القدر يتدخل وبكل قوة وحنكة في الأحداث، وما علينا إلا أن ننساق

وننفذ قوانينه وإملائاته لعل نهاية الأحداث يكون فيها الخير لنا .
- يا محمود القدر لا يبغ لنا إلا الخير شريطة ألا نعرض على
المسار الذي يرسمه لنا وأن نمشي فيه كما يريد وبنفس راضية
وقلب مطمئن وذكاء اجتماعي وفكري .

- إيه يا بني كل ده، إنت بتجيب الكلام ده منين، أول مرة أسمعك
بتتكلم كده زي الأساتذة المتعلمين، إنت بتذاكر من ورانا ولا إيه،
شكلك خبت والله يا ابو صلاح، أكيد خبت، وبقى اللي عملته
وانت صغير بدأ ينقح عليك لما كبرت وحنيت للعلام. لا لا، إنت
اتغيرت وشايفك واحد تاني خالص، في كلامك وفي هدومك، إنت
أكيد لبسك جن من قاعدتك لوحك .

- يا محمود سيبك من الكلام ده، احنا وصلنا، خلّي عينك على
شوقي بيه لما تشوفه علشان نحبيه أول ما يبجي . وانت يا ياسمين
ما تنزليش من العربية إلا لما بابا يوصل وأنا ومحمود هانقظ بره
العربية نستاه .



ولم تمر دقائق حتى وصلت سيارة مرسيدس سوداء جديدة،
ليقف أمامها المعلم محمود ملوحاً بيديه فهو يعرف جيداً السيارة
وسائقها . توقفت السيارة، وجرى المعلم محمود ليفتح الباب الخلفي
لشوقي بك الذي نزل على عجل منادياً محمود: فين بنتي يا محمود
فين ياسمين، فين داليــــــــــــــــا حبيبتتي؟؟

- هناك في العربية يا شوقي بيه، مستتيك وهي كويسة وكل حاجة تمام.. وده صلاح إللي ساعد ياسمين وكانت عنده من امبارح. وما إن رأت ياسمين والدها ينزل من عربته حتى هرولت ناحيته، وكأنها لم تره منذ سنوات على الرغم من أنها كانت منذ قليل تريد البقاء هنا في كاندليه فترة أطول. عانقت والدها بقوة كطفلة في التاسعة، وضمها والدها بحنان ولهفة وكأنه افتقدها منذ أعوام في قارة أخرى.

- أهلا بابا، ده صلاح إللي كلم حضرتك في التليفون والذي اعتنى بي منذ مساء أمس وحتى هذه اللحظة وما شعرت منه إلا بالطيبة والثقة والأمان وصلاح الفكر.

- أهلا يا صلاح، شكرا على كل اللي عملته مع ابنتي ياسمين، وما فعلته معها سيظل جميلا على رقبتي حتى يوم الدين، فقد كنت مذعورا من حدوث مكروه لها، فهي ابنتي الوحيدة وأميرتي ومعلمتي وصديقتي وأمي وأختي، هي كل شيء في حياتي. لك كل الشكر.

- لا داعي للشكر يا شوقي بيه، فأنا لم أقم إلا بعمل الواجب والأصول.. وياسمين هانم ابنة الأصول وكل من كان معي من أهل كاندليه كان تحت قدميها مرحباً وهاشا ومعاوننا كل بطريقته. أنا الذي أشكر الظروف التي أتاحت لي الفرصة أن أتعرف على ياسمين هانم وأتعلم منها كيف يكون الإنسان متواضعا ومحبا

ومقدرا للآخر. وكيف تكون الظروف بجلوها ومرها حافظا للقلب والعقل ليكون صانعا من الأحداث المحورية التي قد لا تأتي على البال إلا صدفة محطات تاريخية في العمر يحرت فيها الماضي ليخلطه بالحاضر ليصنع منه عجينة لمستقبل يتمناه.

- واضح إنك بتحب القراءة يا صلاح، ومع إنني لا أدري من أين لك بهذه الكلمات العفوية إلا أنها كلمات جميلة ومعبرة ومن الممكن أن نناقشها لاحقا إذا توفرت الفرصة.

- طبعا يا بابا، فرص الحياة كثير، أفكار صلاح هاتعجب حضرتك جدا وإن شاء الله نعزمه عندنا في القريب لنكمل هذا الحديث الممتع وتتعرف عليه أكثر.

- طبعا طبعا يا ياسمين، يشرفنا هو وكل اللي ساعدوك واهتموا بيك من أهل كاندليه ومعاهم طبعا المعلم محمود اللي تعب برضه معانا في البحث عنك. أهلا بيهم كلهم وها تكون العزومة كبيرة جدا وعلى شرف أهل كاندليه اللي هاتعزميهم بنفسك في فيلتنا.

- طيب يا بابا ميرسي. المهم تكون اطمأنتيت عليّ وعرفت إنني كنت في أيد أمينة جدا. مع صلاح الذي تعلمت معه هنا أشياء ومعلومات كثيرة لم أكن أعرفها ولم تخطر لي على بال ولكنها غيرت فكري تماما عن أهمية الحياة والأهم فيها عن كيفية اكتشاف البشر والأشياء.

- طيب ياسستي، يلا بينا بقى لأن ماما هاتجنن عليك، وعلى فكرة أنا لم أخبرها بعد لتكون مفاجأة لها من العيار الثقيل. وأخرج «شوقي» بك من محفظته مبلغا كبيرا من المال أسأل لعاب المعلم محمود، ومد يده إلى صلاح ليشكره على ما فعله بشهادة ياسمين، مبلغا لو قسم على أهل كاندليه اليوم لامتلات البيوت بالسعادة حتى نهاية الأسبوع.

- اتفضل يا صلاح، ده مبلغ رمزي على تعبك وأمانتك على ياسمين وإن شاء الله لك هدية كبيرة لا تتخيلها مني بالإضافة إلى أي طلب تطلبه أنت مني سوف يكون مجابا أيا كان هذا الطلب يا صلاح، اتفضل المبلغ مع خالص شكري.

نظر «صلاح» بغضب مكتوم إلى يد شوقي بك وهي تحمل هذا المبلغ الكبير، وشعر بإهانة كبيرة أمام نفسه وأمام ياسمين، وحاول السيطرة على مشاعره وعلى لسانه وعلى ملامحه حتى لا تظهر ملامح الغضب هذه، فمؤكد أن شوقي بك لا يلام على ما يفعل بحكم الفوارق والحالة والعادات، ولكنه ليس كأهل كاندليه في هذا الموقف ولا حالته مع ياسمين تسمح بذلك ولا قناعته وفكرة يرضى بذلك. أمسك صلاح بيد شوقي بسرعة وضغط عليها بشدة ليشكره على مشاعره وموقفه، رافضا المبلغ بكل شياكة، ومعتذرا عن قبوله فهو لم يفعل إلا الواجب والواجب لا يباع ولا يشتري.

أصر شوقي بك على دفع المبلغ إلى صلاح، ولكن تدخلت ياسمين بسرعة لتتخذ الموقف الذي أخرج صلاح واستغرب منه شوقي بك:

بابا، صلاح مش منتظر أي مقابل، بالعكس ده هو صرف عليّ وأنا موجودة معاه وصلح العربية على حسابه وجاب لي الهدوم دي من معاه ورفض ياخذ مني ثمن الحاجات دي، فهو مش منتظر حاجة، كفاية شكرك وتقديرك ليه وإن شاء الله ترد ليه الخدمة دي من خلال حاجة معنوية وعلاقة طيبة مش أكثر.

ابتسم صلاح ابتسامة أنارت وجهه الذي كاد أن يتشقق أمام ياسمين. ولكن المعلم محمود سرعان ما مد يده ليأخذ المبلغ من شوقي بك ظنا منه أن صلاح يصطنع هذا الموقف طمعا في المزيد أو دلالة قبل أن يأخذه، وكله غيظ من رفض صلاح هذا المبلغ الكبير الذي من المؤكد كان سينال منه جزءا، فنظر إلى صلاح قائلا: يا ابو صلاح ما فيش داعي للكسوف أنا ممكن آخذ المبلغ يا شوقي بيه وابقى أديه لصلاح بعدين، أصله بيحرج شوية.

وبسرعة رد صلاح: أنا مش مكسوف يا معلم محمود، أنا عارف أنا بقول إيه ومصمم عليه وأنا علشان مقدر فرحة شوقي بيه بلقاء ياسمين هانم كنت زعلت وأخذت على خاطري، فمش معنى إنني من كاندليه ألا يكون لدي مبدأ أتصرف بناء عليه وأتمسك به، أنا لن آخذ مقابل الواجب والأصول مهما كانت تفاهة الواجب وعظمة المقابل. أنا لست إلا رجلا قام بواجب الرجولة الحقبة التي يؤمن بها إيمانه بالصلاة والزكاة والصيام وحب الله. هكذا أنا ولن أتغير سواء كنت في كاندليه أو في الشانزليزيه.

- خلاص زي ما انت عايز ، عموما شكرا لموقفك الرجولي ده وشهامتك غير المدفوعة الأجر، شكرا انت كمان يا معلم محمود ودي هدية مني لك بسيطة على ما أقابلك تاني في الشغل بكرة.

أسرع المعلم محمود بأخذ المبلغ المالي الكبير من شوقي بك مخافة أن يتدخل صلاح بجنونه ويفسد هذه اللحظة التي جعلت منه أغنى رجلا اليوم في كاندليه.

- يلاً بينا يا ياسمين على البيت وامشي ورايا بالعربية وعلى أقل من مهلك المرة دي، ولا أقولك خلي السواق بتاعي يسوق عربيتك وإننت تعالي معايا في عربيتي.

- لأ يا بابا، أنا عايزة صلاح يوصلني للبيت وخلي السواق معاك، أنا عاملة حسابي على كده أرجوك، على الأقل علشان صلاح يعرف عنوان البيت لما نحتاجه في حاجة وكمان لما نعزمه الأسبوع ده.

- خلاص يا ياسمين خليه يوصلك وامشوا ورايا، وعلى مهلك يا صلاح، ويلاً بينا.

لم تهز «صلاح» فخامة السيارة المرسيديس ولا الفيلا التي هو في الطريق إليها الآن، ولكن هزت مشاعره وكبرياهه الطريقة التي تعامل بها والد ياسمين معه، وعرضه مبلغه الكبير من المال مقابل ما فعله تجاه الإنسانية التي أحبها واحترمها ورأى فيها كل نساء العالم ورأى في نفسه أحقيته بأن يكون سيد رجال العالم طالما هي بادلته الحب، فإذا بشوقي بك يطعن كبرياهه أمامها بسكين الجاه والمال الذي دائماً وأبداً

يسبق سكين الفكر والقيم بل دائما ينقض عليها دون أن يستمع لتلك
المبادئ والقيم والأصول.



الفصل الحادى والعشرون

« كيف تدق البساطة هكذا على الأبواب في لحظة ما
وتدخل بيوتنا وتجالسنا بلا استئذان ونحن نقضي العمر نبحث
عنها ولا نجدها.»

لم يتكلم «صلاح» وهو في الطريق بل ترك ياسمين تتكلم، والتي
لم تجد هي الأخرى أي كلمات تخفف عن صلاح هول هذا الموقف
خاصة أنها تعلم جيدا أن الكلام لا يفيد معه كثيرا، فكيف يفيد الكلام
في تضييد جرح غائر تتزف دماؤه وتسيل على أرض الكبرياء.

- مالك يا صلاح، ساكت ليه مع إن الجو رائع وجميل وأول مرة
أركب فيها جنبك وانت بتسوق؟! وبضحكة بها دلال: هو إنت خايف
لتتوه من بابا ولا إيه. يا سيدي ولا يهملك ركز معايا أنا واحنا
هنوصل هنوصل، أنا عارفة الطريق كويس ما تقلقش.

- أنا مش ساكت يا ياسمين، أنا باتكلم مع نفسي ولكن بصمت،
وباستمتع بلحظة تاريخية لا أدري إذا كانت سوف تتكرر أم لا،
لحظة رسم فيها القدر أحلى أحداثه أمام عيناى وقدر لي أن
أكون بطل هذه الأحداث وأنتِ بطلتها، ولكن خوفي هو من النهاية
التي كتبها القدر لهذه الأحداث. هل أراد القدر لي أن يعطيني
الفرصة لأكون بطلا ولو لمرة واحدة في حياتي حتى لا يجرمني مما

تمنيته معك، ثم يتركني أتمتع بهذه البطولة في صورة ذكريات أم هو بالفعل رتب الأحداث ويطلب مني أن أكمل دور البطولة حتى النهاية لأنني بالفعل سوف أعيشها كما تمنيت مع بطلي طوال العمر. لست أدري إذا كان هذا أم ذاك ولكنني أستمتع بلحظات البطولة ومستعد لكل النهايات. فإذا كنت تعرفين طريقك إلى البيت فهل يا ترى تعرفين طريقي معك؟

- بالتأكيد أعرف طريقي معك كما أعرف تماما طريقي إلى البيت، ولكن طريقي معك به مطبات طبيعية وصناعية كثيرة وللأسف لا نعرف أماكنها لنتفادها قبل المرور عليها ولا ارتفاعها ولا كم عددها. ولذلك طريقي معك غير ممهد، طريق يحتاج إلى الحرص والمثابرة والهدوء والصبر والتحمل. وها قد بدأنا الطريق سويا وأنا بجانبك وقابلنا أول مطبات الطريق الكبرى ونحن سويا وانتهت على خير بحكمتك وهدوئك وأنا معك، وسوف نعبر كل المطبات ولكن نحتاج إلى الوقت والمجهود والحرص حتى نتغلب عليها جميعا ونفوز في نهاية الطريق. فلا تقلق طالما نحن نسير على الطريق.

- أستمد من ثباتك ومن كلماتك ومن حكمتك كل أسباب المثابرة والحكمة والتحدي، طالما أنت بجانبني فلا يهمني شيء.. بل سوف أستمتع بالطريق ولو كان وعرا. ابقى لي صديقة وحبيفة لكي أبقى على الطريق وعلى قيد الحياة.

- إن شاء الله صديقة وأخت وحببية طالما بقيت أنا على قيد الحياة. وبضحكة طفولية: على فكرة خد بالك في مطب جامد قوي قريب احفظه لأنه قبل ما ندخل الشارع بتاعنا، وده أكبر مطب في طريقي للبيت.
- كل المطبات هنا سهلة ومقدور عليها طالما على الأرض، وهاحفظه طبعا، بس علشان بخاف على عربيتك، فكل ما لديك وكل ما في طريقك أخاف عليه كخويفي عليك.
- ماشي يا سيدي، خاف براحتك.. اجهز بقى يلا علشان هاتيحي البيت جوه بعد ما نوصل، تسلم على ماما وتقول باي لبابا وتكون فرصة تعرف البيت من جوه.
- لا مش ممكن طبعا يا ياسمين، أنا جيت علشان أوصلك بس مش أكثر وهارجع تاني على طول، كفاية ياستي مطب واحد في اليوم، واحدة واحدة عليّ علشان أقدر أتحمل المطبات واحد ورا واحد. وبضحكة مصطنعة تحمل مغزى خفيا: بصراحة يا ياسمين ومن غير ما تزعلي أنا حاسس إن شوقي بيه باباك هايكون صانع المطبات، مش عارف ليه، بس ماتخافيش أنا قدها وقدود.
- طيب يلا علشان وصلنا وتعالى سلم على بابا بس حقيقي هازعل جدا لو عزم عليك تدخل البيت ومشيت، أنا عايزاك تدخل بس هاسيبها لبابا.

- خلاص ياستي، أوعدك لو عزم عليّ ولو حتى عزومة مراكيبية أنا هادخل وهاكون سعيد جدا طالما في وجودك.

وبالفعل نادى «شوقي» بك «صلاح» وطلب منه أن يدخل البيت ليسلم على والدته ياسمين ويطمئننها بنفسه على ابنتها حتى تهدأ تماما. قبل صلاح بالعرض الكريم ووافق على الفور وهو ينظر ضاحكا إلى ياسمين وهو يأخذ منها حقيبة ملابسها ليحملها بدلا عنها إلى الداخل. جرت ياسمين كالطفلة إلى داخل الفيلا لتفاجأ والدتها بوصولها فتشهو شهقة عالية غير مصدقة أن ياسمين بين يديها هكذا دون أن يبلغها أحد.

- إيه رأيك بقى يمامي في المفاجأة دي، شفت بقى بابي بيحبك قد إيه وحب يعملها لك مفاجأة زي ما قالي. وحشتيني قوي يمامي، قوي قوي، ووحشتني البيت وكل حته فيه وخاصة أوضتي وسريري.

وهنا تتحنح «صلاح» ليعلن عن وجوده خاصة أن «شوقي» بك دخل الفيلا بسرعة متوجها إلى حجرة مكتبه دون أن يولي بالا لوجود صلاح وكأنه يعتبره غير موجود بالمرّة.

- أقدملك يمامي صلاح صديقي الذي وقف بجانبني منذ الحادثة أمس وحتى الآن، شاب رائع ومخلص ومكافح إن شاء الله تحبيه.

- أهلا يابني، نورتنا وشكرا على موقفك مع ياسمين بنتي، تعالى جنبني هنا واحكيلي على كل اللي حصل وبالتفصيل لأنني عارفة ياسمين ما بتقولش كل حاجة.

وهنا شعر «صلاح» بطيبة قلب أم ياسمين ووجدتها فرصة أن يقدم نفسه لها بطريقة جديدة، تلك الطريقة التي نصحه بها «أدهم» ليقص صلاح «بالنيولوك الجديد» في المظهر والفكر والعمل على حسب ما سيكون. ومع انبهاره بالفيلا واتساعها وديكوراتها وأثاثها، بدأ يقص لها الحكاية التي أرادها القدر وهو يشعر براحة كبيرة وتفاؤل أكبر.



- ألوهه يا أدهم، إزيك، كنت منتظر تليفونك ده من زمان علشان أطمئن عليك وأشكرك على فكرتك للنيولوك كان لها صدى رائع في نفسي ونفس الناس في كاندليه. كنت عايز أعرف لو فيه جديد في موضوع شغلي معاك؟
- طبعا يا صلاح فيه جديد وعلشان كده أنا اتصلت عليك علشان نتقابل وأقولك على مشروع مسابقة وممكن لو قدمنا عليه هاتكون لينا فرصة كبيرة للفوز بيه.
- رائع يا أدهم، خلاص نتقابل بكرة في نفس الكافيه إللي تقابلنا فيها أول مرة لأن كان وشها حلو عليّ.
- لأ أنا هاجيلك كاندليه لأن موضوع المسابقة ممكن نطبقه عليها فالأفضل نتقابل هناك.
- أوك، نتقابل على الكافيه الأول وبعدين نيجي كاندليه سوا علشان ماتجيش لوحدهك المنطقة.

- اتفقنا، صحيح.. أخبرك إيه مع ياسمين؟ هي لسة موجودة ولا روت؟ وأخبار النيولوك معاها إيه؟

- ياسمين رجعت يا أدهم وأخذت معاها النيولوك والإشعاع الجميل إللي كان مالي الحارة. بس هي كويسة وأنا على اتصال بيها.

تلقي «صلاح» هذه المكالمة من أدهم وكأنها مصباح علاء الدين، فقد جاءت في وقتها تماما لكي يثبت لنفسه ولياسمين وأسررتها أنه يمتلك قدرات كامنة يستطيع توظيفها على درجة عالية من المهنية لعله يكتسب إعجابهم ورضاءهم عنه وقبولهم به في حياة ابنتهم الوحيدة. وعلى الفور اتصل صلاح بياسمين ليخبرها بمكالمة أدهم وما تحمله من أنباء سارة سوف يعرفها بعد قليل عندما يقابل أدهم في كاندليه.

فرحت «ياسمين» كثيرا بهذا الخبر وتمنت أن يكون بالفعل حقيقة لكي يجد صلاح نفسه فيه ويحقق أحلامه وإبداعاته، وفي الوقت نفسه لتقلل آميال المسافة بينه وبين أسررتها.



تمنت «ياسمين» أن تكون هناك في العوامة لدى عزيز به عندما كان صلاح هناك، وتمنت أن تكون هناك في كاندليه عندما كان صلاح صغيرا، وتمنت أكثر أن يكون هو معها في حيها الراقي عندما كان صغيرا. تمنت أشياء كثيرة ليكون صلاح معها وتكون معه منذ البداية. تمنت أن يكبرا سويا بحبهما دون أن يوضع في اختبارات عائلية قد تحول بينهما.

لم تتوقع ياسمين أن تحب بهذه الطريقة أبدا ولم تتخيل أن يقع قلبها في حب شاب ليس له أي مؤهلات سوى حبه لها وطيبة قلبه وأمانة وتواضع وإصرار على النجاح. هي لم تبحث عن صلاح ولكنها بحثت عن خطيبها السابق، وها هي تحب صلاح وتترك السابق بلا ندم. بل وبسبب غضبها على خطيبها السابق يوم حادثة السيارة تعرفت على صلاح دون أن تبحث عنه. ما كل هذه الترتيبات التي يضعها القدر في كتابه ونحن ننفذها مسيروا ونتخيل أننا مخيروا. وهكذا تداير القدر حلوة وجميلة وسهلة ولكن نحن أنفسنا من يجعلها صعبة وكأننا لا نتوقع إلا الصعب حتى اعتدنا عليه.

تذكرت ياسمين حكاية صلاح واشتافت أن تسمعها منه مرة أخرى ولكن بالتفصيل وبكل الأسرار التي هي متأكدة أنه ما زال يخفي عنها الكثير. اتصلت عليه لتقابله اليوم بعد المغرب في كافيه وسط البلد ولكن بالقرب من كاندليه وكأنها أرادت أن تجلس معه وتسمع منه على أرض محايدة بعيدا عن حيها وبعيدا عن كاندليه حتى يكون هو على راحته.

فرح «صلاح» كثيرا بمكالمة ياسمين وانتشى قلبه كقلب عصفور أخضر وطلب مقابلتها في الكافيه نفسه التي جلس عليها يوم أن قابل أدهم، المقابلة التي أثرت فيه ودعمته وقوته يومها بأن يبوح بحبه لياسمين، المقابلة التي ساعدته أن يجرب النيولوك وأن يتعرف على مجال الديكور وإمكانية العمل فيه. شعر بحنين شديد إلى هذه القهوة وإلى النادل الذي احتد عليه يومها وإلى المنضدة التي كان يجلس عليها يحتسي الشاي. اشتاق إلى الكافيه، واشتاق أكثر إلى الشعور بالنشوة

والفرحة عندما تهل عليه ياسمين بابتسامتها بملء الكون وعطرها المميز الذي ما زال عالقا بخلايا جسده وإلى طاقتها الإيجابية التي تحول أي مكان تحل عليه إلى بستان.

ارتدى صلاح طقم الملابس الذي اشتراه للنيولوك، وأخذ معه الرواية التي كان قد شرع في كتابتها عن حي كانديه منذ ثلاث سنوات والتي توقف عن كتابتها ليخبرها كم هو مشتاق الآن ومتحمس أكثر من أي وقت مضى ليكمل كتابة هذه الرواية التي كان قد أهملها. وأخذ معه أيضا بعض الرسومات التي كان قد رسمها عن حي كانديه والحي الذي عاش فيه مع عزيز بك جنبا إلى جنب وكأنه أراد أن يذيب كلاهما في الآخر ولو على الورق. وأخبر ياسمين بأنه يرغب في طلب أدهم أن يأتي هو أيضا إلى القاء، ولكن بعد ساعة من لقائهما. رغم أنها وافقت على اقتراح صلاح بدعوة أدهم إلا أن ياسمين استغربت جدا لهذا الطلب:

ليه مُصر يا صلاح أن يأتي أدهم، مش المفروض نكون مع بعض لوحدنا في المكان ده والوقت ده بالذات.

- لأستمع بشعوري وأنا أنتظرك، وبشعوري وأنتِ قادمة عليّ بابتسامتك في نفس المكان الذي هربت فيه من حبي إليك. وأن يبارك أدهم هذه اللحظة خاصة وهو يري رسوماتي القديمة في وجودك. لا تتخليكي كم سعادتني الآن، أشعر وكأنني ولدت من جديد. أريد أن أختصر الزمان والمكان والطموح، أريد أن أكون سوبر مان

لكي أحقق ما فات، أريد أن أكون صلاح في ثوبه الجديد، صلاح الذي يستحقه حب ياسمين.

- يا صلاح هون على نفسك، أنا ثقتي كبيرة فيك وفي فكرك وطموحك حتى قبل أن تخبرني عن معيشتك الكلاس مع عزيز بيه وقبل أن أعرف أنك شرعت في كتابة رواية وقبل أن أعرف عن رسوماتك شيئاً. الحب الحقيقي يا صلاح يجعل الحبيب وكأنه يلبس طاقية الإخفاء فتجعله يغوص في أعماق الحبيب فيرى سطحه وأعماقه التي لا يراها الآخرون. وأنا في أعماقك وأعرف ما سوف يكون. اهدأ حبيبي فتقتي بك ليس لها حدود.

- وأنا ثقتي في حبك لي ليس لها حدود يا ياسمين. أوك يا أعز الناس، أراك بعد ساعة من الآن على الكافيه في هذا الشارع العتيق، شارع الذكريات.

- طبعاً، ماتساش إن ده أول عمل ليك ولازم أكون معاك فيه بقلبي وفكري لنحضر هذه اللحظات الفارقة في حياتنا.

- والله أنا متفائل جداً يا ياسمين ولدي شعور بل اعتقاد جارف أن الله قدر ما قدر من مقابلي لك أمام أعتاب كانديه لتكون مشكاة تنير لي الطريق ومجدافا في بحر الحياة ومرآة أرى فيها نفسي التي كنت قد نسيتها ومحركا لعربة حياتي التي توقفت عند أحداث روتينية بعينها لا تغني ولا تثنى من جوع. هكذا القدر عندما يريد، يخلق أحداثاً لم نفكر فيها لحظة ما، فنجدها أمامنا

نعيشها ونلعب دور البطولة فيها لتغير دفة القارب في بحر الحياة ليبحر بنا إلى أرض جديدة وأناس جدد وشواطئ قريبة وبعيدة، فتتغير معالم الحياة وبلا استئذان. هكذا القدر عندما يريد. من يصدق يا ياسمين أن أقابلك في هذا المكان وهذا اليوم وهذه اللحظة التاريخية، وأن أتعرف عليك بكل هذه البساطة وأصطحبك معي إلى كاندليه بهذه البساطة وأستضيفك في حجرتي المتواضعة بهذه البساطة وأدير حوارا معك بكل هذه البساطة وتقبليني صديقا لك بكل هذه البساطة وأعلن عن حبي لك بكل هذه البساطة. كيف تكون البساطة هي عنوان الأحداث الكبرى التي كانت لنا محض خيال في حياة قصيرة، كيف تدق البساطة هكذا على الأبواب في لحظة ما وتدخل بيوتنا وتجالسنا بلا استئذان ونحن نقضي العمر نبحث عنها ولا نجدها. كيف تُصنع اللحظة التي أجد فيها نفسي بمشاعرها وطموحاتها وإمكاناتها المنسية بكل هذه البساطة. إنه القدر عندما يريد.

- فعلا يا صلاح، من يصدق أنني أبيت في كاندليه وفي سريرك وأتجول في حارات كاندليه وأصادق نسوة ورجال من كاندليه، كيف كان لي أساسا أن أعرف كاندليه وأهل كاندليه. «كيف لي أن أكتشف أغوار نفسي الحقيقية الباحثة عن الحب الحقيقي وعن التحدي والطموح والاجتماعيات بعيدا عن التملق والتكبر والمظهرية. كيف لي أن أكتشف أن في داخل كل إنسان بسيط قد نراه ولا نشعر به أو قد نستأجره ولا نغير له انتباهها أن يحوي

داخله كل الناس وكل الفكر والقصص والروايات. إنسان يحمل بين
ابتسامته الباهتة طموحات وأحلام تشيد جبال وبين مخيط ثيابه
العالقة بثرى الأرض نفسا سامية صافية ومحبة وعفية. إنه القدر
عندما يريد.. إنه القدر يا صلاح الذي يحيي الأحلام ويحقق
الأمنيات ثم يميتها فجأة إذا شاء».

ضحكت «ياسمين» ضحكة كلها حنان أرخت ستائر العشق على
قلب صلاح الذي تحول في لحظة إلى طفل يتمنى قطعة شوكلاتته
اسمها ياسمين.



قبل أن يأتي أدهم وينشغلا بالحديث معه، طلبت ياسمين من
صلاح أن يقرأ لها بعض الأجزاء المحببة إلى نفسه من روايته كاندليه
لتستمتع بها وترى ما فيها من أحداث.

فتح صلاح الرواية وبدأ بقراءة الإهداء، والذي توقعت ياسمين
نصفه الأول ولم تتوقع النصف الآخر «أهدي أحداث روايتي هذه إلى
أبي وأمي وأهل كاندليه الذين تعاملوا مع الحياة كصديق يحنو أحيانا
ويهجور ويقسو أحيانا أخرى، وإلى أسرة أبي عزيز الذي تعلمت منه
كيف تكون الحياة على الشاطئ الآخر من كاندليه».

- إهداء جميل يا صلاح.. كلماته مغموسة في منقوع الأصل والانتماء،
فلم أتوقع أبدا أن تذكر عزيز بيه هنا نظرا لخروجك من حياته
الناعمة بعد أن تعودت عليها. حقيقة لمسة رائعة منك أن تتذكر كل

من كان حولك في السراء والضراء في اللحظة التي هي ملكك أنت ولا يملئ عليك أحد محتواها .

- بالطبع يا ياسمين، أهل كاندليه وكما رأيت هم أناس فيهم كل شيء جميل، أناس تسكن فيهم طيبة وأصول ومودة وشجاعة وشرف ولكن بطريقة من المؤكد أنهم صنعوها وسط كاندليه تماما كما صنعها الناس على الشاطئ الآخر من كاندليه. كل مقتنع بما بين يديه من ثوابت ولكن بطريقته التي فرضت عليه. وتحليلي هذا وقناعتي هذه لم تأت من فراغ بل تأصلت لدي بعد انتقالي إلى فيللا عزيز بيه ومعايشتي لأحداث الناس على الشاطئ الآخر من الحياة بمعتقداتهم وثقافتهم وعاداتهم. أيضا وجدت الشهامة والطيبة والأصل والشجاعة والشرف كما وجدتها في حواري كاندليه الضيقة والتي تمشي في بطونها القمامة ولكن بالطبع بطريقة أخرى وإنتاج وإخراج وآخر. ببساطة يا ياسمين حياة الناس في كاندليه ممكن تشبيهها بفيلم رومانسي تراجيدي كوميدي وأكشن ولكن بدون مونتاج ولا مكياج، أما الحياة على الشاطئ الآخر من كاندليه فهي نفس الفيلم ولكن يُصر المخرج فيه على الميكاب والمونتاج ليخرج مُجملا عن الواقع. ولذلك فأنا أشكر عزيز بيه الذي أعطاني الفرصة أن أرى الفيلم على أرض الواقع، بل أدين له بمشاعر الود والحنان والاهتمام والحب الذي غمرني به في السنوات التي عشتها معه، فقد كان فعلا أبا رائعا. فخروجي من حياته كان بقرار مني حتى وإن كانت أسباب القرار خارجة عن إرادتي.

- تشبيهك رائع ومنطقي فعلا يا صلاح، فعلا العقائد واحدة ولكن ما يشكلها ويخرجها ويعطيها اللمسة النهائية وكما قلت أنت الميكياج هي البيئة المحيطة بالناس التي تجعل المنتج راقيا أو عشوائيا مع أن الباطن واحد. عموما المقدمة جميلة جدا وسعدت بها أكثر مما توقعت. وحتى لا يأخذنا الوقت قبل مجيء أدهم ياريت تقرأ لي بعض المقاطع من الرواية التي أثرت فيك جدا وتعتبرها ذات دلالة خاصة لك شخصيا وللقارئ.

- ده موضوع صعب يا ياسمين؛ لأن الرواية كلها هذا الإحساس، فهي تتحدث عن فئة من الناس تعيش الحرمان بكل أنواعه ولا تملك من أمرها شيئا إلا القوة، فئة أرادت الحياة ولكن الحياة ولت لها ظهرها، فئة تصارع شظف الحياة وهي ترى الجانب الآخر ينعم بالحياة. عندما تكتبي عن فئة مثل هذه وأنت أحد أفرادها تكن كل كلماتك وتعبيراتك موجعة وتتم عن واقع أكبر من الكلمات. كاندليه يا ياسمين هي الماء الأسن بعد أن توقف جريان النهر، هي الوحل والطين بعد توقف هطول المطر في أرض يغطيها التراب. كاندليه يا ياسمين هي العرق الذي يجمل تعب الحياة.

- ياه، كل ده يا صلاح! إنت كده تعبت قلبي، حاسة إنني باشتراك في جرم كبير لأنك تعتبرني من الشاطئ الآخر للحياة، ولم أفعل شيئا يزيل عرق كاندليه ويخفف من رائحة مائه الأسن، أشعر بعار لأنني أقف مكتومة الأيدي هكذا ولا أفعل شيئا لأناس من دمي ولحمي وعلى بعد أمتار مني وهم يجتروا كل هذا الألم وأنا لا أفعل

شيئاً . كم أتمنى يا صلاح أن تأتي إليّ الفرصة فأفعل شيئاً لتصير الحياة هنا كمثيلتها على الشاطئ الآخر . ولكني على أية حال لم أكن أعلم شيئاً عن هذه المنطقة قبل أن أقابلك . فأوعدك أن أفعل ولكن بشرط أن تساعدني .

- يا فندم العمائل كثيرة ومن يريد أن يفعل لن يوقفه شيء . وعموماً أقل ما يمكن عمله هو محو أمية الناس في القراءة والكتابة والأمية الفكرية والأمية الأمنية والثقافية وغيرها من الأمور التي تورط فيها أهل كاندليه دون أن يدروا .. عارفة يا ياسمين أنا حلمي يبقى فيه تبادل ثقافي بين أهل كاندليه وأهل الشاطئ الآخر على الأقل على مستوى الأطفال والشباب .

- تقصد إليه بالتبادل الثقافي؟ هو احنا هانطع بعثات ولا إليه! وضحكت «ياسمين» على هذه الدعابة، محاولة منها لإخراج صلاح من الحالة الدرامية التي تملكته وهو يتحدث عن كاندليه .

- ياستي دي فكرة رائعة وبسيطة ولا بعثات ولا حاجة، والفكرة دي جات في ذهني بعد خروجي من حياة عزيز بك ورؤيتي بنفسي الفروقات الكبيرة بين حياتي في كاندليه والحياة عند عزيز بك . ولذلك فأنا أريد أن يعيش حالتي وتجربتي كثير من أطفال وشباب القرية حتى يدركوا الحياة هنا وهناك تماماً كمن لا يعرف عن حياة السفر شيئاً إلا إذا سافر بنفسه وجرب الغربة والثقافة واللغة والعادات الجديدة .

- واللّهُ فكرة جنان فعلا، ولم يفكر فيها أحد من قبل ولكن إزاي تتنفذ؟ - التنفيذ سهل، كل ما أفكر فيه هو ببساطة تبادل بين شباب أسرتين، أسرة من كاندليه والثانية من نفس المدينة ولكن خارج كاندليه. أعتقد بالطريقة دي سيعيش كل شاب حياة الشاب الآخر لفترة زمنية ولتكن في الأجازة الدراسية. بالشكل ده الشباب يتعلموا الحياة بأنواعها، شظفها ونعيمها وبالتالي سوف يؤثر بطريقة إيجابية على العلاقات الإنسانية. ومين عارف، يمكن بالطريقة العملية دي تخلق صداقات بين المثات من أدهم وصلاح بدلا من أن تلعب الصدفة وحدها في خلق هذه الصداقة.

- واللّهُ فكرة جنان يا صلاح وأنا على استعداد أن أكون أول المشاركين فيها. وبعدين أنا هاتبنى الفكرة دي لو وافقت وتكون عنوان بحثي في الدكتوراة، وياريت الكلية توافق هاتبقى طريقة جديدة وعملية في التعايش وفهم الآخر.

ابتسم «صلاح» بوسع وجنتيه: طبعا طبعا أنا موافق بس أكون المشرف على الرسالة يا فندم. أدهم وصل هناك، فرصة ناخذ رأيه في الموضوع ونختبر مقدرته العملية على التوافق الاجتماعي. ولا بلاش نقوله دلوقتي؟

وقبل أن ترد ياسمين وجدت أدهم أمامها وكانت المفاجأة الكبرى.



obseikan.com

الفصل الثاني والعشرون

«إنها إرادة السماء تهییئ الأسباب عندما تريد تحقيق

الأشياء»

- مش معقول، دالیا — شوقي المعروفة بياسمين!! شيء لا يصدق عقل، لم أتخيل قط أن الدنيا صغيرة بهذا الشكل إلى درجة أن نتقابل بعيدا عن العائلات وبعيدا عن الشارع ولكن هنا أمام كاندليه وبدعوة وترتيب من صلاح الذي لم أقابله إلا مرة واحدة. إنه فعلا القدر عندما يريد. أنا سعيد جدا أن أقابلك هنا ومع أعز الأصدقاء الجدد في حياتي والذي شعرت بأنه صديق من طراز خاص، صديق أستمتع إليه فأرتاح وأتحدث إليه فأرتاح أكثر.
- أنا كمان مندهشة يا أدهم، فأنا سمعت عنك وقابلتك في بعض المناسبات العائلية ولكن لم أتحدث معك من قبل، وها هو القدر الذي يقرر أن نتحدث سويا ويحدد الزمان والمكان والأشخاص. أنا سعيدة جدا إنك أدهم صديق صلاح، وفعلا الأرواح جند مجندة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. إيه رأيك يا صلاح في المفاجأة الكبيرة دي؟
- مفاجأة مذهلة فعلا يا ياسمين، لم يخطر لي على بال أن أكون أنا المتفرج عليكما في هذه اللحظة التاريخية. وبابتسامة محملة

بالغيرة الخفية: واضح بقى إن أنا الغريب والمفروض تقدموني لبعض مش أنا اللي أقدمكم لبعض.

- إيه يا صلاح، إنت هاتبتدي تغير ولا إيه، أدهم زي أخويا وأنا سعيدة بيه جدا لأنه هايكون في جانبنا وهياساعدنا كتير على تخطي كثير من المطبات.

- معقول برضه صلاح يغير عليك! بس أكيد مش مني، اعتبروني صديق مخلص قبل ما أكون شريك في ما نحن قادمون عليه اليوم من أعمال أتيت لكما لنناقشها سويا ونستفيد منها أكبر استفادة.

- يا جماعة أنا مش غيران ولا حاجة، أنا بس متغاض منكم إنتم الاتنين، يعني أنا عمال أفكر قبل ما تيجوا إزاي أقدمكم لبعض، أفاجأ إنكم عارفين بعض قبل أنا ما اعرفكم وتبوظوا عليّ تفكيري، عموما ريحتوني، والقدر ريحني ويا رب يظل يريحني كده على طول.

- إيه رأيك يا صلاح كده كفاية هنا ونروح كاندليه ونتقابل أمام المسجد لأنني أحببت هذا المكان جدا وأحببت شيخ المسجد جدا، كيف لا وهو الوحيد الذي يحمل سرك الكبير، سرك مع عائلة عزيز بك. فلنصلي هناك العصر سويا ثم نتحدث مع أدهم لنرى ماذا لديه وماذا يمكن لنا أن نعطيه وكيف لك أن تشاركه. وياريت يكون الاجتماع في معية الشيخ فهو رجل بشوش وأتفائل به ويعلم كل شيء عن كاندليه وله رؤية في الحياة عامة وفي حياة أهل كاندليه خاصة.

- أوك يا ياسمين فكرة رائعة فلنتقابل هناك يا أدهم.. ولا أيه رأيك؟ وفرصة نصلي العصر سويا لعل الله يبارك في أفكارنا وفي طموحاتنا .
- موافق أكيد يا صلاح ولكن إيه حكاية شرك إليلي مع شيخ المسجد! ومين عزيز بيه إليلي قالت عليه ياسمين؟! الظاهر فيه حاجات كتير قلت لياسمين عليها وأنا ما عرفهاش. مش تقولي برضه، مش احنا بقينا أصدقاء خلاص ولا إيه؟
- دي حكاية طويلة بطول كاندليه يا صديقي العزيز.. أكيد هاقولك عليها بس في الوقت المناسب علشان ما تتخضش.
- ضحك الثلاثة، وركب صلاح مع ياسمين، ووراءهم أدهم إلى مسجد كاندليه.



المسجد مفتوح، فأذان صلاة العصر على وشك. وصل أدهم في الميعاد إلى مدخل كاندليه، وانتظرا ياسمين هناك والتي وصلت هي الأخرى بعد دقائق. وكانت مفاجأة كبرى أن يكتشف صلاح أن أدهم وياسمين يعرف كل منهما الآخر حق المعرفة، فهم جيران يسكننا الشارع نفسه الذي عرفه منذ أن أوصلها إلى بيتها .

لا يوجد في المسجد أحد إلا شيخه الذي خرج مسرعا عندما سمع صوت فرامل السيارات، ليرى من القادم من خارج كاندليه .

وبعض الانتهاء من أداء الصلاة وراء شيخ المسجد وعدد لا يزيد عن ثلاثة رجال من أهل كاندليه، أخرج أدهم الإعلان عن المسابقة من جيبه ليقرأه أمام صلاح وياسمين وشيخ المسجد الذي لا يفهم إلى الآن سر مجيء الثلاثة، فمؤكّد أنهم لم يأتوا للصلاة فقط، ولكنه لم يشأ أن يسأل أيا منهم حتى يدرك ما يجري أولاً.

نظر «أدهم» إلى صحن المسجد يتفحصه بتمعن، ثم نظر إلى الشيخ مبتسماً ومتسائلاً: ما هو حلمك لهذا المسجد يا عمنا الشيخ؟

- واللّه يا ابني حلمي الأكبر أن يُعمر بالمصلين عامة ومن أهل كاندليه خاصة. أنا أعلم جيداً كم هم طيبون أهل كاندليه ومقدار محبتهم لله ولرسل الله ولكن هي الطبائع التي غلبت الوقائع. ولكي تتغلب الوقائع على الطبائع لا بد من التعليم والتثقيف والتطوير ولن يتأتى ذلك إلا ببرنامج تأهيلي لهذه المنطقة ومثلها. حينئذ سوف نرى تغيرات ليست في المسجد فقط بل في الشارع والحارة داخل وخارج كاندليه.

- كلامك أعجبنى جداً عمنا الشيخ، هل سمعت عن أي مجهودات من قبل لبرامج مثل هذه بغرض تطوير المكان. ولا ده من بنات أحلامك وأفكارك؟

- واللّه يا أدهم يا بني سمعت كثير ولكن بلا فائدة ولا نتيجة وكلها فرقة في الهواء وكلام جرائد. فلم أعد أصدق مسؤل ولكن دعائي إلى الله بتغيير الحال لم ولن ينقطع فالأمل معقود خاصة

أن حال معيشة الناس هنا تسوء من يوم إلى يوم. لكن ما سر هذا السؤال يا ترى؟

- ولا سر ولا حاجة يا عمنا الشيخ، هاقولك فيه بسأل.. ولكن قبل ما أقولك ياريت تقولي على حلمك الثاني للمسجد ده، ما هو مش معقول يكون حلمك هو زيادة عدد المصلين وبس.

ضحك الشيخ مطبطينا على كتف أدهم: يا بني الصلاة هي عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين. وأكد إنت عارف كده. ولذلك إذا أردت أن تصلح فردا أو مجتمعا فعليك بالدعاء له وحته على الصلاة، ولكن لكي يستفيد منها يجب أن يكون مدركا ليس فقط قوانينها ولكن الفلسفة منها لكي ينال روحانياتها وتنعكس على سلوكه وطبعه لا يتأتى ذلك إلا بالتوجيه والتثوير بغض النظر عن الفقر أو الغنى. الصلاة يا أدهم هي المساحة الخضراء في حياة الإنسان التي يستطيع أن يذهب إليها في أي وقت يشاء ليتنفس هواء روحانيا يجدد نبضات قلبه ودقات عقله. ومع ابتسامة هادئة مطمأنة سأل الشيخ أدهم: أليس لديك مساحة خضراء تذهب إليها أم لا؟

- طبعا يا شيخنا الجليل لديّ مساحة خضراء كبيرة ولكن للأسف لا أزورها باستمرار.. ولكن أوعدك أزورها كل يوم خمس مرات. بس برضه قولي ما هو حلمك الثاني لهذا المسجد؟

وهنا تدخل «صلاح»: يا عم أدهم الشيخ وكمان أنا نتمنى أن يتحول هذا المسجد في يوم ما إلى منارة تعليمية لأهل المكان، فكما

ترى لا توجد مدارس ولا حضانة ولا مكتبة ولا أي أنشطة للأطفال أو الشباب سوى اللهو في الشارع وسط أكوام القمامة والمخلفات. فلو تحول هذا المسجد إلى مجمع مدرسي ومكتبة ونادٍ اجتماعي لتحقيق حلم الشيخ الذي يتمناه منذ أن حكاه لي في طفولتي.. وأعتقد أن هذا سوف يظل حلما إلى أن يشاء الله. وبإتسامة فيها استتكار للحال وجه صلاح نظرته إلى الشيخ؛ ومين عارف يمكن حد من أغنياء البلد يجدد المسجد ويحقق الحلم ويأخذ ثواب من الله وخصم من الضرائب.

وهنا تدخلت «ياسمين» على استحياء: والله عندك حق يا صلاح، أنا باستغرب ليه رجال الأعمال ما يصرفوش ضرايبهم وزكاتهم على العشوائيات زي ما بيعملوا في أماكن تانية أساسا مش محتاجة. وكمان ليه ما يكونش فيه حملة توعية للناس بالتبرع لتطوير المنطقة ككل زي ما بيعملوا حملات تبرع للمستشفيات والمساجد في كل مكان. أنا فعلا باستغرب ليه الفكر ده ما يكونش موجود وها يكون أسرع حل.. وليه الطلبة لما يتخرجوا ما يجوش يقضوا الخدمة المدنية هنا في تعليم وتوير وتطوير المكان. حقيقي أفكار بسيطة ولكن ممكن تغير المكان تماما. بس بصراحة الناس معذورة فأنا شخصيا عمري ما فكرت في هذا الكلام إلا بعد ما حكمت الظروف وجئت المكان وكمان لما ناقشنا الموضوع دلوقتي مع بعض. أعتقد الحل في عقد ندوات هنا في كاندليه ودعوة رجال الأعمال وأصحاب القرار والمهتمين.

وبضحكة فيها إعجاب مخلوط باستتكار تدخل الشيخ حتى ينقذ صلاح من الرد الذي يعلمه: يا دكتورة ياسمين المفروض ده دوركم إنتم

في الجامعة وخاصة المتخصصين في علم الاجتماع، يلا يا ستي شيدي
حيلك واحنا نساعدك ونجهز كل حاجة.

وبابتسامة سريعة تدخل أدهم موجهًا نظراته المبتسمة إلى يا
سمين: عندك حق يا عمنا الشيخ خاصة إن ياسمين فوق إنها دكتورة
في علم الاجتماع فهي كمان سليلة عائلة غنية ومعروفة يعني كده ممكن
تعمل الدعم المعنوي والعلمي والمالي. مش كده ولا إيه يا ياسمين؟ أنا
مش بحسد والله، أنا بغبط بس هاهاها.

- ماشي يا أدهم، ما الحال من بعضه، ما انت كمان يا باشمهندس
سليل عائلة كبيرة وغنية وكمان إنت مهندس ديكور قد الدنيا
وعمرك ما فكرت في المنطقة هنا مع إنك ممكن تكون عارفها
كويس!!

- أنا لا ألوم نفسي فقط ولا ألومك يا ياسمين، أنا بس بنوه فكل
من يستطيع هو مقصر في حق العشوائيات، وبالطبع أنت محقة،
ولذلك طلبت صلاح علشان أقابله النهاردة علشان فكرة تطوير
المنطقة، شفقت بقى إنت ظالماني إزاي.

ضحكت ياسمين ومعها صلاح في نفس واحد: يا سيدي ما احنا
جينا أهو وعايزين نعرف بقى إيه الحكاية شوقتنا.

وقبل أن يبدأ أدهم في قراءة ورقة الإعلان التي معه أسرع الشيخ
بابتسامته الهادئة وكلماته الأهدأ: لا تتخللوا يا ولاد كم سعادتني اليوم
بهذه الجلسة بغض النظر عن اللي هايقوله أدهم. كم كنت أفتقد لمثل

هذه الحوارات والنقاش هنا في كاندليه ولكن مع شباب من خارج المنطقة لمناقشة أمور الحي، كم كنت أتمنى ذلك وها هو قد حدث دون موعد ولا ترتيب، بل هي إرادة الله الذي إذا أراد شيئاً يكون. من كان يدري منا أن نتقابل في هذه اللحظة، وهل كانت ياسمين أو أدهم يتوقعا أن يتقابلا هنا في هذا المكان، وهل كان يتوقع صلاح أن يتقابل مع ياسمين وبعدها أدهم وتتكون هذه العلاقة الجميلة بينكم وبينني، إنها إرادة السماء تهيئ الأسباب عندما تريد تحقيق الأشياء. حقا كم أنا سعيد باللقاء وسعيد بكم جميعا وكم التهب عندي الأمل الذي نام طويلا بداخلي.

- فعلا يا عم الشيخ، الأقدار فوق الأحلام والأسباب، دعوني أشرح الأسباب.. الموضوع ببساطة أنه تم طرح مسابقة أحسن ديكور أيا كان نوعه بشرط أن يتميز بالإبداع، وشريطة أن يكون في منطقة عشوائية وأن يؤدي إلى تطوير المنطقة بصورة غير تقليدية. وعندما قرأت المسابقة وشروطها خطر على بالي فورا منطقة كاندليه حسب ما سمعت من صلاح وبعد أن جمعت عنها معلومات وبعض الصور. وأعتقد أنني أستطيع دخول هذه المسابقة ولكن كفريق معكم. وجود صلاح بأفكاره غير التقليدية مع علمه جيدا بالمكان وكذلك عمنا الشيخ، ووجود ياسمين بدراساتها في علم الاجتماع سوف يؤدي إلى مزج أفكارنا بالواقع والخبرة.. وعندي إحساس كبير بقدرتنا على الفوز بالمسابقة. إيه رأيكم في المفاجأة دي؟

- واللّٰه فيك الخير يا باشمهندس أدهم إنك فكرت فينا - وخاصة صلاح- في الاشتراك معاك في المسابقة، وأنا جاهز وعلى استعداد لأي مجهود .
- وانت يا أبو صلاح، ساكت ليه، إيه قولك يا بطل، إيه أفكارك، إيه رؤيتك؟
- نسمع منك الأول يا باشمهندس وبعدين هاقولك رأيي في الموضوع.. وياريت تقولنا سابق خبرتك في مثل هذه المسابقات أو مسابقات فاز بيها ناس تانية. أكيد ده هياساعدنا على التفكير والتطوير.
- يا صلاح أن عايز أفكار غير تقليدية لكي نفوز بالمسابقة، وعلشان كده مش ها قولك عن سابق خبرتي وخبرة الآخرين إلا بعد ما تقولي رأيك ورؤيتك إنت. ولا إيه يا ياسمين؟
- أنا موافقك يا أدهم بس ممكن تقولنا معلومات أكثر عن المسابقة علشان نفكر مع بعض بصوت عالي؟ أنا شخصيا متحمسة لفكرة المسابقة جدا جدا وهاكون سعيدة لو كان لي دور تنويري تثقيفي اجتماعي. أنا دائما باحلم أعلم الأطفال عموما أصول الإتيكيت خصوصا في أدب التعامل وخاصة البنات في المجتمعات الفقيرة ولكن لم يخطر ببالي أبدا هذا الفقر الشنيع في كاندليه.
- ضحك «صلاح» وهو يصوب نظرة إعجاب إلى ياسمين: بسرعة حددت هدفك ودورك يا ياسمين وبحماس، برافو عليك. هكذا تكون الأنوثة في ثوبها العلمي. طبعا أنا معاك إنه يكون فيه دور اجتماعي

وتتقضي كبير في الموضوع ولكن ده مش هايبان في الأول، هياخذ وقت لحد ما بيان تأثيره. علشان كده عايزين خطة آجلة وعاجلة.. منها طبعا الدور الاجتماعي والتنويري والتعليمي والفني وأهم حاجة البنية التحتية. وطبعا الدور الديني لعننا الشيخ.

- أيوه كده يا عم صلاح، سخن أفكارك علشان تبخر المكنون عندك، عايزين إبداع غير مسبوق، إمال اسمها مسابقة ليه، ما هو علشان لازم الفكرة اللي تفوز تكون غير مسبوقة، مش كده ولا إيه يا عم الشيخ؟

- واللّه يا أدهم يا بني برافو عليك، أنا أول مرة آخذ بالي من علاقة لفظ المسابقة بلفظ مسبوق، فتح اللّه عليك منك نتعلم. وبضحكة أراد بها أن يلهب أفكار صلاح: بس مش برضه قبل ما صلاح يقولك أفكاره تقوله المسابقة قيمتها إيه علشان يديك أفكار غير مسبوقة.. مش كده ولا إيه يا أبو صلاح؟

وبابتسامه مغلقة بدعابة مرحلة: وماله يا عم الشيخ من حقي برضه، إمال يعني ببلاش، مش الأفكار دي برضه عايزة تتغذى علشان تكبر وتحلو. إمال لو أنا قلت أفكار حلوة وأنا مجرد صلاح، أفكار ياسمين بقي هاتكون إيه وهي صاحبة الجمال بل الجمال نفسه.. إذا كان عليّ أنا شايف إن كفاية نحط صورة ياسمين على صفحات فاضية ونقدمها للمسابقة، أكيد هانكسبها وبلا منافسة. تكفي ابتسامه ياسمين، ونظرة ياسمين التي تطل منها ومضات الراحة وإمضاءات الجمال. بصراحة ياسمين أكبر وأجمل وأحلى وأغلى مسابقة في الوجود، ياسمين هي..

- إيه يا صلاح، إنت نسيت المسابقة إللي أنا جاي بسببها وما نمتش بقالي ثلاث ليالي وهتعلن عن مسابقة ياسمين! يا سيدي أنا عارف مين ياسمين وكم من شباب حينا تمنأها وهي غير راغبة، ياسمين هي أميرة حينا يا فندم، وأنا بصراحة بحسدك يا أبو صلاح على حبكم لبعض وعلشان كده نفسي نكسب المسابقة دي علشانأنا كلنا. هاتبقى إضافة لي كبيرة وأحقق منها حلمي الكبير في تطوير تطبيق الديكور، والحلم الكبير لعننا الشيخ في المسجد، وحلمك إنت شخصيا في تغيير مسار حياتك المهني وتحقيق هواياتك وإبداعاتك على أرض الواقع، وحلم ياسمين في جعل علم الاجتماع ينزل من الكتب ويمشي متبخترا في الشارع والطرقاأ، وحلم أهل كاندليه في تغيير حياتهم جذريا إلى حياة أفضل وأنظف وأجمل وأرقى. دي المسابقة يا عم صلاح، أما مسابقة ياسمين فليس هناك منافس يا حبيبي، هاتفوز بيها بالتركية، بس بشرط تفوز بالمسابقة بتاعتنا الأول.

- فعلا يا أدهم، عندك حق، إنت رتبت الأفكار المبعثرة للمسابقة في دماغى، فعلا لا بد من الفوز بهذه المسابقة لأفوز بياسمين وأفوز لنفسي من أجل ياسمين. وأنا جاتلي فكرة من خلال كلامك، ليه ما نخليش أحلامنا إللي إنت قلتها لعننا الشيخ وليك ولي ياسمين هي الأهداف الرئيسية للمسابقة ولكن من غير شخصنة، يعني مانربطهاش بأسماء ولكن بصورة عامة. أعتقد ممكن تكون البداية من هنا ومن خلال هذه الأهداف ممكن نحدد

الآليات التي تحقق الأهداف بطرق غير تقليدية. بمعنى أن الأفكار غير المسبوقة تكون في كيفية تحقيق الأهداف وليست في الأهداف نفسها. مثلاً بعد هدم العشوائيات ممكن الديكور يبدأ من الخارج إلى الداخل وليس فقط في الداخل بعد بناء المبنى كما هو معتاد. فمثلاً تصميم البيوت نفسه ممكن يأخذ البصمة الشائبة من الديكور العشوائي والديكور المنظم الحديث، مش علشان نُبقي على لمسة وبصمة كانديه القديمة وبس، ولكن أيضاً لتسويق البصمة الكانديلية في ثوبها الجديد. أو ممكن نصمم بيت واحد يمثل كانديه القديمة وسط كل مجموعة من العمارات الجديدة لكي يمثل البصمة الديكورية الكانديلية. ومين عارف، يمكن تصبح طريقة الديكور دي هي الموضة.

- واللَّهُ فكرة إدخال الديكور في تصميم المبنى ممتازة وكذلك فكرة مزج الكانديه القديمة والجديدة أوريجينال. انا في زيارتي لليابان وجدت النموذج الديكوري ده في كل بيت بيتصمم بحيث يكون فيه جزء ولو حجرة واحدة معمول على الطراز الياباني القديم بكل ما فيه من طريقة المعيشة، وباقي البيت بيتصممه على النظام الحديث. والهدف من ده طبعا إبقاء التاريخ حيا في ثوب الحاضر وممتدا إلى المستقبل على أرض الواقع لكي تتوارثه الأجيال حيا وهم أحياء. و في دول أخرى زي إيطاليا وأمريكا على سبيل المثال بيبقوا على شكل البيوت القديمة على نفس طرازها المعماري وديكوراتها التاريخية من الخارج مع إدخال الطابع الحديث في

الداخل. وفيه بعض الدول مثل الصين نجدها حريصة على طرازها المعماري والديكوري في أحياء بأكملها في بلادها وكمان في البلاد الأخرى زي المدينة الصينية في معظم بلاد العالم. علشان كده أعتقد إن فكرتك يا صلاح في مزج ديكور كاندية قبل وبعد التطوير سوف يمثل موديل جديد ورائع لتعميمه في مصر في حالة تطبيقه ونجاحه خاصة إن النموذج ده غائب بالرغم من تميز مصر بطراز معماري رائع زي دوار العمدة الذي اندثر وكان يجب أن يخصص له متحفاً .

- والله يا أدهم مع إنني مش بحب الانعزالية في التصميم إلا إنني أقترح تصميم سور حوالين كاندليه بعد التعديل وياريت لو نسيب السور ده لتسجيل الحياة اليومية في كاندليه القديمة كأنه متحف مفتوح.. ويا سلام لو تم اكتشاف بعض أصحاب المواهب في الرسم من أهل كاندليه ويتم تدريبهم علشان يشتركوا في إخراج هذا المتحف المفتوح. إيه رأيك يا أدهم إنت وياسمين في فكرة السور دي؟

- والله يا صلاح فكرة جنان ومش انعزالية ولا حاجة، دي فكرة بمليون جنيه. وبعدين السور ها يحافظ على كاندليه الجديدة وها بيديها الطابع الأسطوري والتاريخي وكأنه سور العيون، وكمان بالطابع الحديث زي الأسوار اللي حوالين المدن السكنية الحديثة. حقيقي فكرة ممتازة لم تخطر لي على بال، فكرة بمليون جنيه. ولا إيه رأيك يا ياسمين إنت وعم الشيخ؟

- هي فعلا فكرة رائعة يا أدهم، يكفي إن صلاح هو اللي فكر فيها، تبقى أكيد حلوة، الفكرة دي لوحدها عايزة جايزة. وبضحكة تملؤها أنوثة المحبين طلّت ياسمين في عيني صلاح تغالزه: بس أهم حاجة تسجلوا أحداث الحادثة بتاعتي كلها من أول ما اتخطبت بالعربية في العمود وصلاح أنقذني لحد ما رحى عنده ولبست الجلالية ومشيت في الشارع. وأهو كده بقى دخلنا التاريخ أنا وصلاح وخطينا الناس بما فيهم أهلي قدام الأمر الواقع هاهاها.

وهنا تدخل إمام المسجد بسرعة لينقذ حالة الكسوف التي وقع فيها صلاح تحت تأثير كلمات ياسمين الرقيقة: يا شباب أفكاركم كلها رائعة، بارك الله فيكم وخاصة أدهم الذي أحضر هذه الفرصة لنا هنا نفكر فيها سويا لمصلحة هذا المكان المتهالك. جلستنا هذه لا تقل أبدا عن أي جلسة من الجلسات الدينية بل تفوقها لأن النية هي المصلحة وكل فكرة تخرج من عقلنا هي للمصلحة، ولذلك فأنا متأكد أن الفوز بالمسابقة سوف يكون من نصيبكم إن شاء الله لأن يد الله مع الجماعة، وها أنتم جماعة.

- طيب ياريت يا عم الشيخ تدينا فكرة تتورنا خاصة لو لها علاقة بالمسجد، أنا كمهندس ديكور أتمنى عمل شيء جديد للجامع.

- بالنسبة للمسجد يا أدهم يكفي أن بينى فوقه مجمع خدمي كما ذكرت في البداية، يشمل مستشفى، مدرسة، مكتبة، صالة ألعاب، كل شيء يخدم أهل المنطقة اجتماعيا. وهارجع ثاني لسور كاندليه، لو يتعمل فيه منافذ شيك للبيع لصالح أهل كاندليه يبقى رائع

لكي نفتح لهم أبواب رزق. كما إنني أتمنى عمل سوپر ماركت كبير يقوم على إدارته والبيع فيه أهل كاندليه.. ويا سلام لو يكون في وسط المدينة. بكده ممكن نضمن فتح أبواب للعمل للناس هنا ولكن بطريقة مهنية ممكن يدرّبوا عليها، وبكده نكون حلينا أصل المشكلة. ده رأيي المتواضع.

- أنا معاك يا عمنا الشيخ في منافذ بيع في السور ولكن من الداخل وليس من خارج السور، لأن فكرة إن السور يمثل متحف مفتوح لكل من هو خارج كاندليه فكرة رائعة وأوريجينال وثقافية وتاريخية، ولذلك رأيي ألا تُقطع بنوافذ ممكن تؤدي إلى زحام وصخب فتقتضي على فكرة السور الرائعة لصالح. وعلى فكرة، كل واحد اقترح فكرة سوف تقدم باسمه في مشروع المسابقة لحفظ الحق.

- يا سلام، طيب أنا كده يا أدهم ماقترحتش حاجة لسه، يعني اسمي مش هايبقى مكتوب ولا إيه يا جماعة؟

ضحك «أدهم» ضحكة عالية لأول مرة تعكس مدى ارتياحه وسعادته حتى الآن بالأفكار المطروحة والطريقة السلسة التي يدار بها الحوار: يا ياسمين ما انتِ اقترحتِ يا فنديم تسجيل الحادثة بتاعتك وأنا مش ها أخرك طلب أبدا. وعموما يا ستي إنتِ دورك واضح جدا في التتوير الاجتماعي وهو من أهم الأدوار.

- كفاية كده دلوقتي يا ولاد لأن المغرب هايأذن، دعونا نصلي ثم نقرر ماذا نفعل.

- لأ كده كفاية النهاردة يا عم الشيخ، دي بداية رائعة حتى نتقابل غدا ونكمل أفكارنا سويا، على الأقل نعطي فرصة لنا لمزيد من التفكير، وأكون أنا جمعت الأفكار ورتبتها وكتبتها لأعرضها عليكم. دلوقتي نذهب إلى الساحة الخضراء كما قلت يا عم الشيخ لنتنفس هواء روحانيا .



الفصل الثالث والعشرون

«لم أكن أعرف أنكي رجل بألف رجل، لم أكن أعرف

أنك عنوان لشجاعة الأنوثة».

- أنا ملاحظ إن ياسمين مهتمة بالولد صلاح جدا، ومش كده وبس، دي بتكلم معاه على التليفون كتير وبطريقة فيها بساطة شديدة.. وبدأت تخرج معاه لدرجة إنها راحت تقابله النهاردة على كافيه وبعدين هايروحه كاندليه. أنا مش فاهم اللي بيحصل ده. أنا قلقان جدا لتكون البنات فرحانة بالولد كحاجة جديدة مختلفة وبعدين الموضوع يتطور وتتعلق بيه.

- يا شوقي ماتقلقش، إنت عارف ياسمين اجتماعية وبعدين هي بتحاول ترد الجميل للولد بعد ما أنقذها ووقف جنبها بشهادة الكل. وبعدين الولد لما جه هنا لقيته مؤدب وبيستحي ومش زي بقيت الشباب الجريء في طيشه. صدقني الموضوع مش هايخرج عن كده وبعدين أقصى حاجة زي ما انت قلت هاتلاقيها فرحانة بيه كحاجة جديدة ومختلفة في حياتها، نموذج جديد من البشر متعاملتش معاه قبل كده. وبعدين أكيد يعني طبيعة دراستها متأثرة عليها في التعامل معاه، اجتماعيا.

- لآ، أنا قلبي مش مطمئن وحاسس إن فيه حاجة كبيرة هتحصل، أنا مش هاستتى زيك لحد ما الفاس تقع في الراس كالعادة وبعدين نندم على عدم التدخل. أنا لازم أتدخل وبسرعة.
- يا شوقي مافيش داعي، ما تعكننش على البنت وسيبها فرحانة، دي لسة طالعة من الحادثة ومصدقنا إننا اطمنا عليه. وأنا يا سيدي هابقى أتكلم معاها لما ترجع.
- اوعى تتكلمي معاها خالص، كلامك معاها معناه إن احنا أقررنا بالوضع.. إللي بياكد ظنوني إنها رفضت العريسين إللي تقدموا لها بعد الحادثة مع إنها كانت بترحب بأي حد بييجي على الأقل كانت بتوافق على المقابلة لكن المرتين دول موافقتش أساسا على مقابلة العرسان مع إنهم من أفضل العائلات وأي حد يتمناهم. عموما، أنا هاخلي المعلم محمود يراقبها هي وصلاح وأشوف بعدها أعمل إيه.
- اوعى تعمل كده يا شوقي، البنت هاتزعل جدا لو عرفت وممكن تعاند كمان وتحط دماغها في الموضوع بجهد لمجرد العناد. سييها براحتها طالما بتقولنا على كل حاجة وبالتفصيل علشان تثق فينا. أنا رأيي نخليها على طبيعتها ولو هي لمحت بحاجة نبتدي نكلمها. ما تتساش إنها لسة طالعة من أزمة خطوبتها وعملت حاجة بسببها. وهي أكيد بتصرف صح. وبعدين يا سيدي خليها تاخذ خبرة في حياة مختلفة تتعلم منها حاجات جديدة مش ممكن تتعلمها من أي مكان.

- يا هانم أنا فاهم كل الكلام ده بس مش قادر أتخيل أبدا إنها ممكن تحب واحد زي صلاح. دي حتى ما اتكلمتش عن أدهم كثير، مجرد كلمتين وكل كلامها عن صلاح. مع إن في الواقع المفروض العكس. زي ما عرفت منها أدهم مهندس ديكور وابن ناس ومن المنطقة بتاعتنا يعني من توبنا. شيء محير، أنا حقيقي قلقان ولو عرفت حاجة هاكسر دماغها ودماغ صلاح لإني مش ممكن أبدا أسمح بمهزلة زي دي.
- يا شوقي إن شاء الله ما فيش حاجة، وبعدين يا سيدي ما انت ابتديت حياتك صغير.
- إنت عايزة تقارنيني باللي اسمه صلاح ولا إيه!! أنا ابتديت صغير صحيح ولكن كنت متعلم ومثقف وخريج جامعة، مهندس قد الدنيا. إنما هو مين، واحد غير متعلم، غير مثقف، فقير، وكمان تربية كاندليه، يعني على بعضه واحد علي هامش الحياة .
- عموما مش عايزين نسبق الأحداث. وبعدين يا سيدي ابقى دردش معاها، هي بتحبك ومتعلقة بيك وهاتقولك.
- عموما أنا ليّ صرفة معاها، مش ممكن الموضوع أسببه يكبر قدامي، أنا عندي إحساس ومتأكد منه.
- المهم، إنت سمعت عن المسابقة المطروحة لتطوير العشوائيات. لازم تعمل حسابك إن مناقصاتها ترسى عليك قبل ما حد يفوز بيها وينفذ، أنا سمعت إن مبلغها كبير جدا، والمحافظة مهتمة

جدا بالموضوع المرة دي. ده بيزنيس كبير ولازم نطول منه حاجة يا بشمهندس.

- ما تقلقيش، هاترسي علينا زي كل مرة ونبني شوية مباني وخلص. الموضوع متابعة ومش شاغلني قوي لأنني مكلم ناس في المحافظة يظبطوا الأمور زي كل مرة. المهم عندي ياسمين إنها متقمش في حب الولد ده، وإلا تبقى مصيبة وحلت فوق دماغ العيلة. أنا هاتصل بمحمود حالا علشان يتصرف ويراقبهم من غير ياسمين ما تعرف.

- إذا كان كده، أنا لازم أقولك إن هي طلبت مني أقولك إن صلاح وأدهم جاين البيت بكرة، فانتظر ما تقولش لمحمود وما تعملش حاجة إلا لما بيجي ونشوف.

- هايجي يعمل إيه وعلشان إيه!! أنا أقابل أدهم آه خاصة إني عايزه علشان تجديد ديكور الفيلا، أما الواد صلاح ده هاقبله ليه؟! هو علشان وقف جنب بنتي عايز يبقى حد من العيلة. ما أنا عرضت عليه فلوس ورفض، خلاص هو حر. أنا مش هاقبله ولا هوها بيجي، قوليله مشغول، أنا مش فاضي للكلام ده. وبعدين أنا نسيت أقولك إن فيه عريس جاي لياسمين بكرة، يعني هي لازم تلغي المواعيد علشان تبقى موجودة وتقابل الأسرة. أنا اديتهم ميعاد وهما جاين من مدينة تانية جنبنا بس ابنهم معيد مع ياسمين في الجامعة.

- يا خبر، ما قلتش ليه بس يا شوقي قبل كده، وبعدين اسمه إيه العريس؟

- اسمه برضه صلاح ولكن مختلف في كل حاجة، صلاح عزيز a الصفتي ، من عيلة الصفتي المعروفة ووالده إنسان ممتاز وأمه كذلك وعنده أملاك كتيرة، بالإضافة إلى مستقبله الكبير في الجامعة مع ياسمين. يعني لو رفضت يبقى أكيد فيه مشكلة ولازم أعرفها.

- عموماً بالراحة على ياسمين يا شوقي، إنت عارف البنت هي الوحيدة، مش عايزين نعكن عليها خاصة إنها عايشة حالة فرح من بعد الحادثة.. بالراحة.

- هو أنا ليّ غير ياسمين، أنا علشان بحبها بخاف عليها ولازم أكون جنبها خاصة في القرارات المصيرية زي الجواز. ربنا يهديها ويوفقها، وأنا هاعمل المطلوب مني لآخر لحظة علشان أكون مطمئن عليها.. بلغبها بزيارة بكرة.



صخب وضجيج يأتي من الشارع أثناء الصلاة -وعلى غير العادة- بصوت نساء وأطفال وشباب، وكأن معركة حربية ضروس تدور هناك في ساحة كاندليه. لم يتعجب الشيخ وارتسمت على شفثيه ابتسامة قلما تتكرر في مثل هذه المواقف. أكمل الشيخ الصلاة بأدهم وصلاح وثلاث من أهل كاندليه أتوا إلى المسجد ومنهم المعلم محمود، وكانت ياسمين تصلي هناك وراء ستار النساء.

وبعد انقضاء الصلاة، فوجئ الشيخ من وجود المعلم محمود للصلاة فالיום ليس الجمعة! رحب الشيخ ومعه صلاح الذي تعجب هو الآخر من قدومه، وتملكتهم الدهشة خاصة أنه ترك المعركة التي تدور بالخارج وهو الذي لا يترك شجارا في كاندليه إلا وشارك في إشعال فتيله أو إطفائه.

- أهلا يا معلم محمود، رجلٌ عزيزة على المسجد، ياريت نشوفك هنا كثير في بيت ربنا. ويا ترى إيه إللي بيجري برة في الحتة؟

وهنا سمعت «ياسمين» صوت المعلم محمود الذي ما زالت تحفظ حشرجته المميزة والتي أصابتها مع هيئته الصارمة بالخوف يوم أن زارها في حجرة صلاح. شعرت بخوف في قلبها وترددت أن تظهر نفسها لعله يصلي ويرحل، فجلست في مكانها وراء الستار وفي قلبها رجفة وتخوف من وجوده في هذا التوقيت، وتخوفت أكثر أن يكون جاء متعمدا وبسببها.

قطع أفكار «ياسمين» صوت المعلم محمود المتحشرج: كله تمام يا عمنا الشيخ، إنت عارف أنا بحب الجامع وبحب الصلاة قد إيه بس الظروف بقى، ويا سيدي بس مش تقولنا الأول مين الأستاذ إللي بيصلي هنا لأول مرة؟ وبعدين يا سيدي ما هو صلاح موجود أهه وهو برضه ما بيغيش الجامع كثير زيي إلا يوم الجمعة والنهاردة مش الجمعة! إيه الحكاية؟ متجمعين عند النبي.

- واللّٰه يا معلم محمود أنا نفسي كل أهل كاندليه يصلوا الخمس أوقات في المسجد، والبركة فيك لو جيت هاييجوا وراك وهايسمعوا كلامك إنت مش أنا. هما بييجولي بس لما يكون فيه جواز أو طلاق علشان ما فيش غيري في الحتة.

- ربنا يخليك لنا يا عم الشيخ، ما قلتش مين الأستاذ؟؟

وعلى الفور رد صلاح حتى يزيل الحرج عن الشيخ، وحتى ينهي الموقف بطريقة لا يفهم منها المعلم محمود أي شيء عن المسابقة: ده الباشمهندس أدهم يا معلم محمود، اتعرفت عليه من كام أسبوع وكان جاي يزورني النهارد وكان نفسه يشوف كاندليه لأنه سمع عنها كثير برة، هو ضيفي.

- أهلا يا باشمهندس أدهم بيه في كاندليه، ويا ترى جاي لوحذك ولا معاك حد تاني؟

وما زالت أصوات الشجار تملوا في الخارج، تساءل صلاح: حد زي مين يا معلم محمود.. إنت تقصد حد معين؟

وهنا ولأول مرة تشعر ياسمين بتحدٍ فكري وعاطفي لم تشعر به من قبل، تحدٍ تملكها وبث فيها قوة عجيبة وغريبة ومنتفردة، قوة ذاتية لا تدري من أين هبطت عليها هذه اللحظة، نعم، فقط هذه اللحظة وليس في أي وقت آخر قبل الآن، قوة جعلتها تشعر وكأنها تستطيع مواجهة العالم كله وليس فقط والدها الذي لو علم بجبها لصلاح لغضب عليها غضبة قد تطيح بتاريخ حبه وتدليله لها. ولكنها الآن

تشعر بأنها ياسمين أخرى، ياسمين التي تعرف وتدرک ماذا تريد من هذه الحياة التي قدرت لها ما لم يكن أبداً في الحسبان. وهنا قررت «ياسمين» أن تواجه الموقف بدلاً من أن تضع صلاح وأدهم والشيخ في موقف حرج. قررت أن تخرج من وراء الستار الذي كانت تصلي وراءه بحكم الشرع، وأن تخرج لتظهر نفسها وتواجه من ظهرها في حياتها أيضاً بحكم الشرع. من المعلم محمود هذا الذي أخشاه أو أعمل له حساب، ولماذا لا أواجه الموقف وأقف بجوار صلاح الذي يحاول أن يفعل كل شيء من أجلي، صلاح الذي أحب ياسمين وليس عائلة ياسمين ولا ثروة ياسمين. صلاح الذي ولد فقيراً وتربى فقيراً حتى وهو في فيللا «عزيز» بك ليعود إلى فقره بسبب كرامته. صلاح الذي يفهم معنى الحب والذي كتب للحب وسوف يعيش بالحب وللحب. صلاح الذي اكتشفت فيه معنى الإنسانية المجردة والبعيدة عن كل زيف، صلاح الذي نمت في سريرته دون أن يفكر في لمسي، صلاح الذي غير نفسه من أجلي، صلاح الذي يمتلئ قلبه بالحب لكل الناس، صلاح الذي يمتلئ عقله بالأفكار، صلاح الذي مهد الله له الطريق والآن لكي يبدأ مرحلة جديدة في الحياة، صلاح الذي أحبته. لن أخاف من أي مخلوق بعد الآن أيا كان هو. سوف أعلن عن حبي وبكل قوة ولو كره من حولي. سوف أمسك بيد صلاح وأنشد له أغنية حبي التي كتبها عقلي ولحنها قلبي لتردها جوانحي ومهجتي. .

فوجئ صلاح بقدوم ياسمين من وراء ستار الصلاة وهو يحاول أن يبعد ذهن المعلم محمود عن وجودها، ولكنه فوجئ بقدومها تجاه

الجميع وهي متحفزة لشيء ما . لم يدر صلاح ماذا يفعل ولكنه استسلم للأمر الواقع عندما وجد ياسمين تقف بين يديه ناظرة إلى المعلم محمود بشذر غير عابئة بصوته الجهوري المتحشرج، ولا بملامحه التي تخاف منها الأطفال، ولا من نظراته التي يصوبها إليها والتي فهمت منها سبب وجوده هنا والآن بوصاية من والدها كمخبر سياسي أو مخبر اجتماعي.

- إزيك يا معلم محمود، إيه اللي جابك هنا دلوقتي بالذات وفي المسجد مع إنك مابتركمهاش، مش غريبة دي عليك، قولي فيه إيه وأنا أجابوك وبقوة وبدون أي خوف. أنا أعرف من أرسلك إلى هنا، وسبب المعركة اللي في الشارع وسبب سؤالك لعننا الشيخ ولصلاح عن اللي موجود تاني. أنا يا سيدي إللي موجودة هنا وجيت مع صلاح وأدهم وهامشي معاهم وهاخرج دلوقتي قدام أهل كاندليه وهسلم عليهم وأطببب عليهم. تحب كمان أتصل ببابا وأقوله إنني هنا وإنك جيت علشان تراقبني، وإنك أخلصت وعملت اللي عليك وزيادة.

قاطع المعلم «محمود» حديث ياسمين المتواصل مزمجرا: إنت مالك بس يا دكتورة ياسمين، هو حد زعلك في حاجة، هو أنا عملت حاجة لسمح الله.. هو أنا كل ماجي أنفذ حاجة شوقي بيه يقولي عليها تبوظيها عليّ. المرة إللي فاتت وإنت هنا عند صلاح، بوظت الجميل اللي كنت هاعمله لوالدك لما اتصلت عليه قبل أنا ما أقوله بعد ما عرفت وتأكدت إنك بنته إللي كان طلب مني أعرف أخبارها. والمرة دي كمان أنه إنت برضه بوظتيها وعايظه تتصلي وتقوليله. الفرق بين

المرتين إني شايفك المرة دي مش خايضة مني زي المرة اللي فاتت. عموما ياسستي، أنا هامشي بس ياريت ما تقوليش للوالد علشان ألاقي حاجة أقولها له.

- خلاص، أنا موافقة بس بشرط..
- إيه هو الشرط يا دكتورة؟ مع إن مافيش حد يشترط على المعلم محمود، بس علشان خاطر بابا إللي جماليه مغرقاني وعلشان خاطر داخلتك كانديه.
- ما تقلقش يا معلم، شرطي هو طلبك، و هابعجبك قوي.
- يا ترى إيه هو؟ شوقتيني وقلقتيني.
- شرطي إنك تقول لبابا كل حاجة بتشوفها بس من غير زيادة ولا نقصان. كل حاجة بتحصل بيني وبين صلاح أو أدهم والشيخ سواء هنا في كانديه أو أي مكان تاني. وما تتساش إني بقول لبابا كل حاجة وعلشان كده هو عارف بوجودي هنا دلوقتي وعلشان كده قالك مع إنه بيتق فيّ جدا، بس هو عايز يطمئن إني في إيد أمينة وإني في أمان حتى وأنا في كانديه.
- معلوم يا دكتورة، وما حدش يقدر يعملك حاجة وأنا في كانديه، إنت في عيوننا.

تتنح الشيخ بابتسامته الهادئة ناظرا إلى المعلم محمود: خلاص يا معلم إنت كلك رجولة، فياريت بقى تروح تخلص الخناقة إللي بره

دي واللي حصلت قبل ما تيجي. أنا شايف لسة الصوت عالي وبيقربوا من الجامع. احنا مش عايزين احتكاك، عارفين إنك هاتحمي الدكتور ياسمين وقت الشدة وتروحها وهي عارفة كده، بس طالما اتفقتم توكل على الله وفض الخناقة والشباب هايقعدوا معايا شوية وبعدين هايروحووا. وإنْتِ يا ياسمين يابنتي اتصلي ببابا دلوقتي وطمنيه إنك بخير وإنك في وسط أهلِكَ وكمان في الجامع.

- ماشي يا عم الشيخ، أنا هامشي بس هاستنى برة شوية لحد ما الناس كلها تروح، كويس إن ده حصل لأنها كانت هاتبقى عاركة كبيرة. ثم أردف المعلم محمود مبتسما: وأبو صلاح مش بتاع معارك ولا الباشمهندس، مش كده ولا إيه يا أبو صلاح؟

- مين قال إن أنا مش بتاع معارك يا معلم؟ بس حسب المعركة.. معارك الفتونة والشجار ماليش فيها، أما معارك الحياة على العموم ومعارك المبادئ على وجه الخصوص فليّ فيها وبقوة. وبعدين هاتكلم معاك علشان ده مش وقته، وإنْتِ أول واحد ها تستفيد من معارك الحياة التي سوف أخوضها عن قريب. فما فيش داعي للمعاني إللي ورا كلامك يا ريس. كلنا في مركب واحد اسمه كاندليه، ونفسنا يرسى على بر الحياة في يوم من الأيام.

- ماشي يا عم صلاح، مش عارف إيه إللي في دماغك بس ماشي..

وهنا تدخل «أدهم» الذي كان يراقب الموقف بقلق وتوجس، وفي الوقت نفسه يحلله ويحلل الأشخاص خاصة المعركة الدائرة بالخارج

ودور المعلم محمود فيها: أنا عايز ابقى اقعد معاك شوية يا معلم..
وبعدين مين عارف يمكن نشغل مع بعض ونستفيد إنت وأنا .

- تحت أمرك يا باشمهندس المهم نستفيد.. وليه لأه نقعد معاك، ده تليفوني.

- خليه، أنا هاخده من صلاح صديقك واللي دايمًا بيكلمني عنك وعن رجولتك وشجاعتك وحبك لكاندييه ولأهل كاندييه. توكل إنت بس على الله علشان الخناقة إللي برة وأنا وزملائي هانستى هنا في الجامع شوية لحد ما الخناقة تخلص ونمشي.

- ماشي يا باشمهندس، وعلى فكرة صلاح ده حبيبي، وزى أخويا الصغير ودايمًا في عنيا من أي حد برة ولا جوة. والشيخ بقى ده بركتتا بنيجي لحد عنده ونقف صفا وانتباه.

ضحك الشيخ وصاح في المعلم محمود: طيب يلا يا سيدي، صفا وانتباه وللخلف دُرّ وانصراف.

ضحك المعلم «محمود» وضحك معه الجميع، وانصرف لينهي الشجار المصطنع الذي كاد أن ينفجر على هيئة فيلم هندي لولا تدخل ياسمين بشجاعتها وجرأتها وحكمتها في الحوار مع أحد أشداء كاندييه.

نظر «صلاح» إلى ياسمين بعيون يتحرك فيها الإعجاب والحب والحنين: لم أكن أعرف أنك رجل بألف رجل، لم أكن أعرف أنك عنوان لشجاعة الأنوثة يا ياسمين.

ضحكت «ياسمين» براحة كبيرة: الشجاعة موجودة يا فندم بس
عايزة الظروف إللي تطلعها، وخلص كاندليه طلعتها . أنا خلاص بقيت
كاندلانية، واحدة من كاندليه يعني.

ضحك الجميع والتقوا حول الشيخ ليكملوا الحديث عن المسابقة
بعد أن أنهت ياسمين مكالمتها السريعة مع والدها مع وعد بأن تعاود
الاتصال به فور أن تنهي الكلام مع الشيخ.



oboiikan.com

الفصل الرابع والعشرون

«عجيب هذا القدر الذي يخطط ويدبر وينفذ أحداث

ومواعيد الحياة ليصنع الأحداث كيفما يشاء وما علينا إلا التنفيذ».

- كنت فين كل ده يا ياسمين، إنت بقيت تتأخري جدا برة، أنا بقيت أقلق عليك كثير.. حتى اهتماماتك انغيرت جدا في الفترة الأخيرة وبالتحديد من يوم حادثة كانديه ومعرفتك بصلاح. كانت اهتماماتك كلها منصبه على اللبس والموضة والصديقات والخروج معهم لكل مكان حتى وإنت مخطوبة. لكن دلوقتي أصبحت اهتماماتك كلها منصبه على القراءة وقلة الخروج ومكالمات مع صلاح وأدهم. ياريت أعرف إيه إللي في دماغك بالظبط علشان أرتاح. ما سبب كل هذا التغيير ولمصلحة من. بصراحة كده، هل هناك حب جديد مع أدهم. أنا شايفك بتكلمي معاه كثير وبتاخدي رأيه في أمور كثيرة. أنا شخصيا بحب الولد ده وباحترمه جدا خاصة إنه ناجح في عمله وابن ناس طيبين من الجيران. أنا بفكر بجدية أخليه يجدد ديكور الفيلا بتاعتنا هنا وأهي تكون فرصة كبيرة للتعارف أكثر. يارب يكون إللي بفكر فيه صح يا ياسمين؟

- يا بابا أدهم بالنسبة لي أخ وصديق لا أكثر، أنا كمان حبيته وارتحت له من يوم ما عرفته ولكن بنعامل بعض زي الإخوات بالضبط وهو كمان بيعاملني كده خاصة لا أنا عندي أخ ولا هو عنده أخت. احنا كنا عارفين بعض من زمان ولكن عمرنا ما تعاملنا أي معاملة غير إننا إخوات. وبعدين ما تقلقش عليّ يا سي بابا، أنا اتغيرت للأحسن. أنا حياتي كانت تافهة وفاضية، مجرد موضة وليس وخروج زي ما حضرتك قلت، وطبعاً كانت حياة جميلة بالنسبة لي لحد ما اتعرفت على كاندليه وأهل كاندليه وخاصة صلاح.

وما إن سمع «شوقي» بك اسم صلاح حتى ظهرت على ملامح وجه علامات الغضب التي حاول كتمانها ولكن دون فائدة: هو أنا كل ما أكلمك يا ياسمين عن حاجة تجيبني سيرة صلاح !!

- يا بابا صلاح إنسان كويس ومكافح ومؤدب جدا وكمان مثقف ويكفي إنني اتعلمت منه إزاي يعيش الحياة بأقل الإمكانيات وهو سعيد وإزاي يتغلب على صعوبات الحياة بطريقة عملية وإزاي الإنسان يكون محترم حتى وهو فقير وبدون جاه ولا مال ولا سلطان. وبعدين هو حضرتك مش كنت دايماً تتمنى إنني أتغير للأحسن وكنت منتظر اليوم إللي أحس فيه بقيمة القرش والمجهود والوقت والقراءة والثقافة. مش حضرتك كنت دايماً بتحسني على إنني أركز في دراستي في الماجستير علشان أكون أكبر دكتورة في علم الاجتماع.

- طبعا وما زلت لحد آخر يوم في حياتي، دا إنت بنتي الوحيدة
واللي حاطط عليها آمالي كلها. علشان كده عايز كل فكر وكل
قرار تاخديه يكون بحساب وماتدميش عليه بعد كده لأن الحياة
قصيرة ولا تتحمل الأخطاء الكبرى، والندم على ما فات. وأعتقد
إنك فاهماني كويس.

وهنا تدخلت الأم لتتقذ فلذة كبدها من براثن كلمات والدها الذي
يرى السعادة فيما هو مقتنع به من الارتباط بالمال والجاه والسلطان:
يا شوقي سيب البنت بقى، هو كل يوم محاضرة، دي لسه جاية من برة
وتعبانة. خليها تستريح شوية وبعدين اتكلم معاها. وبصراحة أنا شايفة
ياسمين في أحسن حالاتها، همة ونشاط وذهن رايق واهتمام بالوقت
والمواعيد والدراسة والسلوك العاقل جدا والبعد عن التفاهات. كل
الصفات الجميلة دي كنا بنتناها في بنتنا فلما تيجي تقوم إنت تلومها
عليها!!

- يا ستي أنا مش بلومها ولا حاجة، بالعكس أنا سعيد جدا جدا
بهذه التحولات ولكن ما يقلقني مصدر هذه التحولات وما إذا كانت
تحولات وقتية وستزول أم عن اقتناع وستدوم خاصة أن ياسمين لسة
خارجة من مشكلة عاطفية بعد انفصالها من خطيبها.

وهنا تدخلت «ياسمين» بابتسامة هادئة وبلطف وهي تتمسح في
والدها وترتمي في صدره: يا بابا يا حبيبي أنا فعلا اتغيرت والسبب
كاندليه. قد يستمر الإنسان كما هو طوال حياته ثم تأتي لحظة
محورية فتؤثر فيه تأثير الدهر فيتحول من شخصية إلى شخصية

وبالطبع هذا جائز جدا خاصة إذا كانت الشخصية الأولى لا تمثل الأبعاد السلوكية أو النفسية للشخصية الحقيقية. إنت ناسي يا بابا إن ده لب تخصصي. أنا فعلا اتغيرت ووجدت نفسي وسعدت بشخصي الجديد وأصدقائي الجدد.

- يعني يا ياسمين ما فيش علاقة بينك وبين أدهم، مع إن كان نفسي؟
- لأ يا بابا، ما فيش علاقة بيني وبينه سوى الصداقة.
- إمال فيه علاقة مع مين بقى يا ست الكل؟
- ضحكت «ياسمين» بدلال وهي ما زالت ترتمي في صدر والدها: علاقة معاك إنت يا جميل، هو فيه أجمل وأحلى منك أعمل علاقة معاه.
- يا سلام، أهه ده إللي باخده منك كل مرة وتضحكي عليّ.
- يا بابا يا حبيبي أنا هاقولك كل حاجة لما بييجي وقتها، وبعدين بطل تبعت ورايا حد يراقبني، هو أنا مش باحكليك على كل حاجة وبروح فين وباجي منين وبخرج مع معين.
- أيوة ياستي، كل خروجاتك اليومين دول مع صلاح وأدهم، وأهو أدهم طلع صديق ما بقاش إلا صلاح، أكيد صديق هو كمان؟
- هاهها أنا عارفاك يا بابا قلقان عليّ بطريقتك، بس حضرتك نسيت صديقين تانيين، شيخ الجامع والمعلم محمود.
- نعم، هو كمان محمود بقى صديقك، إزاي بقى؟؟! إمتى وحصل إزاي. ده أنا قتلته ياخذ باله منك مش يصاحبك!

وبضحكة كلها دلال وثقة: أنا بقى يا بابا عقابا ليه وعلى تجسسه علي صاحبتة. إيه رأيك في بنتك؟ المفروض تكون فخور بي، بنت بألف راجل.

- أنا ثقتي فيك مالهاش حدود يا ياسمين، أنا بس قلقان عليك من وسط كاندليه وناس كاندليه.. المهم بقى فيه ناس جاينين بكرة يزورونا بالليل ولازم تكوني موجودة علشان تتعريف على العيلة.
- بس أنا مش فاضية بكرة، صلاح وأدهم وشيخ الجامع جاينين لزيارتي هنا علشان هاناقش موضوع مهم هابقى أحكي لحضرتك عليه بس بعد ما تناقشه.
- لأ طبعا مستحيل، لازم تكوني موجودة والناس أكيد هايوزورونا بكرة، فما فيش أذار نهائي.
- خلاص يا بابا ممكن صلاح وأدهم والشيوخ يزوروني برضه ونقضي الوقت كلنا مع بعض.
- المفروض لأ طبعا لأن دي زيارة عائلية وما ينفعش حد ثاني يكون موجود غيرنا.
- علشات خاطري يا بابا أنا مرتبة الميعاد ده من زمان وحضرتك وماما عارفين وموافقين.. ماتحرجيش معاهم.
- ماشي ياستي، هاهعمل إيه فيك وفي إصرارك وعنادك، بس حاولي تخلصي معاهم على ما يبجوا الضيوف.

- هاحاول بس ما وعدكش، هما من الضيوف صحيح؟؟
- ضيوف من مدينة تانية جنبنا، عزيز بيه والمدام وابنه وبنته.

خطف اسم عزيز سمع ياسمين وتذكرت عزيز بك الذي تبني «صلاح» لفترة: طيب هو اسمه عزيز إيه بالضبط؟ وابنه عنده كام سنة؟ واسم المدينة إيه؟

- مالك اتخضيت كده! اسمه عزيز الصفتي، وابنه عنده ٢٦ سنة والمدينة هي مدينة الشاطئ لأنها تقع على شط النيل مباشرة وكمان عزيز بيه عنده عوامة رائعة على النيل غير الفيلا بتاعته في وسط البلد.

وهنا أيقنت «ياسمين» أن القادم هو عزيز بيه الذي ربي «صلاح» لمدة سنوات، وها هي زوجته وأولاده قادمون، ومؤكد أن ابن عزيز بك هو العريس. لم تدر ياسمين ماذا تفعل، صمتت وهي لا تعرف ماذا ستقول لصلاح. أتخبره بهذه الزيارة والصدفة العجيبة التي تجمع بين أسرة عزيز وصلاح بعد غياب سنوات فقد يفرح لرؤية عزيز بك، فكم تحدث عنه بكلمات كلها حنين وشوق إليه. أم من الأفضل أن تعتذر عن هذه الزيارة حتى لا تضع «صلاح» في موقف يخرجه أو موقف مقارنة على أرض الواقع بينه وبين ابن عزيز بك الذي مؤكد جاء شاحدا كل قواه الاجتماعية والمالية. ولكن بالطبع هي وعدت والدها ولا يمكن الاعتذار. عجيب هذا القدر الذي يخطط ويدبر وينفذ أحداث ومواعيد الحياة على مستوى السنين والشهور والأيام واللحظات ليصنع

الأحداث كيفما يشاء وما علينا إلا التنفيذ . ولكن ما أحلى وأجمل
القدر عندما يفاجئنا ويلقي علينا بشباك الأفكار ليجعلنا نتشوق لكل
لحظة في الحياة لنعرف ما يخبأه وراءها . وفي النهاية قررت باسمين في
نفسها أن تخبر صلاح بتفاصيل الزيارة وسوف تتصاع لرأيه أيا كان .



وبعد هجر متعمد منها دام أكثر من أسبوع، مرّ عليه كل يوم فيه
كألف سنة من أيام اللقاءات الحلوة معها، رنّ جرس تليفونه لتضيء
شاشته العالم كله باسمها . مبتسما، نظر إلى اسمها وهو يتلألأ راقصا
على الشاشة وكأن حروفه كُتبت فيها رواية ألف ليلة وليلة . أنصت
إلى جرس رنين التليفون باشتياق وكأنه يستمع إلى عزف سيمفونية
من العشق . التقط التليفون بحنان بالغ في لحظة سجلتها دقات قلبه
بضربات تخفق عالية لتقوي مشاعره التي كانت منذ قليل تشتكي
الهجر منها . ضحكت ملامحه العذراء عندما سمع صوتها يغني
بأنشودة مطلعها «إزيك، عامل إيه» . لم يصدق أذنيه عندما طلبت منه
وبدلال أن تقابله بعد قليل . جرى مسرعا وهو يُعدل من هندامه إلى
المكان المتفق عليه وهو يجرُّ أنفاسه المتلاحقة وراءه وعذابات اشتياقه
تسبقه ومشاعره الحانية تحمله من فوق الأرض على بساط من أمنيات
اللقاء الذي تمناه بعد أسبوع من الهجر . استنشق رحيق أنفاسها من
على بعد فتملكه الحنين من فرحة لقاءها بعد أن بدأ يقترب منها رويدا
رويدا .

أخيرا تحققت أمنية دقات قلبه ليقف أمام وجهها الملائكي وصوتها الطفولي ليسلم عليها بيده التي تنتفض فيها عروق الشوق في أنامله. وبعد إلقاء بدقات قلبه قصيدة من الحب لم يقلها لها من قبل، شعر بخوف هبط في التو على قلبه ولا يعلم مصدره. ألقّت هي على مسامعه قصيدة من رثاء الحب والهجر والبعد بصوت متحشرج أنهتها بعبارة كان يتخوف من سماعها منها منذ أن قابلها أول مرة: «ورغم كل ما كان بيننا من مشاعر حب، بس لازم نفترق».

وقعت كلماتها عليه كخناجر مُسننة تُهتك مسامعه وتمزق أضلعه التي تهاوت تحت ضربات معاولها المتلاحقة دون أن ترأف بقلبه وغير عابئة بجلال اللحظة التي كان يحلم بها، فإذا هي تنقلب عليه بلا رحمة. تركته واقفا غير مصدق بحطام اللحظة الذي ملأت حلقومه وخيالها يمشي مبتعدا رويدا رويدا حتى توارى طيف ملامحها عن الحجب بلا استئذان. وبعد لحظات تاهت فيها أنفاسه، للمم بقايا نفسه وجلس مكانه يتحسس الزمان والمكان ليدرك أين هو. نظر إلى اللاشيء لعله يدرك ما يجري هنا.

استيقظ «صلاح» على أنفاسه المتحشرجة فقد أدرك أنه كان يعيش في كابوس يلعب فيه دور البطولة. تنهد وحمد الله بعد أن اكتشف أن أحداث الكابوس نسج من الخيال كاد أن يصدقه. ولكنه توجس خيفة أن يكون هذا الحلم له علاقة بزيارته غدا لمنزل ياسمين.



الفصل الخامس والعشرون

«ليس المهم من هو شهريار، ولكن المهم هو أنني أنا

شهرزاد».

أصبحت الكافية التي التقى فيها بأدهم والتي هبط عليه فيها وحي شجاعة الاعتراف بحب ياسمين وفكرة النيولوك الذي يليق بها هي المكان المفضل لصلاح خاصة عندما يحتاج إلى الغوص في بحر مشاعره لياسمين أو أفكاره حول مسابقة تطوير كاندليه. حقا، هناك مواقف تحدث للكثير من الناس آلاف المرات وتمر عليهم مرور الكرام دون أن تترك أثرا يذكر، ولكن نفس المواقف قد تحدث مرة واحدة مع بعضهم فتغير من مسار الحياة شاءوا أم لم يشاءوا. وموقف واحد لصلاح على هذه الكافية وجه حياة صلاح إلى مسار لم يكن أبدا يتوقعه.

- كالعادة يا أبو صلاح عمال تفكر وسرحان، ما فيش مرة أشوفك ما بتفكرش، يا بختك بعقلك يا أخي مع أنني باشفق عليه. يا ترى بقى يا سيدي بتفكر في إيه دلوقتي؟ أعتقد يا في ياسمين يا في كاندليه وتطوير كاندليه.

- فعلا يا أدهم، ياسمين دائما في عقلي وقلبي ولا تبرح فكري، ومسابقة تطوير كاندليه أصبحت مسيطرة على فكري فعلا فهي

السبيل إلى بيت ياسمين وإلى مستقبل كانديه ومستقبلي وكذلك مستقبلك. فكيف لا أفكر فيها يا صديقي. ولكني الآن وقبل أن تأتي كنت أفكر في زيارة اليوم لمنزل ياسمين خاصة في وجود أسرة لم أتوقع أبدا أن أراهم ثانية فما بالك أن يقدر الله أن أراهم في منزل ياسمين.

- يا سيدي هون على نفسك وتعامل مع الأمر ببساطة كعادتك، ومن يدري لعل في ترتيب القدر هذا خيرا كبيرا لا تدركه. وبصراحة يا أبو صلاح أنا بثق في وقوف القدر بجوارك جدا حتى في أحلك الظروف، القدر معك يا عزيزي فلا تقلق.

- يا سلام عليك يا أدهم، حقيقي كنت محتاج كلماتك جدا خاصة الآن. فعلا، كم أصبحت أعشق القدر حتى ولو كان قاسيا عليّ طوال العمر الماضي، فيكفيني أنه قدر لي مقابلة ياسمين وحبّي لياسمين وحب ياسمين لي. ما أجمل هذا القدر الذي يعلم عنا كل شيء ولا نعلم عنه أي شيء. وثقتي في القدر هي التي تطمئنني اليوم وهي التي تملأ قلبي بالثقة وهي التي تجعلني أشعر بالسعادة لمقابلة بابا عزيز وأسرته اليوم، فكم سعدت بالخبر من ياسمين مع أنها كانت قلقانة جدا إنها تكون مفاجأة غير سارة. عموما مش هاوصيك تكون عضدا لي في أي موقف اليوم واحنا هناك.

- لا تقلق يا عزيزي، المهم نشرب حاجة دلوقتي ونراجع شروط المسابقة قبل ما نتوجه لمنزل ياسمين. الوقت الباقي على ميعاد التقدم المسابقة قرب ينتهي. وبعدين أنا ما ستبعدش إن ناس كثير

من رجال الأعمال والمهندسين يقدموا لهذه المسابقة لاعتبارهم أنها تورتة كبيرة يجب الفوز بها. ومين عارف يمكن شوقي بيه نفسه يقدم، خاصة أن له سابق خبرات.

- والله يا أدهم احنا نعمل إللي علينا ونقدم مشروع ابتكاري ونترك الباقي على الله. وبعدين يا سيدي مش إنت لسه قايل إنك واثق في وقوف القدر بجانبني، خلاص اطمئن، هانفوز بيها، وكمان أنا وياسمين وشنا حلو عليك.

- طبعا، ومش وشكوا وبس وتفكيركم كمان. أنا متفائل جدا خاصة إنني متأكد أن معظم المشروعات المقدمة هاتكون تقليدية وتحصيل حاصل نظرا لأن كل مرة يحصل فيها مناقصة لتطوير كاندليه ويرصد لها مبلغ كبير، وينسى الجميع الأمر وكأنه ما كان مما جعل الناس تعزف عن تلك المناقصات أو على الأقل عدم الاهتمام بها.

- فعلا، دي حقيقة يا أدهم. احنا في كاندليه سمعنا كثير عن أخبار صحفية عن تطوير المنطقة ولكن بلا جدوى، مجرد أخبار إعلامية وقت اللزوم. ولكن قلبي حاسس هذه المرة بأن الموضوع جاد جدا والدليل على ذلك إن تم عرضه كمسابقة وليس مناقصة.

- أكيد أكيد، وعلشان كده أنا مهتم جدا بهذا المسابقة وواثق من وقوف القدر معنا في الفوز بها. فالقدر الذي يخطط لثلاثتنا أن نتقابل وبهذه الطريقة مؤكداً يخطط لشيء أكبر بكثير لنا نحن الثلاثة.

- أنا سعيد جدا بحالة التفاوض المحلقة علينا يا أدهم، يارب دائما
تفاوض. إيه رأيك نبتدي الشغل؟ قدامنا ساعتين قبل ميعاد زيارتنا
ليبت ياسمين. تعالى على الطاولة هناك في الركن الهادي ده
علشان نعرف نركز.

ومرت ساعتان كاملتان شحذ فيها كل من «صلاح» و «أدهم» أدوات
التفكير دون توقف لتتهال الأفكار الابتكارية من قنوات عقل كل منهما
على الورق المفرد على الطاولة حتى امتلأت بالأفكار غير التقليدية
حول كيفية تطوير كاندلية بأسلوب يُبقي على بصمة كاندليه ويضيف
بصمة المدنية والتحضر بأقل الإمكانيات ولكن بأرقى الأفكار. وصلا
إلى الصيغة الشبه نهائية للمقترح واتفقا أن يجتمعا مع ياسمين وشيخ
الجامع في يوم آخر وليس اليوم كما كان مخططا. فاليوم ستكون ليلة
ساخنة في منزل ياسمين.

- أعتقد الوقت يدوبك يا صلاح نشتري ورد ونطلع على طول على
ياسمين، هانكتب الكارت إللي على الورد باسمنا احنا الاتبين
ليكون أول ورد في شراكتنا وبداية كلها ورد إن شاء الله.

- ماشي يا صديقي ، وعقبال ورود افتتاح تطوير كاندلية بعد سنة
من الآن.

- إن شاء الله يا صلاح، يالا بينا.

ركب صلاح السيارة مع «أدهم» وقلبه يرتجف من مقابلة -ليس
فقط أسرة ياسمين وخاصة شوقي بك- ولكن أيضا أسرة عزيز. وكأن
القدر يريد أن يختبر صلاح في كل خطوة يخطوها.

بهو الفيلا مليء بالورود رائعة الجمال والتي أضفت على المكان رونقا وبهاء جعل من أركان البهو قطعة من الجنة تتناثر على أرضها الناعمة أثاث فاخر ينتظر الضيوف المهمين كما يسميهم «شوقي» بك، والذي ينادى زوجته من حين إلى حين لتتفقد الخادومات، وبأن كل شيء قد سبق التحضير له على أكمل وجه.

فوجئت «ياسمين» بهذا المنظر الخلاب للبهو، الذي بقدر ما أسعدها بقدر ما أوجس في قلبها خيفة بأن يشعر صلاح بعدم الراحة عندما يرى كل هذه البهجة. تساءلت في نفسها: أهذه البهجة مقصودة لكي تريك صلاح وتشعره بالدونية أم هي مجرد ترحيب زائد بالضيوف المهمين. لم تنتظر من نفسها أي إجابة، فلا يهم إذا كانت الإجابة لهذا أو ذلك، بل المهم هي أن تستقبل الضيوف مع والدها حتى يأتي صلاح لتكون عينها عليه تحيطه بحبها واهتمامها دون الآخرين حتى ولو تطلب الأمر أن تُظهر ذلك أمام الجميع خاصة في وجود عزيز بك الذي يجب أن يدرك الجرم الذي فعله في حق صلاح، مرة عندما ضمه إلى أسرته كابن يستمتع ببنته دون أن يُعلمه مخاطر ذلك في المستقبل إذا حدث ما لا يُحمد عقباه من انفصال لأي سبب من الأسباب. ومرة أخرى عندما تركه يخرج من بيته عندما طالب «صلاح» بذلك فور شعوره بالمهانة والفرق في المعاملة، فقد أصبح ابنا احتياطيا ويجب أن يعتزل بعد أن أنهى مهمته في اللعب. بل كان على عزيز بك آنذاك أن يتمسك بصلاح أيما تمسك حتى لا يضيع وهو ما زال في منتصف الطريق. أنانية عزيز بك وعدم اكتراثه بصلاح حينئذ

جعل صلاح يعود إلى حيث أتى من فقر وجهل واحتياج بعد أن كان ملء السمع والبصر في مدرسته الإعدادية والثانوية في مدارس لغات وسط أولاد أرقى المجتمعات. يا ترى فكر عزيز بك أو زوجته أو ابنه يوماً ما في صلاح بعد أن هجر الفيلا، كيف يعيش، وأين يدرس، وماذا يفعل. لم يحدث ذلك أبداً خلال السنوات التي مضت على ترك صلاح الفيلا والمدرسة الفخمة. يا ترى هل سوف يتعرف عزيز بك وأسرته على صلاح بعد كل هذه السنوات. أسئلة دارت بذهن ياسمين وهي تهبط درجات سلم البهو وعيناها تتنقل بين الورود.

بدعابة وحنان وحب الأم: رائعة يا ياسمين وإنّ نازلة تتبخترني من على السلالم وعيونك الحلوة على الورود والإبتسامة إल्ली تجنن وتخطف القلب على شفايفك وخدودك، أميرة بنت أميرة. وبضحكة هادئة تمتلئ بحنان الأم: يا ترى الإبتسامة والسعادة إल्ली في عيونك من فرحتك بالضيوف المهمين ولا الضيوف الحلوين؟

وبإبتسامة كلها دلع وشقاوة بنات: بصراحة يا ماما أنا سعيدة جداً وطايرة من الفرح بالضيوف الحلوين وبرضه بالضيوف المهمين لأنهم لهم علاقة بالضيوف الحلوين.

- شوفي يا ياسمين، أنا أمك وأفهم نظراتك وهمساتك وتغييراتك وتغييراتك، أنا حاسة إن فيه حاجة بينك وبين صلاح، إما إعجاب أو حب. صحيح ولا إحساسي هايكذبني؟؟ قوليلي الحقيقة قبل بابا ما ينزل علشان الضيوف المهمين.

- بصراحة ياماما، أيوة أنا فعلا معجبة بصلاح وحببته لأنه إنسان رائع بكل معنى الكلمة، إنسان يحمل الطيبة والإخلاص والذكاء والثقافة ولكن في ثوبها البسيط.

- بس ده تحول كبير في شخصيتك ونظرتك للحياة يا ياسمين وضد تطلعاتك! إيه إللي حصل ليك؟! وبعدين إنت عارفة موقف بابا. أنا عن نفسي أهم حاجة طريق سعادتك أيا كان ممهد أو كله مطبات.

- فعلا هو تغير كبير في شخصيتي وفي وقت قصير.. ولكن أنا سعيدة بهذا التحول جدا. عموما أنا هاحكيلك على كل حاجة بعدين، لكن النهاردة أنا متوقعة مفاجأة تحصل في وجود الضيوف المهمين والحلوين، مفاجأة ممكن تغير رأي بابا في الطرفين.

- إيه هي المفاجأة دي يا ياسمين؟! قلتيني وشوقتيني. أنا مش عايزة مشاكل وشغل عيال قدام الناس.

وبضحكة كلها شقاوة: يا ماما مشاكل إيه بس، دي مفاجأة حلوة وها تبقى أمسية جميلة.

وقبل أن تنهض لكي تجلس بجوار ياسمين لتضغط عليها لتعرف المفاجأة، سمعت صوت شوقي بك وهو يهبط سلالم البهو: مالكم فرحانين كده، يارب أشوف الفرحة دي قدام الضيوف المهمين، هما على وصول حالا.

جرت «ياسمين» إلى والدها تغازله: إيه الحلاوة دي كلها يا أجمل أب في الدنيا.

- حلاوة إيه يا بكاشة، إنتى الحلاوة كلها وشمس وقمر ونجمة الليلة، أنت أحلى ما فى الحياة. عايزك تتألق النهاردة يا جميل وأشوف الفرحة دي على وشك على طول.
- أكيد يا بابا. وبابتسامة كلها دلح وطفولة: هاتبقي ليلة ولا كل ليلة، ألف ليلة وليلة وأنا شهرزاد .
- طبعا إنت شهرزاد حتى وإنت فى بطن أمك لسه، المهم مين شهریار؟
- مش مهم مين شهریار يا سي بابا، المهم إني أنا شهرزاد شوقي، وأي حد ها يرتبط بي أكيد ها يكون شهریار. ما تقلقش يا بابا يا حبيبي.
- أنا مش قلقان، أنا خايف يا ياسمين.



الفصل السادس والعشرون

«عذرا أيها القدر، لم أعد أفهم شيئا من أحداث الحياة

المتناقضة»

ومع أن الساعة السابعة مساء، والمتوقع وصول صلاح وأدهم وشيخ المسجد الساعة الثامنة، إلا أن قلب ياسمين خفق عندما سمعت جرس الفيلا يبدق، وازدادت ضربات قلبها لكون مراسم اللقاء مع أسرة عزيز بيه وبعده أسرة كاندليه سوف تبدأ الآن بالتوقيت المحلي لبرنامج والدها. ظلت جالسة بجوار والدها ووالدتها وعيناها معلقة على الباب لترى من القادم. أسرعت الخادمة تفتح الباب وترحب بالقادم والذي كان كما توقع عزيز بك وأسرته التي جاءت في الميعاد وفي يد كل منهم صندوق مغلف بتصميم جميل، واضح أنه هدية.

وما إن فتحت الخادمة الباب وهلّ وجه عزيز بك حتى نهض شوقي بك بسرعة ليرحب بالضيوف المهمين: أهلا أهلا عزيز باشا، الفيلا نورت ببيكم، أقدم لكم المدام وابنتي وأميرتي داليا وبناديهما ياسمين، يعني كلها ورود وعطر، وحببية باباها.

- فرصة سعيدة جدا شوقي باشا وسعيد جدا بقبول طلبنا للزيارة، وأقدم لكم المدام.. وهذا ابني صلاح.

وما إن سمع شوقي بك اسم صلاح حتى امتعض، ولكنه حاول جاهدا أن يكتم ويداري هذا الامتعاض، وكانت ياسمين تتابعه وتحاول هي الأخرى أن تكتم وتداري ضحكتها وإشفاقها على والدها ووقع اسم صلاح على مسامعه، وكأنه يحدث نفسه: هو صلاح ورايا ورايا، يعني مالقتوش إلا الاسم ده بالذات!! وبالطبع كانت هذه أولى فقرات مفاجآت هذا المساء.

وفي ترحاب مد «شوقي» بك يده إلى عزيز وأسرته لتبادل السلامات: اتفضل عزيز باشا، دي فيلتنا المتواضعة، والديكور فيها على ذوق ياسمين، إيه رأيكم في هذا الذوق الراقى؟

- طبعا عزيز باشا، اللمسات النهائية للديكور تتم عن ذوق عالي ورفيع، تناسق في الألوان على الجدران والأنتيكات والأثاث.. كل شيء رائع ومبهر، أشعر وكأنني في بهو حديقة. يسلم ذوقك ياسمين هانم، مؤكد علم الاجتماع له انعكاسات إيجابية على الفكر الراقى للإنسان.

- شكرا عزيز بيه على مجاملة حضرتك، هو بس بابا بيشوف أي حاجة أنا باعملها جميلة، والحقيقة إن ده مش ذوقي لوحدي هو مزيج من أفكار شاركني فيها أصدقاء لي منهم واحد مش متخصص ولكن أفكاره هائلة وبتعجبني جدا، والثاني مهندس ديكور وهو إللي نفذ الأفكار بذوق عالي، فسعيدة جدا إن ذوقنا عجب حضرتك.

- واللّه ذوقك عالي جدا يا ياسمين إنت وأصدقائك وياريت أتعرف عليهم، ده أنا محتاج أجدد ديكور الفيلا والعوامة الأيام دي بس بعد ما تشرفونا بالزيارة طبعاً عن قريب.

- أكيد يسعدني ويسعدهم عزيز بيه، ولحسن الحظ هما جايين النهاردة في زيارة، وأعتقد في هذا التوقيت وحضرتك والأسرة الكريمة موجودين. قالت «ياسمين» هذه العبارة وكأنها تمهد للجزء الثاني من فقرة مفاجآت اليوم كما أرادت وتوقعت وخاصة أن مسار الحوار يساعدها كثيراً، وكأن القدر يقف بجانبها ويعضدها بكل سهولة.

وهو يحاول أن يداري ويكتم غضبه للمرة الثانية، حاول «شوقي» بك أن يغير مسار الحديث وبسرعة قبل أن يرد عزيز بك على ياسمين، ويتطرق الحديث إلى أدهم وصلاح: أنا شايف يا عزيز باشا إنه ما فيش داعي للألقاب بيننا، ده احنا بقينا أصدقاء خلاص وعيلة واحدة.

- طبعاً طبعاً شوقي باشا وبكل سرور، أنا لا تهمني الألقاب على الإطلاق، فليتاديني عزيز، بس بشرط، وهو إن ياسمين تتاديني بعمو عزيز بس..

- ده يسعدني جدا وأكيد ياسمين كمان، بس برضه بشرط، إن صلاح يناديني بعمو شوقي وكده نبقى خالصين. قالها «شوقي» بك وهو يتفلسف الصعداء ناظراً بابتسامة إلى ياسمين، وكأنه يرد لها الصاع بصاع على ما نوهت به من أن صلاح وأدهم قد ساعدها في

تصميم الديكور مما يعكس نيتها على إقحامهم في المناقشة كلما تحين الفرصة.

ضحك «عزيز» ضحكة تعكس راحة اللقاء والود الكبير الذي يظهره شوقي بك تجاهه وتجاه أسرته خاصة صلاح مما يدل على نية طيبة وموافقة مبدئية على ارتباط ياسمين بصلاح، مما شجعه على البدء في التتويه على سبب الزيارة: إيه رأيك يا ياسمين في الشرط الحميد بتاعي؟

وبضحكة كلها ذكاء وثقة في النفس: طبعا طبعا عزيز بيه هو أنا أطول ده شرف ليا إني أقولك يا عمو، ولكن حضرتك تبان أصغر من سنك بكثير، فأنا هانكسف جدا أقول عمو، خيليني على راحتني لحد ما تيجي لوحدها. وبذلك تكون ياسمين ردت إلى والد لها الصاع بضحكة طفولية وغمزة بالعين له دون أن يلحظ الضيوف. وهنا تأكد لشوقي بك أن ياسمين قد قررت عدم الارتباط بصلاح عزيز.

وهنا تدخلت سيدة البيت: مش بس ذوقها العالي في الديكور، ياسمين بنتي ذوقها عالي في كل حاجة. يكفي أنها قارئة جيدة وكاتبة جيدة وبتعزف بيانو وكمان طبخة ماهرة.. ياسمين صاحبة ذوق في كل حاجة، ياسمين هي الحياة لينا يا عزيز بيه، وأكد صلاح ابننا ذوقه عالي.

وبسرعة التقط صلاح الخيط من والده ياسمين ليتدخل في الحديث لعله يستطيع بدء حوار مع ياسمين التي زاد إعجابها بها الآن

أكثر مما قبل، وليس يدري لماذا: واضح إنك موسوعة يا ياسمين، أنا شوفتك كتير في الكلية ولكن لم يشأ لي الحظ أن نتحدث، ولكن الآن أجدك كما توقعت عذبة الحديث وذوقك عالي جدا. أنا كمان عاشق للعزف على البيانو والقراءات الأدبية. ممكن أعزف قطعة موسيقية بمناسبة هذا اللقاء الجميل الذي أشعر فيه أنني واحد من العائلة؟

ارتسمت على شفتي عزيز بك ابتسامة كلها ثقة بالنفس وبابنه الذي يتحدث بأناقة تناسب المناسبة وهندامه المتأنق ووسامته الأنيقة، فظهر كل شيء في صلاح متألقا. وبالطبع رد شوقي بك بابتسامة كبيرة فيها انشراح، وكله أمل أن تؤثر كلمات صلاح الجميلة في رأي ياسمين، ولعلها تتجذب إليه.

- أنا سعيدة بمعرفتك جدا د. صلاح خاصة أننا في جامعة واحدة، وإن شاء الله تزداد العلاقة ونصير أصدقاء أهل وعمل. يا ترى بتقرأ أي نوعية في الأدب؟

- أنا عاشق للأدب المترجم وكذلك الأدب العربي القديم وبعض كتاب العصر الحديث وعلى رأسهم توفيق الحكيم، نجيب محفوظ، إحسان عبد القدوس وأنيس منصور. ومن أكثر الروايات العالمية التي أثرتني رواية البؤساء لفكتور هوجو. هل قرأت البؤساء؟ إنها من أعظم وأشهر روايات القرن التاسع عشر.

- واو، لم أكن أتصور أبدا أن صلاح عزيز يقرأ روايات مثل البؤساء خاصة أنه يعيش عيشة الأغنياء. أنا صحيح لم أقرأها ولكن

سمعت عنها وقرأت ملخصها منذ زمن.. شغلتي الحياة ولم أقرأها للأسف. أنا أعرف أن تعبير «البؤساء» تعبير فرنسي له معنيان، إنه يعني: «ناس يعيشون في بؤس»؛ ويعني أيضا: «ناس يعيشون خارج المجتمع وفي فقر مدقع». يا ترى ماذا دفعك إلى قراءة هذه الرواية؟

- فعلا يا ياسمين البؤساء تعد من أشهر روايات القرن التاسع عشر، يصف فكتور هوجو وينتقد في هذا الكتاب الظلم الاجتماعي في فرنسا بين سقوط نابليون في 1815 والثورة الفاشلة ضد الملك لويس فيليب في 1892. يصف فكتور فيها طبيعة الخير والشر والقانون وكيف يولد الفقير ويصبح سارقا ثم كيف يتحول صالحا إذا أنار له الطريق إنسان صالح. إنها الرواية التي تصف أن الخير والشر يتحركان في الإنسان ويتصارعان حتى يهدأ أحدهما ويسقط الآخر في النهاية. وحقيقة الأمر كان لي صديق بمثابة الأخ غير الشقيق هو الذي أحببني في القراءة جدا وخاصة هذا النوع الاجتماعي الذي فهمت منه الجانب الآخر من الحياة. وأنا أدين له بالفضل في هذا النوع من القراءة حتى الآن. وعلى فكرة، هو الآخر كان يكتب وأسلوبه رائع وحاولت أقلده ولكني فشلت. وعلى فكرة كان اسمه صلاح هو الآخر.

- وماذا حدث له إذا كان مثل أخيك؟ لماذا تتحدث عنه بزمن الماضي؟ واضح إنكم كنتم مرتبطين ببعض.

وهنا تدخل «شوقي» بك وزوجته في الوقت نفسه حتى لا يستفيض صلاح عن هذا الصديق ويفسد الجلسة والهدف منها، خاصة أن هذا ليس وقته تماما: يا صلاح، ممكن تعزف قطعة موسيقية على البيانو، أكيد هاتعجب ياسمين والأسرة، وأهي فرصة كمان نسمعك لأن بقالك كثير ما عزفتش. إيه رأيك يا عزيز بك ورأيك يا هانم؟

- طبعا يسعدنا جدا. وأهي فرصة نسمع ياسمين هي كمان. ولا أقولكم، احنا نقترح على ياسمين وصلاح يعزفوا قطعة واحدة سوا. إيه رأيكم يا ولاد؟

وعلى الفور رد «صلاح» بالإيجاب، وتمنى أن تأخذه يا سمين من يديه وتصطحبه ليعزفا مقطوعة لبيتهوفن سويا، قطعة من العشق الصارخ، أو قطعة لعمر خيرت من العشق الناعم الذي يرقص على أهداب من حب وخمائل من عشق.

وافقت «ياسمين» بالإيجاب بلمحة من رأسها، ولكنها تمنى أن يكون معها الآن صلاح كاندليه لتعزف له قصيدة حب أفلاطونية على دقات قلبها وصوت أنفاس شهيقتها. تمنى لو تعزف معه فطالما أخبرها بأنه تعلم العزف في بيت عزيز بك، وتعلم الرسم وتعلم الكثير من الأشياء التي تاهت أو نامت أو احتضرت بداخله. كم تمنى أن تشاركه العزف لعله يعود إلى خيالاته وأحسن حالاته في الأدب والموسيقي واللغة والرسم. تمنى أن يكون هنا الآن، ولكنها سوف تعزف مع صلاح عزيز وكأنه صلاح كاندليه. على الرغم من الامكانيات العائلية والوظيفية والشخصية الهائلة التي يمتلكها صلاح عزيز إلا أن صلاح كاندليه

هو العاشق وهو المعشوق، هو الحبيب وهو المحبوب. هو الرجل الذي تحمل عنفوان بؤس الحياة وتقلباتها وبلا اشمئزاز. صحيح أنه لم يحاول تكملة تعليمه في العام الأخير من الثانوية العامة ولكنه معذور فقد كان وقتها مثل الماء الذي يجري في نهر الحياة ثم تجمد فجأة بلا حراك نتيجة لصقيع الحياة المفاجئ.

- إيه يا ياسمين، رحتي فين بأفكارك، يلا بينا نعزف على البيانو.
- أوك، اتفضل.. تحب نعزف إيه سوا.
- لو حافظة مقطع النهر الخالد للموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب، أنا بحبها جدا.
- طبعا طبعا، دي من التراث الجميل وبحبها جدا لأنني كنت باعزفها وأنا في المدرسة. واضح إن ذوقك حلو يا دكتور صلاح.
- ياريت ما فيش داعي للرسميات، احنا زملاء، والآن ياريت تقبليني صديق.
- بلاش استعجال يا دكتور، احنا لسه عارفين بعض، كل شيء بأوان. يلاً نعزف النهر الخالد، ففي الحياة كثير من الأنهار الخالدة التي تمدها بالماء والحياة بلا توقف وبلا ثمن.

امتلاً البهو بأنغام النهر الخالد التي رقصت معها أنامل الأسرتين في نشوة وفرحة كبيرة، وصلاح وياسمين يستمتعان بهذا الجو الموسيقي الرائع الذي جعل من اللقاء تعارف حيني سعد به شوقي بك أيما

سعادة وتمنى من كل قلبه أن يُتوج هذا الحوار وهذا العزف بتفاهم حميم بين ياسمين وصلاح، ولكن قلبه ورغم كل هذا الانبساط والانسجام ما زال يتوجس خيفة من ياسمين وميولها تجاه صلاح كاندليه، ومخافة أن هذا الانسجام الذي يراه هو مجرد ثقة بالنفس أو بعمد منها للتأكيد على الفصل بين الحب والإعجاب.

صفق الجميع بإعجاب كبير لهذا الثنائي الرائع الذي جعل من الموسيقى أداة ربط بين العقول، وليتها أيضا أداة جزم لتوطيد هذا الانسجام والتواصل إلى ارتباط وخطوبة وزواج، فقلما يحدث حوار راق وفعال مثل هذا بين شاب وفتاة. ثم دعا «عزيز» بك أن يُتوج هذا اللقاء بقراءة الفاتحة بل القرآن.

- رائع يا ياسمين، عزفك ونظراتك أثناء العزف وانفعلاتك الموسيقية رائعة، تخطف القلب وتحرك الوجدان، هنيئا بمن سوف ينال شرف القرب منك والارتباط بهذا القلب الجميل والعقل المستتير. وبضحكة عالية أراد أن يمهد بها دعابة مقصودة تمهد للموضوع الذي أتى له اليوم: يا ليتني كنت صغيرا مثلك، كنت تمنيت وهولت لطلب يدك من شوقي بيه لأنال شرف القرب. ولكن صلاح ابني..

فهمت «ياسمين» ما وراء هذه المقدمة التي صدرت من عزيز بك. أسرع وقبل أن يسترسل في الحديث عن صلاح ابنه ورغبته في الارتباط بها في تغيير مسار الحوار برشاقة ودكاء حتى لا تضطر أن تجيب فيدخل الحوار رغما عنها إلى طريق يهدم المفاجأة الكبرى عند لقاء عزيز بك بصلاح كاندليه بعد نصف ساعة من الآن. فلتمر هذه

النصف ساعة في هدوء من خلال الحديث في مواضيع عامة حتى يأتي أدهم وصلاح والشيخ. ومع أنها تتمنى أن يأتوا الآن إلا أنها تريد أن تمهد للقاء أكثر وأكثر. ومع أنها وجدت صلاح عزيز شخصية مثقفة وسهل المراس إلا أنها لم تشعر تجاهه بأي مشاعر تخطف قلبها الذي أغلق بابه بالضربة والمفتاح بعد أن دخله صلاح كاندليه. وقررت أن تستأذن لدقائق إلى التواليت لكي تتصل بأدهم وتخبره عن علاقة صلاح القديمة بالأسرة الموجودة حاليا بالفيللا ونيتهم وطبيعة المفاجآت المتوقع حدوثها عند لقاء السحاب هذا. أرادت أن تخبر أدهم بهذا قبل أن يأتوا حتى يكون على علم هو والشيخ ليعضدوا موقف صلاح، مع أنه يعلم بمجيء عزيز بك وأسرته. ولكنها غيرت رأيها وقررت ألا تترك هذا اللقاء ولو لدقائق حتى تستطيع التدخل في أي لحظة يحاول فيها عزيز بك أو والدها إلى فتح موضوع الارتباط. وعموما، مؤكداً أن صلاح سوف يخبر أدهم والشيخ وهم في الطريق عن حياته السابقة مع عزيز بك.

ردت ياسمين بسرعة وبضحكة: أي بنت تتمنى الارتباط بك يا عزيز بيه، اللي يشوف حضرتك وصلاح يقول إن إنتم أشقاء. أنا العزف الموسيقي للنهر الخالد مع صلاح حرك في دوافع لقراءة رواية البؤساء التي أشار إليها صلاح. يا ترى إيه رأيك يا بابا في الرواية دي؟ إزاي لم أقرأها حتى الآن!

اغتاظ «شوقي» بك كثيرا من ياسمين وهي تدير وتتحكم في حوار واتجاه اللقاء كما تشاء لتبعد الحوار عن الهدف الأساسي من الزيارة.

كم أنت ذكية ورائعة يا ياسمين ومع أنني حانق عليك الآن إلا أنك تجعليني فخورا بك، آه منك يا ابنتي الحبيبة، أتعبت قلبي وعقلي: الرواية رائعة يا ياسمين بالتأكيد وتعلمنا أن كل إنسان يجب ألا يعيش في جلاب غير جلابه الذي فُصل له حتى لا يتعري في النهاية. فالبطل في هذه الرواية سجن لاتهامه بالسرقة ولكنه هرب وسرق ثم تنكر في شخص جديد حتى أصبح عمدة المدينة، ثم تطورت الأحداث ليعود إلى السجن مرة أخرى، وبهذا يكون قد قضى على نفسه مرتين. هذا هو رأيي يا ياسمين، فأحيانا تحلو الحياة في أعيننا كما نريد ولكن ليس كل ما نريد يحقق لنا السعادة المستديمة بل من الممكن أن يؤدي إلى الشقاء في النهاية.

- أتصور يا بابا إن الأحداث في هذا الرواية وكما سمعت كانت كلها تشير إلى الظلم البين الذي وقع على البطل قبل أن يسجن وبعد أن خرج وكيف أن الظروف الاجتماعية والمالية التي يعيشها الفقراء ويصنعها الأغنياء هي التي تظلم كثيرا من الناس مثل بطل الرواية، فمع أنه سرق مجرد رغيث عيش ليأكله إلا أنه سُجن تسع سنوات!! وهناك الكثير من الروايات التي تعيش حوالينا هي ذاتها أحداث رواية البؤساء. ولا يخفى على أحد، المناطق العشوائية الفقيرة مثل كاندليه التي فيها آلاف البؤساء.

فوجئ «عزيز» بك بياسمين تتحدث عن كاندليه فتذكر صلاح، ارتعشت يداه وشعر فجأة بغصة في قلبه وتمنى لو أن ياسمين لم تطرق إلى هذا الحديث الآن، وحاول أن يرد ويغلقه ولكنه توقف، ولم

تعلق زوجته هي الأخرى طالما لم يرد هو. لاحظ «عزيز» بك احمرار وجه شوقي بك وعلامات الانفعال التي يحاول كتمانها وهو ينظر إلى ياسمين باندهاش، ولكن لا يعرف ما سر هذا الانفعال المكتوم لشوقي بك، ولكن قد يكون عدم رضاه أن تتحدث ياسمين عن منطقة لا تليق بمقامها، فتفهم موقفه وأشفق عليه وتدخل بسرعة لكي يغير مجرى الحديث: ويا ترى ماذا عن كتاباتك أنت وقراءاتك يا ياسمين، ممكن نسمع منك حاجة؟

تدخلت الأم بغضوية: طبعا ياسمين قارئة ممتازة خاصة في الفترة الأخيرة، ياريت تقرئي حاجة يا ياسمين بصوتك الرقيق كما عودتيني عندما نخلوا سويا .

- طبعا طبعا، من عيوني ماما حبييتي. وكان والدتها قد أهدتها لحظة تاريخية لم تكن تتوقعها، فقررت على الفور أن تستجيب لها بقراءة قطعة من الرواية التي كتبها صلاح والتي لم تكتمل نهايتها بعد: أنا هاقرأ ليكم نصا صغيرا من رواية قرأتها وياريت تقولولي رأيكم: «دون أن يدري خلع الطفل نعليه من الفرحة التي هبطت عليه من السماء عندما أخبرته أمه التي تمشي بجواره أنها وجدت الطريقة التي سوف تستطيع بها أن تلحقه بالمدرسة كباقي أقرانه. خلع الطفل نعليه تعبيرا عن الفرحة وأطلق سيقانه تسابق الريح في عفوية وطفولة بريئة حتى ابتعد عن أمه وأيضا دون أن يدري. نادته الأم ليعود، ولكنه استمر في الجري تعبيرا عن فرحته الكبرى ولكي يفاجئ أقرانه بهذا الحدث. جرت وراءه الأم خوفا عليه، ولكنها وقعت على الأرض الوحلة

ولم تستطع النهوض. وبعد ساعتين قضاها الطفل مع أقرانه في حالة من الزهو بخبر إمكانية التحاقه بالمدرسة على الرغم من أن أقرانه قد سبقوه بعامين، عاد إلى البيت ليجد أمه ممددة على حصيرة وضعت سلفا على أرض الغرفة الوحيدة والتي لا تقوى على النهوض ولا على الحديث؛ فقد أصيبت بكسر في إحدى ساقها التي تستخدمها في العمل في البيوت من أجل استمرار الحياة. بكى الطفل واحتضن أمه التي ذرفت دموع الحزن على خديها تحسرا على فرحة في قلب ابنها، فسوف تؤجل إلى عام آخر أو تموت إلى الأبد...». إيه رأيكم في هذا النص والحوار والمعاني التي وراء النص؟

ابتسمت والدة ياسمين ابتسامة حاولت إخفائها ولكنها لم تستطع، وتمنت لو لم تسأل ياسمين أن تقرأ شيئا، فلم تكن تقصد بالطبع أن تقرأ رواية صلاح التي لم تكتمل بعدما أخبرتها ياسمين. مؤكداً أن شوقي سيغضب عليها لو علم أن هذه القطعة من رواية صلاح. ياليتهم لا يسألوا عن الكاتب. آه منك يا ياسمين تستقيدين من كل موقف لإظهار إمكانات صلاح كاندليه.

وفي مجاملة لياسمين ردت والدة صلاح عزيز التي لم تتحدث كثيرا منذ وصولها بل آثرت الصمت ومعاينة كل شيء في البهو، من الباب إلى السلم، تنتقل عيناها من الأثاث إلى التحف إلى السجاد إلى اللوحات وكأنها تُعين وتُتمن كل قطعة، أو كأنها تريد أن تكتشف ثراء الأسرة، أو تريد أن تقارن بين ما لديها وما لديهم: هي قطعة جميلة فعلا. وبابتسامة باهتة وخافتة قالت: بس أنا مش فاهمة الولد خلع حذاءه ليه وجري ليه؟؟!!

ضحكت «ياسمين» وضحك معها عزيز بك الذي لم يستطع أن يقضم أو يخفي ضحكته، ولكنه رد بسرعة حتى لا تظهر ضحالة ثقافة زوجته: طبعاً إنت كنت عايزاه ما يقلعاش أبدا.. بس دول يا زوجتي العزيزة ناس بسطاء فكويس أساسا إنه كان لابس حذاء، وكويس إنه خلعه علشان ما يتقطعش؛ لأنه لو انقطع مش هاعرف يجيب واحد تاني.

- الله عليك يا عزيز بيه، هذا ما أراده الكاتب وهذا ما أردت أن أقوله من هذه القطعة، بالذات لأن الكاتب أراد أن يبين للقارئ أن هناك ظروف قدرية يولد بها المرء تقف حائلاً بينه وبين تحقيق ما يتمناه مثله مثل الآخرين حوله ممن يراهم كل يوم ولا يستطيع مجاراتهم ببساطة لأنهم ولدوا في ظروف قدرية مختلفة. ولا أیه رأيك يا صلاح؟

- القطعة أعجبتني فعلاً يا ياسمين وأتمنى قراءة الرواية كاملة لأن الكاتب واضح إنه مثقف جداً وواعي لتوظيف الكلمات وما وراءها من معانٍ فهذه القطعة الصغيرة لوحدها تكفي لأن تكون قصة قصيرة تحمل معاني كبيرة كالتالي في البؤساء. ولكن يا ترى من كاتب هذه الرواية؟

- هذه رواية أحببتها جداً يا صلاح بل عشقت كل كلمة فيها لإحساسي بكلمات الكاتب. رواية لكاتب مغمور يكتب لنفسه وليس للآخرين ولكني أقتنعه حديثاً أن ينشر ما يكتب ليستفيد الناس من كتاباته الجميلة والنابعة من أحداث الحياة. هو صديق تعرفت

عليه حديثا ومؤكدا أنني سوف أعرفك عليه لتصيرا أصدقاء ومؤكدا أنه سوف يسعد جدا بصداقتك وروحك الطيبة وعقلك المثقف وحسك العالي. ومن يدري لعله يصل وأنتم هنا لتكون فرصة جميلة للتحدث معه.

تعجب «شوقي» بك من كلام ابنته، من تعني بهذا الكلام، هل يعقل أنها تعني صلاح!! هل يكتب صلاح؟! لا يمكن، مؤكدا أنها تتحدث عن أحد آخر في الكلية معها أو عن أدهم. وهم أن يسألها، من تقصدين يا ياسمين بهذا الشخص ليطمئن قلبه بأنه ليس هو صلاح كاندليه، ولكنه أثر السكوت حتى لا يكون شكه في محله ويتحول الحديث من صلاح عزيز إلى صلاح كاندليه: أه منك يا ياسمين، ما زلت تمتلكين ناصية الحوار، لست أدري هل أغضب عليك أم يزداد فخري بك. هكذا كان يفكر في نفسه وهو ناغم أشد النعمة على ابنته ياسمين.

وهنا أدركت «ياسمين» الصراعات التي تدور في عقل شوقي بك، فبادرت بسؤالها: إيه رأيك يا بابا في القطعة دي؟ أنا عارفة إنك مثقف وذواق للأدب.

- واللّه يا ياسمين هي قطعة جميلة بتظهر واقع لن يتغير حتى يوم القيامة إلا من رحم ربي. وبعدين هو احنا قاعدين في صالون ثقافي النهاردة ولا إيه؟! احنا عايزين نتكلم عن بعض شوية وكمان عايزين نشرب حاجة يا ياسمين وفيين حلوياتك الشرقية الجميلة. وتمنى «شوقي» بك أن تطاوعه ياسمين وتذهب لإحضار المشروبات والحلويات، ولكنها قطعت تمنياته بنداؤها الخادמות ليحضروها

من المطبخ مع أنها لا تفعل ذلك في الأوقات العادية؛ فهي حريصة ألا تترك المكان حتى لا يتغير مسار الحديث.

- يا عمو شوقي، الحديث رائع وأنا سعيد جدا بحديث اليوم وخاصة حوار ياسمين.. كم هو رائع وثرى ومفيد، كم هو ألد من المشروبات والحلويات الشرقية بكل أنواعها. يا ليتنا نتحدث عن المزيد.

اشتاط غضب «شوقي» الدفين وكتمه وتمنى لو يسكت هذا الشاب الذي لا يعرف ما وراء ياسمين وكيف هو واضح أنها تريد إفساد سبب الزيارة ولكن بطريقة حليلة وذكية، بل هي تستخدم كل فرصة لتمهد لقدوم صلاح الذي قد يأتي الآن في أي لحظة، وهم بالطبع لا يعرفون أن ابنتي قد جنت ووقعت في حب صلاح آخر، صلاح كاندليه. إنه جنون أن تترك صلاح عزيز بكل فتوته العائلية والمالية والوظيفية والثقافية، بوسامته وأدبه الجم، وتتمسك بصلاح كاندليه، الشاب الصعلوق الذي ليس لديه أي شيء سوى جميل قدمه لها وانتهى الأمر! عذرا أيها القدر، لم أعد أفهم شيئاً من أحداث الحياة المتناقضة.

فوجئت ياسمين برسالة من صلاح يخبرها بأنه على وشك الوصول إلى باب الفيلا، وبأنه حكى لأدهم والشيوخ كل تفاصيل حياته السابقة مع عزيز بك، وهم متفهمون موقفه، وعضدوا مجيئة ليقابل أسرة عزيز بك بلا حرج. شعرت ياسمين بأن ساعة الصفر قد حانت. وبالفعل لم تمضي دقائق حتى دق جرس الفيلا فاتجهت أنظار الجميع ناحية الباب ما عدا ياسمين التي كان عقلها وقلبها معلقين هناك مع يديها وهي تجري نحو دقات الباب على أنغام دقات قلبها.

الفصل السابع والعشرون

«وراء كل لقاء أسباب يصنعها ويخرجها القدر...»

- أهلا بأصدقائي الأعزاء، تفضلوا، فالجميع ينتظر قدومكم على أحر من الجمر. دخل شيخ المسجد أولا وتلاه أدهم، وبقي صلاح في الخارج ولم يدخل حسب اتفاق ياسمين معه ومع الشيخ وأدهم. قدمت ياسمين كلا منهما، الشيخ «أحمد» إمام المسجد في منطقة بجوارنا اسمها كاندليه وقد تعرفت عليه منذ شهر تقريبا ولكن كم أحترمه وأجله لإخلاصه وتفانيه في عمله والثقة الكبيرة التي تستطيع بسهولة أن تشعر بها وأنت تتعامل معه. وهذا الصديق العزيز «أدهم» الذي تعرفت عليه أيضا منذ شهر عن طريق صديق آخر، وكم أثق في أدهم وفي أفكاره وإنسانيته وعمله كمهندس ديكور رائع.

وهنا تنفس «شوقي» بك الصعداء، فصلاح كاندليه لم يأت مما يمثل تحولا كبيرا، ولعله قد استوعب مدى الفارق المذهل في كل شيء بين ياسمين وبينه وأن الارتباط بينهما كلقاء السماء والأرض. ونهض يسلم عليهما ويرحب بهما بعد أن تأكد من عدم وجود صلاح: أهلا ياعم الشيخ، أهلا يا باشمهندس أدهم، ياسمين كلمتي عنكم كثير، أهلا ببيكم. ولم يتطرق شوقي بك إلى كاندليه فقد تحاشى هذا الاسم تماما خوفا من أن يتساءل عزيز بك عن علاقة ياسمين بكاندليه،

وكيف تعرفت على الشيخ الذي يسكن كاندليه. شعر بحرج شديد تمنى ألا يزيد بمزيد من الأسئلة أو التعليقات من عزيز بك، فتنفس الصعداء بعدم طرح أي أسئلة من أسرة عزيز، ولكنه اندهش كثيرا من عدم سؤالهم، وبالطبع فسره على أنه غضب مكتوم منهم تجاه هذا الارتباط الوثيق بين كاندليه وياسمين، ولكن ما زال لديه أمل في إزالة هذا الغضب وبأي وسيلة.

- ياسمين، اقللي الباب وتعالني عشان نرحب بالضيوف وتحدث، ولا إنتِ عجبتيك الوقفة عند الباب!! قالها شوقي بك بتوجس وخيفه، وكأنه يتوقع أن هناك مفاجأة ما وراء هذا الباب، ما هي؟ لا يدري ولكن بالطبع يتمنى من كل قلبه ألا يكون صلاح كاندليه حتى لا يخسر هذه الأسرة وهذا العريس الرائع ابن الأصول.

- يا بابا أنا واقفة عند الباب لأن فيه حد لسه بره، والحد ده إنتِ عارفه كويس وعارف إنه جاي النهاردة، بس أنا حبيت أعملها مفاجأة للجميع وهو واقف أهو. أدخل يا صديقي العزيز.

دخل «صلاح» على استحياء شديد رغم أن هذه هي المرة الثالثة يدخل الفيلا، كانت المرة الأولى عندما أوصل ياسمين بسيارتها، والمرة الثانية عند أخذ رأيه في ديكور البهو، والمرة الثالثة الآن. دلف صلاح من باب الفيلا بطوله الفارع وبهندام شيك اشتراه اليوم مع أدهم، وبين يديه صحبة ورد البنفسج والتي قدمها إلى والدته ياسمين: اتفضلي يا طنط وأتمنى ذوقي ينال إعجابك، فهذه الورود رمز مني لأنال شرف صداقتي لأسرتكم.. فأتمنى لو يقبلني شوقي بيه صديقا للعيلة.

وقبل أن يتفوه «شوقي» بك بكلمة واحدة ردا على صلاح، شفق
«عزيز» بك وكذلك زوجته وابنه ودون أن يدروا وقضوا وقفة واحدة في
آن واحد، فقد تعرفوا على صلاح كاندليه بسهولة رغم مرور حوالي
عشر سنوات منذ أن فارقهم. وجدوه يقف أمامهم شابا فارغ الطول
مهندم ولبق الحديث ومدواق.

تسمرت عائلة عزيز بك أمام صلاح غير مصدقين أنفسهم:
مين؟ صلاح!! معقول يا صلاح!! إنت واقف قدامنا بشحك ولحمك!!
ثم هرول عزيز بك نحو صلاح وضمه إلى صدره، فكم كان يحبه
بل يعشقه ولكن شاءت الظروف تحت تأثير زوجته أن يفترقا وألا
يبحث عنه بعد أن ترك الفيلا وهو في الفصل الثاني الثانوي العام.
احتضنه صلاح هو الآخر وذرفت من عينيه دموع الفرحة الممزوجة
بدموع الذكريات، وسلمت عليه زوجة عزيز بك بانفعال واضح: إزيك يا
صلاح، أخبارك إيه ويا ترى طول المدة دي كنت فين، شكلك كنت لسة
في كاندليه. ووقف «صلاح» أخيرا غير مصدق أن هذا صلاح الذي
ترك الأسرة والذي كم كان يحبه ويعامله كأخ رغم فارق الثمان سنوات
بينهما. ارتمى «صلاح» في أحضان صلاح ليتمزجا في مشاعر ذكريات
الأخوة التي كانت.

ظل «شوقي» بك جالسا مكانه من هول المفاجأة تارة ينظر إلى
عزيز وتارة إلى صلاح وتارة إلى ياسمين وهو غير مصدق لما يحدث.
أنا لا أفهم شيئا مما يجري فقد أربكتني ياسمين منذ بدء هذا اللقاء
وشعرت أن هناك مفاجأة كبرى، ما هي؟ لا أدري. ولكن كان لدي شبه

يقين أن المفاجأة خاصة بصلاح كاندليه، فقد أعيانى التفكير في إدراك أو تخمين ماذا لدى صلاح كاندليه لكي تصل درجة المفاجأة إلى ما أرى أمام عيناى وفي بيتي وفي لقاء كنت لا أرى فيه سوى ابنتي وابن عزيز لأعزز ارتباطهما، ولكن أجدني فجأة أكاد أفقد عقلي، واقفا فارغ الفاه أمام أحداث سريعة ومتلاحقة أخرجتها ياسمين ابنتي في منتهى الذكاء والروعة. والآن أستطيع أن أفهم لماذا لم يندهش عزيز عندما سمع كلمة كاندليه من ياسمين، مؤكداً أنه كان خجولاً هو الآخر من معرفة صلاح. ولكنى أراه يحتضن صلاح ويحضان بالغ ما عدا زوجته التي تتعامل معه بفتور. ماذا يجري هنا بحق الله، هل صلاح هو ابن آخر لعزيز من زوجة أخرى، هل كان يعمل لديهم، هل، وهل..؟؟ رأسي تكاد أن تتفجر.

وتوجه «شوقي» بك إلى ياسمين ليسألها وبنبرة حادة: ممكن أعرف إيه الحكاية بالضبط؟؟ من هو صلاح، وما هي علاقته بأسرة عزيز بيه. واضح إنك كنت تعلمي ورتبت كل شيء ولذلك كنت مُصرة على مجيء صلاح في نفس اليوم لزيارة عزيز بيه. أنا عايز أعرف كل حاجة والآن، أنا مش هاضل واقف كده كتير أتفرح على فيلم هندي غير مترجم.

- حاضر يا بابا، هاقول لحضرتك كل حاجة، ولكن لا يوجد هناك أحداث مرتبة، ما جعلها تبدو مرتبة لحضرتك أن زيارة صلاح كاندلية وصلاح عزيز جاءت في نفس اليوم وأنا نوهت لحضرتك على زيارة صلاح وأدهم وعمنا الشيخ من قبل ولكن حضرتك نسيت واستأذنتك

أن يأتي أصدقائي في زيارتهم حتى لا أعتذر لهم وبصراحة شديدة أنا وجدتتها فرصة للم شمل من تفرقوا وشعرت أن القدر هو الذي رتب لهذا اللقاء الرائع الذي أرى حضرتك فيه المنظم والراعي، وهذا شيء عند الله كبير، وأنا شخصيا تعلمت أن أسعد جدا عندما يخصني القدر بأحداث ما حينئذ أفعل ما بوسعي لأنال الشرف فأكون سببا من أسباب تنفيذ قرارات القدر. أما عن العلاقة بين صلاح كاندليه وعزيز بيه لا أستطيع أن أخوض فيها وأطرافها موجودون، فهم أولى بذلك خاصة أنا لا أعرف الكثير من التفاصيل.

حاول «شوقي» بك أن يهدأ من نفسه أثناء حديث ياسمين، وبالفعل هدأ تحت تأثير كلماتها الممنعة خاصة وهي تتحدث عن القدر، فعندما يأتي القدر في الحديث تتصاع النفس لما يقال وتتجاهل الأسباب والحسابات لأن كل ما هو متعلق بالقدر مقبول فوق الأسباب حتى يرتاح العقل والقلب وحتى لا ينقلب عليه القدر الذي يصنع الأحداث فوق الزمان والمكان والأسباب: عموما أنا يا ياسمين أفهم كلامك وأصدقك القول وأدرك أننا في لقاء قدري في بيتي وفي هذه اللحظة القدرية ولكني بالفعل أريد أن أفهم مثلكم أنا ووالدتك ماذا يجري هنا حتى أستطيع أن أدرك قرارات القدر. فليتفضل أحد هنا للإجابة على سؤالي عن طبيعة العلاقة التي فاجأتني بين عزيز بك وصلاح والتي فجرها القدر من لحظة حادثة ياسمين في كاندليه حتى زيارة عزيز بك اليوم.

كل هذا الحديث الساخن في بهو الفيلا، وكلا من أدهم وشيخ المسجد يراقبان الحديث بشغف ولكن بلا تدخل؛ لأن الحديث اجتماعي جدا وخاص جدا. ولكن عندما سأل «شوقي» بك هذا السؤال الخاص جدا ولاحظوا همهمة من عزيز بك ليرد على السؤال، طلب الشيخ الاستئذان ومعه أدهم للانصراف.

وعلى الفور وقبل أن يوافق والدها، تدخلت «ياسمين» موجهة حديثها إلى لشيخ: بالعكس وجود حضرتك مهم جدا فقد علمت من صلاح أن حضرتك طرف في الموضوع. أما أدهم فهو صديق مخلص لصلاح وأعتقد أنه عرف بعضا من هذه العلاقة اليوم. ثم أن هذه العلاقة مؤكدة كانت رائعة في كثير من المواقف لكي يفتخر بها كل طرف، وأنا أشعر الآن أننا جميعا أصبحنا أصدقاء أو أسرة واحدة، خاصة كلا من صلاح عزيز وصلاح كاندليه. مش كده ولا إيه حضرتك يا عزيز بيه؟

- والله يا ياسمين يا بنتي إنت انسانية رائعة، والآن أسعد وأتشرف أنك تكوني زي بنتي وطبعاً يسعدني جدا نكون أسرة واحدة بس بشروط.

- وما هي هذه الشروط التي تمنع المشاعر الأسرية يا عزيز بيه؟
- الشرط الأول إنك تتاديني عمو عزيز إللي تهربت منه قبل كده، والشرط الثاني أن يأتي صلاح جنبي هنا دلوقتي ويسامحني فيما فعلت، والشرط الثالث أن يقبل أبوتي المعنوية له مرة أخرى قبل أن يحكي عن أي شيء منذ تركنا وحتى هذه اللحظة.

- أما الشرط الأول أنا موافقة عليه تماما وبكل سعادة يا عمو عزيز، أما الشرط الثاني والثالث فهما في يد صلاح.. قلت إيه يا صلاح؟

وهنا ازداد تعجب «شوقي» بك مما يجري، هل تتحول الأحداث في أقل من ساعة بهذه السرعة. أأجمد موقفى العدائى تجاه صلاح كاندليه وهو فى بيتى وأتركه يقرر أن يحقق الشروط أم لا، ومع من، مع الرجل الذى جاء بكل هيبته وماله وجاهه وسلطانه ليخطب ابنتى فيتحول الأمر برمته إلى صلاح كاندليه الذى كنت أخشى من حب ابنتى له وكنت أقف له بالمرصاد. حقا، هو القدر الذى يساوي بين كاندليه وغيرها، القدر الذى يستطيع أن يقلب كافة الموازين في لحظة واحدة ولو على عكس العرف والقوانين وناموس الحياة، إنه القدر الذى ينظر إلينا مبتسما وهو يخاطبنا ونحن لا نسمع، فيما تخططون وفيما تعادون وفيما تتآمرون وفيما تتنافسون وتمكرون وكل شيء مقدر ومكتوب وينفذ في الوقت والمكان المعلوم!! نعم، نجتهد ونحاول فقط ليرضى عنا القدر الذى يصنع هو الأحداث. وقرر «شوقي» بك ألا يتدخل في الحوار الذى تديره ابنته بذلك بارع يحسدها عليه ويفتخر بها، ويجب أن يعبر عن فخره هذا لاحقا وأمام العالم لكي يفي بحقها، بل عليه هو أن يفخر أن يكون هو والدا لياسمين وعليه أن يُقر أن جزءا من التحول في شخصية ابنته جاء بفعل من كاندليه، فشكرا كاندليه ومعذرة أيها القدر سأستمع جيدا لأتعلم وأستفيد من ترتيباتك التي هي فوق كل الحسابات.

- بالطبع، أنا لايمكن أن أنسى أفضالك يا عزيز بيه عليّ ويسعدني أن أناديك بعمو عزيز مثل ياسمين. أنا لا أنسى أبدا اليوم الذي استقبلتني فيه أول مرة أنا وجدتي التي كانت تنزف الدم من رأسها على أثر حجر رميته أنت في الماء فأصابها خطأ ونحن بالقرب من العوامة نحاول أن نلتقط رزقنا من البحر من خلال اصطياد بعض السمك، فياذ بك تحطم المحاولة بحجرك الذي ما زلت أحتفظ به للذكرى معي في كانديه. الحجر الذي بقدر ما كان السبب في نزيغ جدتي بقدر ما كان السبب في التعرف على قلبك الطيب وروحك السمحاء وكلماتك المذيبة لكل الآهات. أتذكر كيف استقبلتني أنا وجدتي وأختي في العوامة، وكيف قدمت لنا من كرم أنت وزوجتك لم نكن نتوقعه بل زادت الأحلام عندما قررت أن تنزل القارب لتصطاد معنا السمك وقد كان يوما جميلا عوضني عن فقد والدي في حادثة السيارة والذي تسبب في خروجي من المدرسة آنذاك.

- آه يا صلاح، كم أتذكر هذا اليوم الذي كنت أشعر ساعتها بضيق وزهق من الحياة فخاطبت البحر ليسمعني والأمواج لتفهمني، فلم يلق البحر بالا بأحزاني ولا توقفت الأمواج لتسمعني. كانت الأحزان تطوقني من كل جانب بالرغم من امتلاكي كل شيء ما عدا الولد الذي لم يشأ الله لي ولزوجتي حينها أن يرزقنا من فضله بالأولاد، فشعرت أن كل ما لدي ليس لي وفقدت الدافع في البقاء في الحياة خاصة بعد تفاقم المعارك بيني وبين زوجتي. ثم

شاء القدر أن أقف في بلكونة العوامة وأخاطب البحر وألقيه بحجر انتقاما منه ومن نفسي فياذ بي أفاجأ بأهات جدتك التي حركت الذنب في نفسي وقطعت حبال طاقتي السلبية لتتبدل بكل هذه الانطلاقة في الحياة وأنزل البحر معكم وأجذف القارب وأعمل بنفسني كفرس النهر وأصطاد هذا الكم من السمك يومها لنعود به إلى جدتك لنطهيه في العوامة، كم كان يوما في العمر جميلا يا صلاح وقد كنت أنت طفلا رائع الذكاء تمنيت يومها أن يكون لي ولد مثلك.

- أتذكر هذا اليوم جيدا، وما زلت أتذكر لون الماء وعدد تيارات الماء التي غازلت القارب، وأتذكر بسماطك وأنت تتغلب على تيارات الماء الجارفة، أتذكرك وحيات العرق على جبينك فتبدوا كحيات اللؤلؤ تحت ضوء الشمس. حيات العرق التي انسابت على جبينك ضاحكة من عناد عضلاتك وهي تضرب تيارات الماء التي تسير عكس القارب ثم قهقهة ضحكك وأنت ترى الأسماك تتلألأ في ضي النهار محاولة الفكاك من شبكة الصيد. أتذكر هذا اليوم وكأنها لوحة رسمت بأحبار الذكريات التي لا يحوها تقلبات الزمن. كنت أنا الطفل الذي لا حول له ولا قوة وأنت لي البطل، ولكنك حاورتني لتخرج مني البطل الذي لا يقهر.

وهنا تتحنح «شوقي» بك وهو ينصت غير مصدق لما يسمع، أحدث كل هذا بين صلاح وعزيز بك!! ثم ما كل هذا الجمال الحواري لصلاح بكلمات عذبة جميلة ومؤثرة تتساب من شفثيه كنهر

من الألحان المتدفقة من علٍ فينظر إليها الجميع بإعجاب. ما كل هذا الحنين الذي يختبئ ويسكن في نبرات صوت صلاح، ما كل هذا الأدب وما كل هذا الإبداع. يا تُرى من علمه هذا، مستحيل أن يتعلم ذلك في كاندلية الشعبوية. مؤكد هناك سر أتمنى أن أعرفه: واضح يا عزيز بيه أن هناك قصة كبيرة مع صلاح.. كم أنا مشتاق لمعرفتها.

- بالفعل شوقي بيه، لي مع صلاح قصة حياة لم ولن أنساها.. وكما ترى فقد سميت ابني الوحيد على اسم صلاح لحبي الشديد له واحترامي لمشواره في الحياة التي عانددت كل خطوة كان يخطوها فيها قبل وبعد وفاة والديه في حادثة وهو ما زال طفلا في مقتبل العمر. القدر يا شوقي بيه مثل الأرجوحة، تارة ترتفع بنا وبقوة إلى السماء وتارة تهبط بنا إلى سطح الأرض. حتى ونحن نرتفع بكل قوانا قد لا نستطيع التحكم في قوانا ونقلب من شدة الارتفاع فيرسل لنا القدر من يصرخ فينا لنقلل من ارتفاعاتنا لنسلم. وصلاح كان هذا الإنسان الذي أرسله لي القدر لكي أحافظ على اتزاني في الارتفاع فرأيت فيه رغم بساطته ما لم استطع أن أراه في كل ما حولي حينئذ رغم كل ارتفاعاتهم. ولذلك تمنيت أن أساعد صلاح كما ساعدني، فطلبت من جدته أن يعيش معي كالابن لأكون له كالأب في الحنان والاهتمام. وقبّلت جدته وقبل صلاح بعد تفكير ومحاولات، وكم كنت سعيدا ولم أتم ليأتي عندما قبلا أبوتي والتي استمرت عن حب طيلة سبع سنوات حتى وصل صلاح إلى الثانوية.

- قصة غريبة فعلا عزيز بيه وتعكس كم أنت إنسان رائع ونبيل، ولهذا حكمت أنا على صلاح عزيز في تربيته التي أراها الآن نابعة من والده البطل كما لقبك صلاح منذ قليل. وأنت يا صلاح، كم ظلمتك وظلمت إنسانيتك التي تأرجحت مع موجات القدر لتأخذك تارة إلى الأرض وتارة إلى السماء وأنت ممسك بأحبال القدر لتحافظ على توازنك. ليبتني أسمع منك يا صلاح قصتك الكبرى مع عزيز البطل. وبابتسامة تعكس بعض الراحة التي بدأت تتسلل إلى قلبه: وياريت تخبرني بماذا أناديك فمعنا أيضا صلاح آخر؟

وعلي الفور رد «صلاح عزيز» وبضحكة كلها مرح وحب: طبعاً هو صلاح الأول يا عمو شوقي وأنا صلاح الثاني. ولا إيه يا ماما؟

وهنا نطق والد صلاح التي كانت قد قررت منذ مجيء صلاح وأصدقائه ألا تتحدث وتتدخل في الحديث خاصة أنها السبب الرئيسي في خروج صلاح من العائلة بعد سبع سنوات؛ بسبب الغيرة القائلة على صلاح ابنها والتفرقة الواضحة التي وصلت إلى الإهانة المتعمدة التي وجهتها إلى صلاح: طبعاً يا صلاح يا حبيبي، صلاح زي أخوك بالضبط وإنك اسمك على اسمه حبا فيه.. صلاح كان وما زال واحداً من الأسرة، هو صلاح الأول.

- أنا لم أترك البيت إلا بعد أن تأكد لي أنني أصبحت قادراً على الاعتماد على نفسي، فقد أنهيت حينئذ عملي الدراسي الثاني في الثانوية العامة وقررت أن أحصل على الثانوية وأنا في كاندليه حتى

تكون ثانوية مميزة وذكرى تبقى طوال العمر، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وأراد القدر لي أن أترك المدرسة نهائيا في قصة درامية لا وقت لأحكيها ولكني ندمت ساعتها على تركي بيت عمو عزيز قبل أنهي الثانوية خاصة أنني كنت من المتفوقين وكنت في مدرسة لغات وكنت أكتب الشعر وأكتب القصص وهي الهواية التي ولدت بها ونميتها وأنا عند عمو عزيز. وفي نفس الوقت لم أستطع العودة إلى عمو عزيز مرة أخرى وتغير الحال إلى صلاح كانديه كما تحب ياسمين أن تلقيني دائما منذ عرفتني. كانديه بالنسبة لي هي الفرن الحراري الذي يصهر الأيام والرجال فإما تُلقي كالفيايات من شدة الصهر ولا أحد يهتم بها ويعالجها ببساطة لأنها من كانديه، أو تُتقى من الشوائب لتصير أكثر قوة وتحملا، ولكن لا أحد يشتريها ببساطة لأنها من كانديه. أما بالنسبة لي فقد كانت حياتي الأولى في الفرن الحراري لكانديه الذي صهرني ونقاني فأصبحت أعشق القراءة ولو خلسة، والرسم ولو صدفة، والتأمل ولو خفية، تعلمت من أصدقاء من كانديه وخارج كانديه وقد منحني القدر الكثير من الفرص البسيطة لعله كان يختبرني أو يؤهلني لما لا أدركه حتى رتب القدر لي لقاءتي وأنا طفل مع أسرة عزيز لأستمع بالقاعة المكيفة فتعرفت على حياة جديدة لها عالمها الخاص من تعليم وأدب ولغة وأخلاق، عالم يشبه كانديه تماما ولكنه مُنتج، ويُجَمَل ويُمنق قبل أن يخرج إلى الناس، عالم تستطيع فيه وبكل سهولة أن تكون إنسانا في المظهر والمخبر، تستطيع بسهولة أن تحقق ما تتمناه ويُشار إليك بالبنان.. واستفدت كثيرا من هذه الحياة المنعمة بفضل أسرة عمو عزيز خاصة بعد أن

أراد الله ورزقه بصلاح حقيقي، صلاح من صلبه إكراما له برعايته صلاح كاندليه. وأصبحت ماهرا في اللغة العربية والآداب والتاريخ وملما باللغة الإنجليزية والفرنسية وصاحب ستايل في الذوق والهندام وتبأ الجميع لي بأن يُشار إليّ بالبنان ولو بعد حين، آجلا أو عاجلا. ولكنني وفي لحظة كنت فيها إما مسيرا وأرادها القدر أو مخيرا فيها وطاوعني القدر، لحظة قررت فيها ولأسباب كثيرة أن أترك القاعات المكيفة وأعود إلى الفرن الحراري الذي ظننت أنني لن أدخله مرة أخرى ولكنني وجدته فاغرا فاهه هناك لألقي فيه فور عودتي. ثم مرت الأعوام في كاندليه، وبالفعل أشار الناس إليّ بالبنان ولكن كانت بنان متسخة، بنان ضاعت بصماتها تحت التراب الذي أصرّ ألا يفارق تلك البنان، بنان أهل كاندليه.. ثم رتب لي القدر لقاء ياسمين على أبواب كاندليه. اللقاء الذي نقل القاعة المكيفة من خارج كاندليه إلى حجرتي في كاندليه لأراها قصرا منيفا لأن فيها ياسمين، الإنسانية التي ذكرتني بحياتي مع عمو عزيز، بل نقلتني فجأة إلى مفردات اللغة والفكر والحوار الذي كنت قد افتقدتها تماما في كاندليه، حياة راقية لأن أناسها تعلموا كيف يكون رُقي الحديث، حياة نظيفة لأن أناسها يملكون أسباب النظافة، حياة مختلفة في الرؤية والأسباب والأهداف عن الحياة في كاندليه. جعلتني ياسمين وهي في شبه غيبوبة من آثار الحادثة أعود إلى روايتي التي كنت قد بدأت كتابتها منذ فترة ولكنني دائم الانشغال عنها بحياة كاندليه، جعلتني أعود إليها وأعود إلى نفسي وأحاورها في شخص ياسمين عندما أفأقت، خاصة عندما وجدتها غير آنفة من سيدات كاندليه بل صاحبتهن فرأيت في شخص وروح وكلمات

ونظرات ياسمين وهي في كاندليه وفي عباءة سيدات كاندليه وفي فطار
أهل كاندليه الحياة رغم التناقض البين، رأيت كيف ينصهر التناقض
ويعيش جنباً إلى جنب إذا قَبِل كل جانب تناقض الآخر. رأيت كل هذا
في ياسمين التي أحبت الناس في كاندليه ورأيت في أهل كاندليه الذين
أحبوا وبصدق ياسمين وخافوا عليها كواحدة منهم ساعتها، شعرت أن
كاندليه قدر، وما خارج كاندليه قدر، تماما كالقدر الذي خلق الخنفساء
والطاووس، والقدر الذي خلق الذكر والأنثى، والذي رفع السماء وبسط
الأرض، القدر الذي أراد أن نرى الأشياء متناقضة أمامنا لعلنا نستوعب
الدرس ونقبل الآخر ولو كان ملاءة التناقض، الذي لم يخلقه القدر إلا
ليختبرنا ويعلمنا أن الجميل لن يدرك أنه جميل إلا إذا رأى دميما،
وهكذا العلاقات الإنسانية والمادية في كل حالاتها. هكذا تعلمت من
ياسمين حتى أحبيت الحياة في كاندليه بفضل ياسمين. ثم رتب لي
القدر وبسبب ياسمين لأقابل أدهم الذي رأيت فيه كل الفرص الجميلة
لأكتشف ما توارى في نفسي تحت عباءة كاندليه، تعلمت منه كيف
يستطيع الآخر أن يُخرج أحلى ما فيك لو أراد، تعلمت منه كيف تكون
الصداقة على أرض الواقع، وكيف أن الصداقة ليست بعدد الأعوام
ولكن بصدق المواقف ولو قلت.. هذه هي قصتي مع الحياة حتى الآن
وباختصار شديد، حياة لو عادت لي منذ البداية لاخترت أن أعيشها
كما عشتها حتى الآن وبدون أي ندم.



الفصل الثامن والعشرون

«الضارق بين ترتيبات البشر وترتيبات القدر أن ترتيبات
البشر قد لا تحدث حتي ولو خططنا لها ، أما ترتيبات القدر
فهي نافذة حتي ولو لم نخطط لها»

بعد أن سمعت « جيهان » هانم كل هذا الإطراء من الجميع على
صلاح كاندليه حتى من ابنها وزوجها وهي التي جاءت اليوم لتخطب
ياسمين جميلة الجميلات وسليمة العائلات لتكون زوجة ابنها ، تملكها
الغيظ الذي حاولت كتمانها ولكنها لم تستطع فقد طفح غيظها على
وجهها وفي طريقه إلى لسانها .

نظر إليها زوجها بقلق شديد ليس عليها ولكن على هذه الجلسة
التي من الممكن أن تنفجر بين الفينة والأخرى إذا انفجر غيظ زوجته
الذي بدا على وجهها ، فهو يعرفها حق المعرفة . فكم من مرة حدثت
انفجارات كلامية مدوية منها على أمور قد تكون تافهة بسبب عصبيتها
رغم الطيبة الكبيرة التي تسكن قلبها . وبالإضافة إلى العصبية والتي
زادت جدا منذ لحظة قدوم صلاح ابنها للحياة خوفا وغيره شديدة
عليه وحرصا على إرضائه بكل السبل وعدم تحمل أي موقف ضده .
جعل ذلك عزيز ينزعج لتوقعه حدوث أي رد فعل الآن من زوجته فيادر
ونظر إليها برقة مبتسما : إيه رأيك يا جيهان تحاولي تقنعي شوقي بيه

والهانم وياسمين بقضاء يوم عائلي جميل الخميس القادم في القاهرة وقضاء أمسية رائعة في حفلة الأوبرا وننتهز الفرصة ونعرفهم على بيت العائلة في القاهرة وأملأها هناك؟

وبالفعل نزلت هذه الكلمات على جيهان هانم كالماء لحظة فوران النار، فلملمت ثورة غضبها التي كادت أن تنفجر وحبستها داخلها حتى ترى نتيجة هذه الجلسة التي تحولت من تعارف عائلي إلى تعارف على صلاح وحياء صلاح. صلاح الذي ترك بيتها بسبب غيرتها القاتلة على ابنها الحقيقي صلاح عزيز. أومأت إلى عزيز بابتسامة هادئة تخفي وراءها غضبا ما زال مخفيا، ثم نظرت إلى شوقي بك بعيون مبتسمة، وبفرحة تحول الحديث إلى منحنى آخر أتت من أجله: طبعا أنا يسعدني جدا بالنيابة عن أسرة عزيز توجيه الدعوة لشوقي بيه وأسرته لقضاء ليس يوما بل أكثر من يوم في الفيلا وفي العوامة وفي المزرعة وطبعا الاستمتاع بأمسية غنائية بالأوبرا. أرجو أن تقبل دعوتي يا شوقي بيه.

وبفرحة سكنت كل ملامحه رد شوقي بك بالإيجاب وهو ينظر إلى ياسمين وكأنه يتودد إليها ألا تقصد عليه هذا الترتيب والعرض الذي أنقذه في الوقت المناسب من سيل الإطراء على صلاح كانديله، فصحيح هو أصبح معجبا ومقتنعا جدا به، وصحيح تربى وتعلم في فترة طويلة عند عزيز بيه، ولكن لماذا الارتباط به ولدينا صلاح آخر أصلي في كل شيء.. - أظن أنك ليس لديك مانع يا ياسمين.. هاتكون فرصة طيبة لتعارف العائلتين عن قرب.

وبذكاء شديد وسرعة بديهة: طبعا طبعا يا بابا، موافقة أنا
أحببت أسرة عزيز بيه جدا ونفسي أتعرف عليها أكثر.

وهنا تنفس شوقي وعزيز بك الصعداء، وارتسمت على ملامح
جيهان هانم علامات فرحة الانتظار بتوجيه الدفة إلى عائلتها والموافقة
الضمنية على صلاح ابنها. وعلى الجانب الآخر انكمش صلاح كاندليه
في نفسه وتوقعت أنفاسه، وبجواره أدهم الذي شعر بحشجة أنفاس
صديقه صلاح المكتومة. نظر الشيخ إلى صلاح كاندليه بابتسامة كلها
ثقة في ترتيبات القدر، ابتسامة جعلت صلاح كاندليه يبتسم هو الآخر
وكانهم يتحدثان بلغة العيون والقلوب، ولغة القدر .

وقبل أن يتمكن الإطمئنان من قلب شوقي بك أكملت ياسمين:
ولكن يا بابا لي طلب بسيط.

وهنا تكهرب شعور الإطمئنان لدى شوقي بك بك مرة أخرى،
منالكلمات التي سوف تنطقها شفاه هذه الفتاة التي لا يعرف أحد في كل
مرة ما يدور خلف أسوار هذه الشفاه المبتسمة وهذه الملامح الطفولية
من ذكاء ودهاء وسرعة بديهة بأسلوب رقيق عذب. الوحيد الذي فهم
ياسمين تماما منذ لقائهما اليوم هو صلاح عزيز فقد أدرك بقلب
الشباب وعقل المشاهد والمحلل لما يجري أن ياسمين وصلاح يعيشان
في حالة حب أو على الأقل حالة إعجاب وعليه أن يكون عزولا إلا إذا
كان مخطئا، أو إذا تبدلت المواقف لتبدل الرؤى والقناعات. ولذلك ظل
يشاهد ما يجري وعيونه تتقل بين عيون كل الجالسين وهو مبتسما
ابتسامة المعجب بهذه اللحظات الفريدة التي تسجلها هذه اللحظة التي
جمعتهم مع أخيه صلاح كاندليه.

وبتوجس وبابتسامة مضطربة: إيه طلبك يا ياسمين؟

- أنا سعيدة جدا يا عمو عزيز بالتعرف على صلاح فقد شعرت فعلا أنه صديق بل أخ أعتد عليه وسوف يسعدني قضاء اليوم معكم كأسرتي الثانية، ولكن طلبي هو أن يأتي صلاح كاندليه معنا ليلتئم شمل أسرة عزيز بيه وتكتمل فرحتي بهذا اليوم.

وهنا نظر «شوقي» إلى عزيز بك بتعجب: ونظر أدهم والشيخ إلى صلاح بود، وهنا نهضت «سهير» هانم ونظرت ناحية الباب وفي عينيها كرات الغضب التي كانت قد سكنت: ياللا بينا يا عزيز وإن شاء الله نكون على اتصال بشوقي بيه.

لم يملك «عزيز» إلا أن يستجيب لزوجته، فنهض ونهض معه ابنه صلاح، ونهض شوقي بك وزوجته ونهض وراءهم الجميع ليستأذن عزيز ويسلم على الجميع ويخرج من باب الفيلا دون أن يجاوب على سؤال ياسمين التي وجهته إلى والدها.

خرج الجميع من الفيلا، ولم يعلق شوقي سوى بانسحابه إلى غرفته ووراء زوجته لكي تهدئ من غضبه وهي تنظر خلفها ناحية ياسمين معاتبة.

خرج الجميع من الفيلا، وظلت جالسة في صالة الفيلا تنظر إلى سقف الغرفة لا تدري ماذا تقول لوالدها بعد أن يهدأ وماذا تخبئ لها الأيام.



- صلاح، زي ما شفت الموقف عند ياسمين قد إيه هي كانت شجاعة جدا في إظهار اهتمامها بيك فبدت كالأسد اللطيف الذي يكشر عن أنياب الحب دون إراقة أي قطرة دماء بينها وبين والدها وأسرة عزيز بيه. أنا حقيقي منبهر بياسمين ولم أتخيل أبدا أن نتاقش وترواغ من أجل علاقتكم بكل هذا الذكاء الاجتماعي بل ذكاء الحب. حقيقي اتعلمت منها كيف نحافظ وندافع عن من نحبهم وبقوة. ولذلك يا صلاح، يجب أن نفوز بهذه المسابقة وبجدارة لنكون جميعا أهلا بثقة ليس فقط أسرة شوقي بيه ولكن أيضا بأسرة عزيز بيه. أريد أن نثبت لهم وعمليا وبالذليل القاطع كيف أن القلوب المحبة عندما تجتمع وعن حب تصنع المعجزات، نريد أن نثبت لهم كيف أن التربة الواحدة يخرج منها الزرع صنوان وغير صنوان، كيف أن تربة كاندليه تستطيع أن تخرج كغيرها أفضل الزروع فقط لو توفر لها الماء والغذاء والهواء كغيرها. قلت إيه يا صديقي؟

- ياسمين يا أدهم جعلتني أتمنى تعطير العالم كله لأضعه تحت قدميها، جعلتني أحب العالم أجمع حتى من هم ضدي، خلقت بداخلي قوة كامنة ومتفجرة لألون جدران وأرض وأفكار العالم ليستحق نظراتها وحنانها واهتمامها وحبها، ياسمين هي لي سر الحياة، وسر البقاء، وسر التطور وسر الطموح وسر النجاح. هيا إلى النجاح يا صديقي ليس لأهل ياسمين أو أسرة عزيز بيه ولكن من أجل ياسمين، يكفيني فقط أن تبتسم ياسمين وترضى ياسمين

وتسعد ياسمين، كيفيني في هذه الحياة أن أكون ولو حرفا واحدا في كتاب السعادة لياسمين. لو كان هناك تعبير آخر غير الحب والعشق والهيام لسطرته مجلدات لياسمين، مشاعري تجاه ياسمين يا أدهم فوق الحب وفوق الهيام. مشاعر تسري في قلبي وعقلي وكل خلية في جسدي تجعل من قلبي الذي يعشق ياسمين ألف قلب وقلب، ومن عقلي الذي يهيم بياسمين ألف عقل وعقل. ياسمين لي يا أدهم هي الحبيبة والصديقة والأخت والعمة والخالة والأم. كل العلاقات في الحياة يحتويها اسم ياسمين. ولو عاندني القدر وفرق بيني وبين ياسمين فلن أكره القدر لأنه هو نفسه الذي واعدني بياسمين وجعل حياتي كلها ياسمين، ولكن سوف يشهد القدر أن ياسمين هي الحياة ولو أبعدها عني الحياة. هيا يا صديقي إلى النجاح فقط من أجل ياسمين.

-
إيه البلاغة دي كلها يا صلاح يا ابني، بارك الله فيك وجمعك بياسمين حبيبة القلب ورفيقة العقل. والله يا صلاح ياسمين دي بألف راجل وألف بنت، ومع إنني رجل دين إلا أنني وجدتها تتكلم بالدين وبسلوك الدين وعقل وقلب الدين، رأيت ذلك في حديثها إلى والدها وإلى عمها عزيز، في حديثها الأدب الجم والذكاء المنظم والحجة البالغة والمنطق الراقى بدون تجريح من قريب أو بعيد. وبصراحة شديدة لست أدري هل طابع ياسمين هكذا أم أنه الحب الذي يحرك المكنون في العقل فيجعله يتزاوج مع توجهات العقل وأحاسيسها ومشاعرها فتتكم بلغة واحدة يفهمها الجميع المتفق والمعارض.

- احنا تقريبا أنهينا المقترح يا عمنا الشيخ في جلساتنا السابقة ولم يبق سوى نقاط بسيطة ونراجعها سويا بدقة قبل تقديمه غدا . هو معايا حاليا وأنا جبت في العربية البروجيتكور والمقترح علشان نشوفه في الجامع مع بعض النهاردة .

- رائع يا أدهم، هاتصل بياسمين دلوقتي لو أمكن تيجي علشان نراجعها كلنا مع بعض. أنا كلمتها امبارح بعد زيارتنا ليهم علشان أطمئن عليها وقولتها على ميعادنا النهاردة وهي ما عندهاش مشكلة مع إن شوقي بيه عمل معاها حوار كبير بعد مامشينا كلنا .

- طيب هایل يا صلاح، أنا هاروح أجيب الداتا شو وهاضبطه على حائط المسجد ومعايا الشيخ لحد ما تتصل على ياسمين وتروح تجيبها من أول كاندليه، وربنا معانا النهاردة ونوصل لأعلى مستوي فكري في المقترح قبل صلاة المغرب .

وفجأة رن هاتف صلاح، وإذ بياسمين تخبره أنها خارج المسجد .

- ليه يا ياسمين تيجي كاندليه لوحديك، مش احنا متفقين أقابلك على الأقل أمام الحي .

- ما تقلقش يا صلاح، أنا حبيت أعود آجي لوحدي علشان ما حسش إنني غريبة عن المنطقة وبعدين إزاي انفصل عن حي أنا بتمنى نظوره .

وفجأة وجد صلاح وأدهم ياسمين تدخل المسجد وابتسامتها تسبقها بإشراقة وحضور دائما يضي على المكان فرحة تتناثر هنا وهناك .

- رايح فين يا أدهم، هو إذا جاءت ياسمين ذهب أدهم ولا إيه!!؟
- هاهاها لا طبعا يا ياسمين أنا كنت رايح أجيب عدة الشغل من العربية، الداتا شو والأوراق والأقلام.
- ولا تتعب نفسك، أنا جاهزة ومعايا كل حاجة، كل إللي إنت عايزه.
- برافوا والله يا ياسمين، إيه النشاط والهمة والالتزام ده، بس قوليلي صحيح، وباتسامه تطل منها دعابة: ماذا عن شوقي بيه، يا ترى كانت العلقه سخنة ولا شوية كدمات بس.

وهنا تدخل صلاح والذي كانت عينه ما زالت على ياسمين يطمئن عليها بنظراته وهمساته، ويحمل عنها الداتا شو والأشياء الأخرى التي جاءت بها تحملها من سيارتها: إيه رأيك يا أدهم، جات لي فكرة لسة حالا ممكن نناقشها، وكأنه أراد أن يغير مجرى الحديث حتى لا يجرح ياسمين.

وبضحكة هادئة: الكدمات كانت كتير يا باشمهندس.. ولكن ماما عملتلي كمادات وبقيت زي الفل، وبعدين أن بحب كمادات بابا الكلامية جدا، لأن بعدها لازم يكون فيه هدية علشان يصالحني. كمادات بابا الكلامية اتعودت عليها خلاص في الفترة الأخيرة وبعدين بقيت أستفيد منها جدا وأكتسب خبرات كبيرة. عموما الموضوع شرحه يطول فخلينا في الشغل لأن ما فيش وقت كافي، آخر ميعاد للتقديم في المسابقة بكرة فلازم ننهياها النهاردة خاصة إني عرفت إن بابا قدم من يومين خلاص.. خلينا نبتدي الشغل ونسمع اقتراح صلاح.

- تعالوا يا شباب، أنا حضرت لكم حجرة الإمام بالمسجد، هي صغيرة بس مناسبة جدا لعددنا وكمان علشان نكون لوحدنا، ماحدش عارف مين إللي ممكن يجي المسجد دلوقتي علشان الصلاة ولا حاجة تانية زي المرة إللي فاتت.
- فكرة ممتازة يا عم الشيخ وإن كانت عربية ياسمين برة، وبضحكة بها دعابة: يعني بتقول إللي ماشفشي يشوف.
- يا أدهم إللي بييجي بييجي، بابا عارف إني هنا وأكد المعلم محمود وغيره إللي يعرفوا بابا زمانهم عرفوا إني هنا من غير العربية، وأنا قلت لبابا إنه مايبعتش حد ورايا، أنا في أمان مع أصدقائي الشيخ وأدهم وصلاح. فالمراقبة هاتكون خارجية مش من الجامع.
- جلس الجميع في حجرة الإمام والتي كانت لأول مرة تدخلها ياسمين وكذلك أدهم، ولم يكن فيها شيء يشد الانتباه سوى بعض اللوحات القرآنية ومجموعة من المصاحف والكتب الدينية على منضدة صغيرة، وصورة للإمام محمد متولي الشعرواي الذي يحبه الشيخ كثيرا ويستند إلى كثير من مقولاته في خطبة الجمعة.
- قبل أن نناقش ما أنجزناه، دعونا نناقش فكرة صلاح الأول لنرى إذا كان من الممكن إضافتها إلى المشروع لو يسمح الوقت. إيه يا صلاح فكرتك؟
- والله يا أدهم، مش معقول نكون عايزين نطور حي كاندليه وما نسألش ناس كاندليه هما عايزين إيه أو على الأقل هما موافقين على إللي احنا هانعمله ليهم، لازم نشوف طلباتهم.

- فعلا يا صلاح، إزاي فاتت علينا دي، ده احنا فعلا لو كنا عملنا استبيانات ولو محدودة ووزعناها على أهل كاندليه بطريقة تتناسب مع فكرهم وثقافتهم ومعلوماتهم وطموحاتهم مؤكدا كنا ضربنا عصفورين بحجر واحد، فمن ناحية حصلنا على توجهاتهم وطموحاتهم في المكان لتكون حلولنا وأفكارنا عملية، ومن ناحية أخرى تحسب لنا أمام محكمي المسابقة نهجا علميا اتبعناه في الوصول إلى أفكارنا دون الآخرين.
- فكرة رائعة جدا فعلا ياصلاح بس الوقت الباقي لا يسمح لنا بتطبيق هذه الفكرة فهي تحتاج تجهيز الاستبيان وطباعته وتوزيعه ثم تحليله وإخراج بياناته.
- يا سلام عليك ياصلاح، مش كنت قلت من أسبوع.
- يا جماعة، دعونا نفكر إزاي فعلا نحقق هذه الفكرة الرائعة لصلاح لأنها سوف تكون لصالحنا جدا أمام المحكمين لو فعلا هناك تحكيم حقيقي وليس ككل مرة. بالنسبة للاستبيان سهل تنفيذه مع بعض لأنني متخصصة في تصميم الاستبيانات حسب تخصصي، فقط أحتاج الأسئلة وأنا أصيغها بالطريقة العلمية التي تتناسب مع سكان الحي. ساعة واحدة وأخلصه قبل صلاة المغرب.
- ممتاز يا ياسمين، بكرة الجمعة والناس ما بتجيش تصلي في الجامع إلا يوم الجمعة، فممكن توزيع الاستبيان عليهم بعد الصلاة لضمان عدد كبير ونوعيات مختلفة من الناس، وأنا كإمام للمسجد ممكن

أنوه عن هذا الاستبيان وأهميته في الخطبة الثانية للجمعة أو بعد الصلاة مباشرة.

- يا جماعة مافيش وقت لده، لازم نقدم المقترح بتاعنا للمسابقة يوم السبت، وبعدين أتوقع إن مافيش حد من الناس هاهيتم بالموضوع بعد الصلاة وهامشوا، أولاً لأنهم سمعوا عن ده أكثر من مرة قبل كدة ولم يتم عمل أي شيء، ثانياً معظم الناس غير متعلمة ومحتاجين حد يقرأ لهم الاستبيان وكمان يساعدهم على فهم المطلوب، ثالثاً بقى فيهم ناس ممكن بيعتبروا ده استخفاف بيهم. الموضوع فكرته ممتازة ولكن تطبيقه كان يحتاج منّا وقت أطول، أعتقد صعب تنفيذ الفكرة ولكن ممكن إدراجها في أحد أهداف المقترح كآلية من ضمن آليات تنفيذ التطوير إذا حصلنا على المشروع.

- فعلاً يا أدهم، أعتقد هذا أوقع جداً وأضمن لنا في هذا الوقت المحدود، ولكن إيه رأيكم إذا صممنا بنود الاستبيان فعلاً مع ياسمين وطبقناها على مجموعة محدودة من الناس ندعوهم هنا بعد صلاة العشاء بالاسم وبعدين نقدم الاستبيان نفسه كوثيقة مع أوراق المشروع لإثبات الجدوية ومعه نتائج أولية تعطي مؤشرات لما نقترحه على العينة إللي هاندعوها هنا بعد صلاة العشاء.

- واللّه يا صلاح برضه فكرة معقولة وبكده نكون مسكنا العصايا من النص، يبقى عملنا الاستبيان ويبقى عندنا نتائج أولية، بس مين الناس وهاتجيبهم هنا إزاي، أعتقد هي دي المشكلة الحقيقية.

- لا مشكلة ولا حاجة يا أدهم، الشيخ له أحبابه وأنا لي أحبابي ممكن نتصل بيهم ونجيبهم والباقي نجيبه بالفلوس. ندي بس لكل واحد من اللي نعرفهم مبلغ مقابل إن كل واحد يجيب لنا على الأقل خمسة بأعمار مختلفة. ولا ده حرام يا عم الشيخ؟
- مش حرام ولا حاجة يا صلاح طالما مقابل مجهود وبعدين الناس هنا محتاجة للضأ، دي طريقة للمساعدة المقننة. فكرتك كويسة جدا يا صلاح، وأنا هشارك في دفع جزء من المبلغ المطلوب وهاتصل دلوقتي بأحبائي لعمل اللازم لو وافقتم.
- وهنا تدخلت «ياسمين» وبضحكة كلها صفاء وثقة: وأنا بقى علشان الفكرة الجميلة والذكية دي من صلاح أنا هاتكفل بكل المصاريف وكمان هاتصل بأصدقائي السيدات هنا، ومش عايزة ولا تعليق من أي حد منكم على قراري ده.
- لأ طبعا يا ياسمين، لا إنت ولا أدهم، إنتِ بس نفذي الاستبيان مع أدهم على ما أعمل اتصالاتي أنا والشيخ وها صرف أنا وهو، احنا عارفين هانراضي الناس دول إزاي ماتقلقوش.
- لا ياصلاح، أنا فعلا هادفع كل المصاريف وبمقابل يا سيدي.
- وياه هو المقابل؟؟
- تسمحولي اعتبار هذا الاستبيان ونتأجه بحثا اجتماعيا أنفذه هنا في كاندلية حتى لو المشروع لا قدر الله لم يقبل، ولو اتقبل برضه يكون بحث الماجستير لي، إيه رأيكم؟ وعلى فكرة بقى يا

صلاح أنا عندي مفاجأة مدوية لك.. فكر فيها بقى من هنا لحد
بكرة. وبضحكة كلها دلال وثقة لعدم رفض طلبها من صلاح: ومش
هاقولك عليها إلا لما توافق على طلبي.

- خلاص يا صلاح، فكرة ممتازة من ياسمين وخلينا نساعدنا في
تنفيذ رغبتها وأبحاثها، وبعدين إنت زعلان ليه يا سيدي، هو
إنت دافع حاجة من جيبك، سيبها تدفع هي حرة. وبدعابة وحب
استطلاع مهندسي الديكور: بس إيه هي المفاجأة المدوية دي
لصلاح يا ياسمين.. أتجنن وأعرف إيه هي!!

- مش هاقولها إلا لما نخلص الاستبيان والمشروع بصورته النهائية
النهاردة، ده شرطي.

ضحك الجميع على دعابة أدهم، وتحولت الحجرة الصغيرة إلى
خلية نحل، كل يقوم بدوره وكأنها عملية حربية سرية وفي غاية الأهمية
من ناحية لإنهاء المشروع ومن ناحية أخرى لمعرفة المفاجأة المدوية
لصلاح من قبل ياسمين.



obseikan.com

الفصل التاسع والعشرون

«وتأتي إلينا تبشير حلو الحياة ضاحكة عندما يشاء

القدر»

مالك يا شوقي، شكك مهموم، قد كده موضوع ياسمين وصلاح
مأثر فيك. ولا إنت قلقان من موضوع المسابقة بتاع تطوير كاندليه
علشان كل مره كانت بتطرح مناقصة؟

- صلاح مين فيهم ياستي، صلاح الأصلي أم صلاح التقليد. ومسابقة
إيه، أنا متأكد إنني هافوز بيها وأنا عملت اتصالاتي خلاص.

- هي الناس فيها أصلي وتقليد يا شوقي، هو إنت بتتكلم على
عربيات ياباني وتايواني!! الناس هي الناس هنا ولا هناك، أبيض
ولا أسود، غني ولا فقير، ربنا بيعامل الناس بنياتهم وأخلاقهم
مش بفلوسهم ومناصبهم، وكل ده في القرآن والسنة.. وإنت راجل
مؤمن وكمان عصامي ولازم تشوف الدنيا بطريقة مختلفة علشان
ربنا يكرمنا في ياسمين، على الأقل اعقد نيتك على الخير أيا كان
موضعه وأرضه.

- واضح إنك موافقة على تصرفاتها وأفكارها، وواضح إن الكلمتين دول علشان تقضي جنبها، واضح إنكوا اتفقتوا عليّ، بس أنا مش هاغير موقفي أبدا عن صلاح الأصلي وصلاح التقليد.

- يا سيدي أبدا، أنا مش متفقة معاها ولا حاجة، بالعكس أنا كان نفسي ياسمين تقبل صلاح عزيز كخطيب وصلاح كاندليه كصديق على الأقل علشان إنت تكون راضي عنها وتقف جنبها والبنت تشعر بالسعادة خاصة إن إنت إللي رشحتها العريس الأول وكانت هاتموت في حادثة بسببه. وبعدين سيبها تعمل إللي هي عايزاه، مين عارف يمكن هي نفسها لما تجرب تكتشف فروقات وترجع في كلامها، خليها تخوض التجربة بنفسها وتقرر. إنت نفسك لما اتخطبنا كنت لسه بتبتيدي حياتك ودلوقتي الحمد لله إنت من رجال الأعمال الكبار. القدر يخبئ لنا تغيرات كبرى لا نعلمها إلا في حينها، ولا يحتاج القدر منا إلا أن نبذل قصارى جهدنا وهو يرتب ما يريد، وفي كل أمور القدر خير.

- هو إحنا كل ما بنتكلم في الموضوع ده تفكريني ببداية حياتي، أنا راجل كنت متعلم واتخرجت مهندس وطموح وشاب ذكي ومتحرك حتى ولو كنت فقير.

- يا شوقي كل الصفات دي موجودة في صلاح ما عدا التعليم، هو متعلم ولكن ماكملش تعليمه بسبب ظروفه وممكن جدا يكمل إذا كان عنده إرادة قوية، وواضح إن عنده.

- حتى ولو كمل، وأشك طبعاً، فهو مختلف ويكفي أنه من سكان كاندليه وبلا عائلة ولا وظيفة ولا مال بعد أن اقترب من عمر الثلاثين. لماذا أربط نفسي بشاب مثل صلاح هذا وأنا أمامي صلاح الذي يملك التعليم والمال والجاه والعائلة والوظيفة وفوق كل ذلك الأخلاق وفوق الأخلاق أنه يحب ابنتي.

- عموماً أنا وضحت وجهة نظري يا شوقي، وإنه حر مع ياسمين بس بقلب الأم بقولك سببها تخوض التجربة بنفسها وماتكسرش فرحتها خاصة إنت عارف حبها ليك قد إيه.

وفجأة رن هاتف شوقي بك:

- إزيك يا بابا..

- أهلا ياسمين.

- مال صوتك هادي كده النهاردة، إنت لسة زعلان مني برضه من موقفي؟؟

- أنا زعلان منك وزعلان عليك، وبقيت قلقان عليك أكثر وأنا ما زلت عند رأيي ومش هاغيره حبا ليك وخوفاً عليك، ومش هاعيد إللي اتكلمنا فيه تاني.. إنت فين دلوقتي؟

- أنا لسة في المسجد مع الشيخ وأدهم وصلاح بس باتصل لأن هاتأخر ساعتين كمان لأن فيه حاجة خاصة بشغلي محتاجة أخلصها ضروري.

- وإيه الحاجة دي، طمنيني، أبعثلك المعلم محمود لو عايزه مساعدة من أهل المنطقة؟؟
- لأ يا بابا، أنا بس محتاجة دعواتك ورضاك عني وماتكنش زعلان مني. وبابتسامه من قلبها المرهف: ده أنا ياسمينه حبيبتك الوحيدة.
- ما هو ده إللي تاغبني ومجنن عقلي يا ياسمين، إنك عصفورتي إللي بخاف عليها من الهوا الللي بطير فيه. عموما، ما تتأخريش عن ساعتين وإلا هاجي أخذك.
- حاضر يا بابا، ولما آجي هاقول لحضرتك على الشغل إللي عملته.
- ربنا يحميك من نفسك ومن الناس.



- إيه الأخبار يا ياسمين، شوقي بيه زعلان منك!! ياريت تقولي لي الحقيقة لأن الطريقة التي أنهت بها اللقاء جيهان هانم مؤكد أخرجت بابا وطبعاً أنا السبب وراء هذا الموقف لإني كنت محور الحديث وبدون قصد. مهم جداً لي يا ياسمين ألا أكون سبباً في وقوع أي مشكلة بينك وبين بابا خاصة أن العلاقة بينكم علاقة أكثر من أب و بنت.

- يا صلاح بابا بيخاف عليّ بطريقته، وبابا أساساً رجل عصامي فأنا مش قلقانة منه لأنه مؤكد عند نقطة معينة سوف يلين للرأي الآخر ليس بسبب تمسكي برأيي ولكن بسبب اقتناعه رويدا رويدا

بالموضوع ولأسباب محددة وواقعية سوف تأتي مع الوقت. أنا طبعاً مقدره وجهة نظر بابا وموقفه مني ومنك مع إنني لم أُصرح إلى الآن بمشاعري منك لأنك ببساطة لم تتقدم لي ولم تفتح موضوعنا مع بابا أو ماما.

- فعلاً، وده عن رغبة منك بالإضافة إنني أفضل أن أكون في حال أفضل بكثير عما أنا فيه الآن، وظهور عزيز بيه وابنه صلاح ونيتهم في الارتباط بيك جعلني أتوقف لخصوصية العلاقة التي كانت في الماضي والتي ما زالت تحضر ذكرياتها الجميلة والتي سكنت قلبي ولن تنسى أبداً. أنا يا ياسمين بقدر حبي ليك بملء قلوب العالم المُحب إلا إنني أشعر وأنا أعيش حالة مشاعر من أحلام اليقظة، اختلطت عليّ الأمور فلم أعد أدرك هل أنا على قيد الحياة أم في حلم كبير. أن تكوني في قلبي هذا أجمل ما في واقعي، أما أن أكون في قلبك في هذا حلم وخيال كبير. كم كنت أتمنى ألا أترك بيت عزيز بيه وأكمل دراستي في الثانوية وألتحق بالكلية التي أعشقها وهي الآداب وخاصة قسم الاجتماع وأقابلك هناك ومعني كل هذا الحب الذي يحمله قلبي لأضعه بين يديك شبكة مني وأنا صلاح الحي الراقى، صلاح الشهادة العليا، صلاح الوجاهة الاجتماعية ولو كانت تقليد، صلاح كاندليه الأنيق حتى أليق بحبك وبأسرتك العريقة وحتى لا أتسبب كما تسببت في اللقاء الأخير في بيتكم من مواقف بين شوقي بيه وأسرة عزيز بيه وبينك وبين بابا، هذا الإحساس يقتلني، لأنني أخاف عليك من

نفسى. ولكن القدر أراد أن أقابلك وأحبك وأنا هنا في كانديله بلا ثانوية عامة وبلا مال وبلا وجهة وبلا وظيفة، أحبك وأنا مجرد من كل شيء سوى حبي وإخلاصي وبقايا أشلاء من تعليم. أنا أقدر موقف بابا ولكنى أعشق ياسمين ولا أدري ماذا أفعل.

-
وبعدين بقى يا صلاح إنت وياسمين، هو احنا بنتقابل النهاردة علشان نعبر عن مشاعرنا ونغوص في ماضيينا ونستدعي ذكريات ماضيينا ونطبطب على أنفسنا مرة ونجلدها مرة أخرى، احنا هنا النهاردة علشان حاجة واحدة فقط وهي الانتهاء من المشروع الذي سوف يحقق لنا كل ما نريده من مال واجتماعيات وشهرة وعمل ليصبح نموذجاً في الحياة.. يا أصدقاء، الحياة مريرة وأحداثها متقلبة ونواتجها معلقة بين السماء والأرض، الحياة عند كثير من الناس مجرد ديكور وباقي الناس عندهم مجرد مواد وأدوات لزوم الديكور. وأنت يا صلاح طالما في كانديله فأنت للآخرين مادة من مواد وأداة من أدوات الديكور. فعليك الآن، والآن فقط أن تحسم أمرك وتنتقل من خلال مشروعنا وعملنا سويًا إلى حياة أخرى لتكون من أصحاب الديكور. يجب أن تقفز في السماء بكل قوتك مرات ومرات من أجل ياسمين، تقفز لأعلى ليس فقط ليراك الناس ولكن لتثبت لهم أنك متميز ومختلف وقوي وقادر على مغالبة الهواء، حينئذ سوف يعجب بك الناس وحينئذ لن يسأل أحد من أنت بل سوف يحاولون التقرب منك ليتعلموا سياسة القفز والتميز، حتى ولو جذبك إلى الأرض ولو عن عمد آخرون.

الآن دعونا نُكمل المشروع فهو القفزة التي يجب أن نقفزها جميعا كضريق واحد .

- فعلا يا ولاد، أماننا جميعا الآن فرصة تاريخية بمعنى الكلمة وأنا سألت أمس بعض المعارف عن مدى جدية الحكومة في تمويل هذا المشروع لتطوير كاندليه، والجميع أكد لي أن المحافظة فعلا جادة جدا ومصممة على تطوير هذا الحي ولكن بصورة مختلفة تتبع من المجتمع والمتخصصين وليس من رجال الأعمال فدورهم سوف يأتي لاحقا من خلال طرح المناقصات من المشروع الفائز ليتم تطوير الحي بطريقة علمية. وسمعت أيضا أن هناك مؤسسات دولية مثل اليونيسكو مشاركة ليس فقط في تمويل هذا المشروع الكبير ولكن أيضا في تحكيمه والإشراف عليه أثناء تنفيذه مما يضمن الحيادية في نجاح جميع مراحل المشروع. يعني ببساطة يا ولاد، أراد القدر في لحظة محددة وظروف محددة وبأشخاص محددة وبآلية محددة أن يجمعنا في هذا التوقيت لكي نشارك في هذا الحدث بغض النظر عن فوزنا بالمشروع أم لا وأيضا لكي يصنع علاقتنا هذه كما أراد. وأمور القدر كلها خير، فدعونا ننهي المشروع ليقدمه أدهم غدا بإذن الله.

- أولك يا عمنا الشيخ، خalina نبتدي بتطبيق الاستبيانات التي صممتها ياسمين على بعض أصدقائك وأصدقاء صلاح ممن تتقون فيهم من أهل كاندليه، بس ياريت بلاش المعلم محمود.

وبضحكة عالية نسي فيها وقار الإمامة، أجاب الشيخ مع إيماءة متحمسة برأسه: حاضر يا عم أدهم، هاجبلك مجموعة محترمة في خلال ربع ساعة.

- وأنا يا عم الشيخ كما اتفقنا سوف أتولى موضوع مكافأتهم علشان هايكون جزء من رسالة الماجستير بتاعتي خاصة إني أخذت رأي أستاذي ووافق على الفكرة ومتحمس لها جدا.

- اتفقنا يا ياسمين يا بنتي وربنا يوفقك.

- بس قبل ما نبتدي يا جماعة، ياسمين قالت قبل كده إن عندها مفاجأة كبيرة لصلاح، عايزين نعرف إيه المفاجأة وده شرط قبل ما نبتدي. وبضحكة كلها ود أكمل «أدهم»: وإلا هاسحب المشروع يا ياسمين.

- يا أدهم خليها لما نخلص كتابة المشروع. وبابتسامتها الهادئة التي تعود عليها الجميع: هو إنت ما بتسأش حاجة أبدا.

- أنا مصمم، ولا إيه رأيك يا أبو صلاح، ولا إنت كنت نسيت موضوع المفاجأة، معقول تكون نسيت، ولا هي قالتلك عليها من ورانا يا سيدي. كده تبقى خيانة.

- والله أبدا، أنا زيكم نفسي أعرف إيه المفاجأة ولكن خايف من طبيعة المفاجأة من ناحية، ومن ناحية أخرى مايجبش أضغط على ياسمين، إنت عارف بقى يا أدهم.

- بس أنا مصمم فعلا، عايز أعرف إيه المفاجأة، مين عارف يمكن لي نصيب فيها أو لها علاقة غير مباشرة بالمشروع.

ضحك الشيخ بصفاء وهو ينظر إلى ياسمين بحنان أبوي: خلاص بقى يا بنتي قوليلنا إيه المفاجأة أحسن أدهم يعملها ويأخذ المشروع ويمشي.

- يا جماعة دي حاجة خاصة بصلاح بس ولكن أنا بحب أشكركم في كل حاجة كفريق عمل وكأصدقاء.

- بس أنا كمان يا ياسمين نفسي جدا أعرف إيه هي المفاجأة، وبصراحة قلقان من ساعة ما عرفت إن هناك مفاجأة.

- خلاص، طالما كلكم اتفقتم عليّ، المفاجأة يا صلاح هي إنني سحبت ملفك من المدرسة إللي كنت فيها وقدمته لمدرسة ثانوية ووافقوا من خلال وساطة على التحاقك في السنة الثالثة بس منازل وكده.. يا أستاذ قدامك شهور قليلة وتورينا شطارتك ومجموعك في الثانوية العامة.

صاح الجميع بصوت الفرحة من المفاجأة الجميلة وغير المتوقعة على الإطلاق حتى لصلاح. وانهاالوا في تقبيل صلاح الذي دمعت عيناه من المفاجأة الكبيرة، وظلت تنظر ياسمين إليه بحنان وهو ينظر إليها بحب وود وامتمان: ربنا يخليك لي يا ياسمين. أوعدك أكون طالب مجتهد ومتفوق.

- ربنا يوفقك يا صلاح وتكون أحسن الناس، إنت تستاهل كل خير. وفجأة نهضت ياسمين وهمت بالخروج من المسجد.

نهض الجميع وراءها: خير يا ياسمين على فين؟!؟

- أبدا، ما تقلقوش، أنا راحة أجيب باقي المفاجأة من العربية، راحة أجيب التورتة، النهاردة عيد ميلاد صلاح، كل سنة وانت طيب يا صلاح.

ازداد توارد الدمعات على مقلتي صلاح، ولم يستطع الرد إلا بنظرات عينيه التي حملت معهما كل معاني الكلمات الجميلة، فأحيانا تتوالد المشاعر عندما تصمت الكلمات وتتحدث النظرات.

- كل سنة وانت طيب يا صلاح، النهاردة يومك يا عم، وكلنا بنهنيك على البرينسيس ياسمين.

توسط «صلاح» الجميع كما أرادت ياسمين وجلس أمام التورتة عاجزا ولأول مرة في حياته عن التعبير عن مشاعره إلى أعز الناس، جلس محلقا في الفضاء ظلنا مه أنه ما زال في حلم كبير، ولم يتأكد له أنه في واقع الحياة إلا ويد أدهم تضرب على ظهره: رحمت فين يا أبو صلاح، أطفئ الشمع يا حبيبي كل سنة وحياتك كلها طيبة. يلا قلنا أمنيته في السنة الجديدة؟

نظر صلاح إلى ياسمين نظرة تجمعت فيها مشاعر حب عجز عن التعبير عنها، مشاعر أذاب فيها نفسه: أمنيته أن يكون حظي في الحياة سعادة ياسمين.

- ينفع كده يا عزيز أكون في هذا الموقف السيئ، نذهب كأسرة من أجل خطبة ياسمين لابننا تهاجمنا العروسة نفسها بنت الأصول، أنا مستاءة جدا مما حدث ولن أنساه. ذهبنا لنتحدث عن صلاح عزيز فأفاجأ ليس فقط بوجود صلاح كاندليه بل أفاجأ أيضا أن حديث الزيارة كله يتحول إلى تاريخه وكأننا ذهبنا لنتحدث عنه هو ونرفع من شأنه هو وليس ابني.

- يا جيهان ما حصلش حاجة، هي البنت طلبت بعفوية إن صلاح كاندليه يدعى للعزومة معنا بعد ما عرفت إنه كان واحد من أسرتنا ولكن إنت تعاملت مع الموضوع بحساسية وقررتي تنهي الجلسة وتمشي. ومع إنني كنت في غاية الإحراج إلا أنني لم أملك إلا أن أستجيب لرغبتك احتراما لقرارك. لكن أعتقد أن الموقف كان من الممكن علاجه دون أن نغادر الجلسة ونفضها مرة واحدة هكذا، ولكن أنا في نفس الوقت مقدر الموقف.

- معقول! يعني أنا كنت ساكنة معظم الوقت علشان ما فقدش أعصابي بعد ما ياسمين حولت الحوار بكل السبل للحديث عن صلاح ولا تلقي بالا بوجود ابني ولا بسبب الزيارة التي كانت لابني.. يا عزيز كان واضح جدا قدرتها الفائقة على تغيير دفة الحديث وعن عمد تجاه حبيب القلب صلاح كاندليه حتى تسد الطريق أمام صلاح ابني، والطريقة دي زعلتني جدا خاصة إننا كنا ضيوفهم ولأول مرة في بيتهم. وطبعا القدرة دي لا يمكن تمتلكها من فراغ، مؤكدا وراءها حب جارف للولد صلاح وعلشان كده طلبت

مننا نعزمه معاها كتأكيد نهائي على رغبتها فيه وعدم رغبتها في ابنك. كل الشواهد تؤكد رأيي ده. وحتى شوقي بيه نفسه كان واضح عليه الضيق جدا من تصرفاتها بسبب تركيزها على صلاح كاندليه. إنت مش شفت ده بنفسك يا صلاح ولا أنا بتجنى عليها؟

يا ماما، الزواج قسمة ونصيب، وبعدين صلاح زي أخويا واتربينا سوا فترة طويلة ولى ذكريات كتيرة معاها، وإذا كان فيه علاقة جميلة بينهم ربنا يسعدهم، وصلاح طيب ويستاهل كل خير، كفاية إن احنا ما سألناش عليه نهائيا بعد ما ترك بيتنا وواضح إنه ترك المدرسة ولم يكمل تعليمه، ومؤكد ده كان صعب عليّ جدا خاصة إنه كان متفوق جدا وكنا بنتوقع له مستقبل كبير.. أرجوك يا ماما ما تخديش موقف منه ولا من ياسمين، هي بنت واضح إنها مؤدبة جدا وأنا يسعدني تكوني زي أختي، وياريت حضرتك وبابا تدوني الفرصة أن أقف بجانبهم، خاصة حضرتك عارفة إن صلاح عايش لوحده ومحتاج من يقف بجانبه. وأنا مع حضرتك إن موقف ياسمين كان فعلا واضح تجاه صلاح ولكن دا شيء يحسب ليها خاصة أنها أدارت الحوار بطريقة مهذبة وذكية جدا وبعدين المشاعر بين المحبين تحتم عليها الدفاع عن صلاح والإخلاص له مما يدل على أنها بنت أصل ويا بخت صلاح بيها فعلا لو حصل نصيب.. ما تقول حاجة يا بابا.

طبعاً يا صلاح، كل ما قلته صحيح وأنا فخور جدا برأيك وموقفك مما حدث ومن موقف ياسمين ومن دوافعك الطيبة والنبيلة تجاه

صلاح كاندليه. ومع ذلك أنا مع مامتك في غضبها مما حدث فكل إنسان ينظر إلى الموضوع من وجهة نظره الشخصية وأوليات حبه للأخرين. مامتك، حبك على رأس أولوياتها، وياسمين، صلاح على رأس أولوياتها ولذلك فكلاهما محق ولكن حسب أولوياته. عموما ما حدث أسعدني جدا جدا لأسباب كثيرة أهمها أنني رأيت صلاح بعد كل هذه السنين الطوال وأطمأنت أنه على الأقل بخير، وبأنني تعرفت على أسرة شوقي بيه وفوق كل ذلك بالطبع تعرفت الحقيقي عليك إنت يا صلاح.

- تقصد بيايه تعرفت علي يا بابا؟ وبابتسامة مغلظة بود ودلال، داعب صلاح والده: هو حضرتك كنت نسييتي ولا إيه، ولا لما شفت صلاح اتلخبطت فينا، ده حتى هو أطول وأحلى مني.

- هاهها لأ طبعا يا حبيبي أنا بعرفك من أنفاسك الطيبة ولو على بعد آلاف الأميال. ولكن فعلا ما حدث كان اختبار غير مقصود رتبه القدر لأتعرف على قررة عيني ابني، فقد تخوفت كثيرا من اللحظة التي تقابل فيها صلاح في أي وقت بعد أن ترك بيتنا منذ سنين. تخوفت من تعاليك عليه أو إهمالك أو تجاهلك له خاصة أنه الآن في ظروف أقل بكثير. ولكني وجدتك إنسانا رائعا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، إنسانا يؤثر الآخر ولو كان به خصاصة. أنا فخور بك جدا يا صلاح أنك تعاملت مع الموقف والحوار والأحداث بقلب كبير وعقل أكبر، تعاملت مع صلاح كأنه بالفعل أخوك. فقد أكد لي هذا الإختبار غير المقصود أنك سليل عائلة

الأصول التي تضع العلاقات الإنسانية فوق كل الإعتبارات. لقد تفوقت يا بني عليّ أنا ومامتك. هنيئًا لنا يا جيهان على صلاح ابننا بأخلاقه العالية هذه وحكمته، فقد كنت أراقب نظراته وهمساته وكلماته أثناء تدخله في الحديث وكلي فخر بردود أفعاله وإن كنت حبست فخري به بداخلي.. وإنّ يا جيهان، يا ترى موقفك إيه من رد فعل صلاح ابنك؟

- مؤكّد يا عزيز أنا كمان فخورة بصلاح تماما مثلك وإن كنت لم أكتشف مشاعري هذه تجاه ابني إلا بعد عودتنا من فيلة شوقي بيه عندما بدأت أستعيد وأسترجع موقف كل منا فاكتشفت أن ابننا صلاح بالفعل كان رائعًا في تصرفاته فلم يغضب كما غضبت أنا، ولم يحق على مشاعر ياسمين التي كانت واضحة تجاه صلاح كاندليه كما غضبت أنا، ولكن مؤكّد إنك عارف برضه مشاعر الأم تجاه أبنائها خاصة في مواقف حساسة مثل ما حدث.

وبضحكة بملء وجهه أراد بها أن يداعب زوجته ويخفف من توترها كلما عاودوا الحديث في هذا الموضوع: يا جيهان هانم أنا كنت متوقع منك رد فعل أكبر من ذلك، أنا عارف العرق التركي إللي جواك، بصراحة أنا اكتشفتك إنك كمان، يكفي إنني عرفت إنك ممكن تداري وتكتمني غضبك في الوقت المناسب وبرضه تتخذي قرارا في الوقت المناسب وبشياكة وبأناقة وعزة نفس، بصراحة كنت فخور بيك يا سهير.

- يا سلام يا عزيز، بتقول كنت فخور بيّ، طيب ودلوقتني!!؟

وبابتسامة دافئة من قلبه، مال «عزيز» ناحية جيهان والتي تجلس بجوار ابنها صلاح وذراعها تلف وسطه بحنان: يا جيهان أنا فخور بيك على طول، وبحبك، وهاحبك على طول، وحببي ليك بيزداد على طول، فخور بيك وانت فرحانة، وانت زعلانة، وانت غضبانة، وانت ندمانة.. إنت زهرتنا يا أجمل النساء وأروع الأمهات وأطيب الزوجات، ربنا يخليك لينا ودايما تغييري علينا.

تورد وجه جيهان هانم جراء تأثرها من هذه الكلمات الرقيقة التي لم تسمعها من زوجها عزيز منذ فترة طويلة، وتمنت لو يستمر في الإطراء عليها ومغازلتها ولو مجاملة، فكم تلذت كل خلية في جسدها بهذه الكلمات التي كان لها أثر السحر على وجدانها كزوجة وحببية. تورد وجهها وشعرت ببعض الخجل الذي جعلها تبدو طفلة تداعب عروسيتها بعضوية وفرحة طفوليته: كلامك حلو يا عزيز، بقالك كثير ما قنلتيش كلام رقيق كده.

- إحم إحم، إيه يا بابا، كفايا كده ما تزودش العيار أحسن ماما حبيبتني تدوب في إيديك، وبعدين يا ماما بابا حنين ودايما بيقول، وبعدين ياستي لو مقالش قولي إنت، ده إنت أجمل النساء على الإطلاق، ده إنت لو مش مامتي كنت طلبت إيدك من بابا.

- أيوة يا بكاش، ما إنت زي أبوك طالع ليه، هو أنا مصبرني على عزيز إلا قلبه الطيب وكلامه الجميل وروحه الحلوة، ربنا يخليكوا

لي ودايما تطبطبوا عليّ. الست يا صلاح ست في أي عمر وأي زمان وأي مكان، دائما في حاجة للرجل بجوارها وأمامها ووراءها، الست لا تظهر أنوثتها إلا بجوار رجولة الرجل.

- طبعا يا ماما، وكمان الرجل لا تظهر رجولته إلا بجوار أنوثة المرأة.

- طيب إيه رأيكوا طالما طلعنا عيلة بنت أصول كده ومش معقدة، وطالما إن احنا اتفقنا على النصيب، وعلى حق الغير في تقرير مصيره، وعلى حق صلاح المعنوي والأدبي والمالي والاجتماعي فينا، أقترح عليكم يا عائلة عزيز أن نتقدم بدعوة رسمية على ورق من البردي المعطر بأعلى العطور العالمية بدعوة معالي صلاح كاندليه ومعالي أسرة شوقي بيه على العشاء نهاية هذا الأسبوع لنثبت حسن النوايا وتعزيديا لموقف ياسمين مع السيد والدها، إيه رأيكم يا أسرة عزيز بيه الكريمة؟

- هاهاها حلوة الخطبة دي ياسي بابا، وبالنيابة عن أسرة عزيز بيه موافقون سيادتك على هذا الفرمان، توكلوا على الله ونحن معكم بس ياريت ندعوا أدهم وشيخ المسجد من ناحية لكي نثبت حبا وتقديرنا لصلاح بالاهتمام بأصدقائه، ومن ناحية أخرى تكون فرصة كويسة للحديث مع أدهم عن تجديد الديكور بفيلتنا وتصميم الديكور لشقتي الجديدة. وأعتقد إن شوقي بيه لن يعترض على دعوتهم حتى بعد إللي حصل لأنه لم يعترض على وجودهم يوم زيارتنا لهم.

- واللّه فكرة ممتازة يا صلاح وفرصة فعلا لإثبات النوايا الحسنة وفرصة للإتفاق المبدئي مع أدهم في العمل خاصة أني سمعت عنه إنه مهندس ديكور شاطر جدا وشوقي بيه نفسه يكلمه لكي يجدد ديكور فيلته. إيه رأيك يا جيهان في فكرة صلاح؟

لم تملك جيهان هانم إلا أن تضحك ضحكة طفولية لم تضحكها منذ زمن، وأمالت على صلاح وقبلته على جبينه وهي تمسك بيد عزيز بحنان بالغ وفخر بأنه أدار هذه الأزمة بحكمة وحنان وشهامة ورجولة. حقا يا جيهان ، الرجال أسرع حكمة من مكر السيدات.

- أعتبر ابتسامتك دي موافقة يا جيهان؟ أنا أستطيع قراءة ابتساماتك في كل الظروف.

- طبعاً عزيز حبيبي، لك ما تشاء فأنا فخورة بيك يا أعز الناس وأعز وأكرم الرجال.

- يا صلاح، بسرعة سَجل هذه الاعترافات للبرنيسيسة مامتك صوت وصورة علشان نستخدمها وقت الخناقات الكبيرة.

ضحك الجميع ضحكات ملأت البيت فرحة كبيرة. وعلى الفور اتصل «صلاح» بصلاح كاندليه، واتصل «عزيز» بشوقي لدعوتهما على عزومة العشاء.



- إليه إلهي أخرك كده يا ياسمين أنا منتظرك من بدري وكنت خلاص هابعت حد يجيبك من كانديله، أنا خلاص زهقت من اسم كانديله، لا أتصور أبدا أن ياسمين شوقي تغيرت حياتها إلى هذا الحد وأصبحت وكأنها من أهل كانديله ولم يبق إلا أن تسكن في كانديله وتعمل في كانديله. ماذا حدث ليتم كل هذا التغيير، ما هذه العاصفة الإجتماعية التي هبت عليك من كانديله لتغير طريقتك في الحياة التي نشأت عليها ولم تتغير حتى شهر قليلة.

- يا بابا أرجوك اسمعني..

- لأ يا ياسمين، اسمعيني إنت ولا تقاطعيني في الحديث، أنا منتظرك لكي أتحدث معك في هذا الأمر لأنه بقى خارج احتمال طاقتي. أنا ما زلت غير قادر على الاستيعاب، أن تزلزل شخصية الإنسان في يوم وليلة إلى هذا الحد وبأسباب تافهة وبأشخاص تافهة وحوارات تافهة..

- يا بابا ليه بس الكلام الجارح ده، ليه تقول تافه..

- مرة ثانية لا تقاطعيني يا ياسمين وإلا سوف أتخذ موقفا صارما تجاه هذا الأمر، أنا ما زلت بتعامل معك بخصوص هذا الموضوع كأصدقاء وب عقلية أب يحاور ابنته. أنا لن أتركك ترتدي ثيابا اجتماعية مهلهلة فوق ثيابك الإجتماعية الغالية، لن يحدث هذا وإلا فمعناه أن تربيتي لكي كانت هشة. أنا لا أتصور كيف يحدث هذا التحول لصالح شخص خارج إطار العيلة، شخص قد نراه

على ناصية شارع أو في محل صغير أو أي مكان آخر ولا يسترعي انتباهنا ثم يصير هذا الشخص هو محور اهتمامك وحياتك!! كيف يكون هذا خاصة أن كل ما حدث ضد رغبتني، لا أستطيع إيجاد أي تفسير سوى إما تأثير صدمة السيارة عليك يوم الحادثة، أو سحر من هؤلاء الناس، أو نزوة ونشوة اجتماعية طارئة هبت عليك بفعل الإعجاب بشيء لم تره عينيك من قبل ولكنها سوف تتلاشى وهذا هو ما يصبرني.

- يا بابا يا حبيبي بالراحة عليا شوية..

- حبيبك فين وبأمانة إيه، أنا لو حبيبك فعلا كنت سمعت كلامي أو على الأقل فكرت فيه وعقلتيه ولكن أنت مندفعة كتير ماء من شلال مندفعاً من أعلى إلى أسفل ليصير كالزبد يتحول مع الوقت إلى رغاوي ليس لها قيمة. لو بتحبيني فعلا وحاملة على أكتافك تربية السنين وبتقدري انتمائك لأسرتك كُنت توقفت عن هذا الهراء وهذا اللعب وهذه الغواية، واستمعت إلى صوت العقل وصوت أسرتك ولكنك اندفعت وقررت وماشية في طريقك لوحداك دون أدنى اعتبار لأراء أسرتك وعائلتك الكبيرة التي أجمعت كلها على أن هذا هراء. فلا تحدثيني عن الحب وأنت لا تلقي بالا بحب أقرب الناس إليك، من كرسوا حياتهم فقط لإسعادك ..

حاولت «ياسمين» أن تقاطع والدها أو على الأقل تخفف حدة نبرته التي بدأت تتصاعد وتحتد بغضب نائر بداخله يحاول أن يخفيه، ولكنها ترى هذا الغضب في كلماته ونظرات عيونه وملامحه وهو لا يدري، ولكن

لم تستطع؛ فقد تملك الغضب «شوقي» بك وسيطرت عليه فكرة نزوتها الطائشة وشكه في دوافع صلاح كاندليه السيئة تجاه ياسمين.

- يا بابا أرجوك تسمعني، دعني أوضح لك الأمور وما عند صلاح وماذا ينتظر صلاح.

- صلاح صلاح صلاح، من صلاح وماذا يمتلك صلاح، وماذا يستطيع أن يقدمه صلاح. كيف تقدمه للناس وهو بلا شهادة وبلا عمل وبلا مسكن وبلا عائلة وبلا مستقبل، ماذا لديه سوى اسم وحفنة من الأعوام التي قضاها مع عائلة عزيز كطفيل، ماذا لديه سوى غرقة قدرة في حي قدر، حجرة ليس بها أي شيء حتى أساسيات الحياة، ماذا لديه سوى طاقم ملابس وحيد اشتراه ثاني يوم من مقابلتك لكي يبدو لك الفارس المغوار بعد أن كانت هيئته مذرية لا تتغير، ملابس رثة عفنة وملامح وأيدي متربة، وعيون لا يستطيع أحد تمييزها عن الخرقلة المهلهلة التي يرتديها كعامل تافه لا يأبه له أحد. ماذا لديه سوى بعض أشلاء الكلمات التي يحفظها عن ظهر قلب من الأيام الخوالي عند عزيز بيه ويتشدد بها كلما حانت الفرصة له ليقنعك بأن لديه شيء. ماذا لدى صلاح هذا سوى الفقر من أمامه وكاندليه من وراءه.

- وليه ما يكونش صادق، وليه ما يكونش عنده طموحات زينا والزمن هو الذي أحال بينه وبين طموحاته. ومن يدري لعله يحقق كل ما فاته طالما لديه الإمكانيات النفسية والعقلية والطموح والأمل وهذا ما لمستته فيه.

- فليكن ما تقولي، فما علاقتنا نحن بذلك، هل يجب أن نتحول إلى مصلحين اجتماعيين، نبحث عن اليتامى واللقطاء والفقراء وعابري السبيل لكي نصلح من شأنهم على حساب شأننا، هل هذا هو العقل، هل هذا ما تعلمت في تخصصك في علم الاجتماع، هل يتحول العلم إلى حالة مذرية تمشي على الأرض، يجب أن تظل يبقى العلم علما مجردا لكي يستطيع الحكم، يجب أن تظل الفوارق الاجتماعية شامخة حتى نستطيع التمييز بين طبقات الناس وتستمر الحياة كما جبلت على الطبقية والاختلاف..

ولكن لماذا لا يكون هناك استثناء في قوانين الحياة كما أوجد الله استثناءات وبأسباب لكل شيء حتى يتعلم منها الناس وحتى تصير هذه الاستثناءات وقفة يستعيد فيها الناس أنفاسهم في طريق الحياة الذي يلهث فيه الغني والفقير والصغير والكبير والأمير والفقير، وقفة يفكر ويتدبر فيها الناس مشوار حياتهم ويعيدوا الحسابات فتتولد لديهم قوة أمل دافعة في الحياة ويصدقوا على أن كل شيء جائز حدوثه طالما شاء القدر.

- حتى ولو كان ما تقوليه صحيحا، وحتى لو انطبق ذلك على صلاح هذا، فلن أجعل من ابنتي الوحيدة طرفا في هذا الاستثناء، فليبحث هو عن طرف آخر غيرك، وليحقق نظرية الاستثناء هذا بعيدا عن عائلة شوقي التي كافحت وتفوقت وأخذت بالأسباب حتى تصبح على ما هي عليه. فلن أسمح أبدا أن يأتي طفيل ويتغذى على جسد العائلة ثم يرحل ليلعق جسدا آخر ليعيش حياته كلها طفيل

كما تطفل من قبل على جسد عائلة عزيز بيه وتركها بعد أن أخذ ما أراد، والآن حانت له الفرصة التي جاءت له على طبق من فضة ليتطفل على جسد عائلتي، وعلى أعز قطعة في الجسد وهو أنت يا دكتورة ياسمين والتي لم أتصور أبدا أن تنزلي بين يوم وليلة إلى هذا المنزل الخطير الذي سوف تدمين عليه لمجرد انزلاقك فقط مدى الحياة.

- يا بابا هون على نفسك، الأمر ليس كما تظن أنه علاقة طفيل بجسد، ولا مرتب بهذا الأمر..

- أنا لا أبالي يا ياسمين بما وكيف تظنين، الأمر تعدى الحدود ولن أسمح بالمزيد ولن أقف مكتوف الأيدي أمام انزلاقك في هوة وحفر الحياة المظلمة وأنا على قيد الحياة، جميع التحليلات والشواهد والمراقبات تؤكد لي ظنوني في نظرية المؤامرة في علاقة الطفيل بالعائلة، ولن أسمح أبدا أن أكون عائلا لطفيل. أنا تعودت أن أنظف جسدي أولا بأول حتى لا تتعلق بي وتلعقني الطفيليات، وتعودت أن ألقى بفضلات بعض ما لدي أول بأول لهذه الطفيليات ولكن عن بعد حتى تبقى بعيدة عني وأمن جانبها وأسنانها ولعابها الذي لو أتاحت له الفرصة فسوف يستمتع بنهش لحمي. فكيف لك أن تركني للطفيليات وتصدقني أنها بريئة في عالم الكل فيه متهم حتى تثبت إدانته.

- كلام حضرتك قاسي النهاردة قوي يا بابا، لم أعود منك على هذه النبرة ولا هذه الفلسفة ولا هذه الأبجديات التي تنظر إلى

الجميع على أنه متهم أو طفيل وعلى المصلحة المطلقة بعيدا عن الإنسانية. كيف ترى حضرتك العالم بهذه الصورة الأحادية وكأن الأغنياء مطلب وفريسة للفقراء لأنهم طفيليات. اسمحلي يا بابا اختلف مع حضرتك لأن العالم لا يمكن أن يسير ويتطور ويأمن على نفسه بهذا المنطق وإلا لو علم الفقير أنه طفيل ولا بد أن يحيا على حساب فريسته، ولو علم الغني أنه الفريسة للطفيل لتحولت الدنيا إلى غابة كبيرة لا غالب فيها إلا القوي.

- مؤكد البقاء للأقوى، وإلا لم يخلق الله تنافسات الغابة ليعلمنا أسس الحياة وكيف نكون أقوى وكيف نحافظ على قوتنا ومصدر تميزنا.

- ولكني يا بابا أرى الحياة جميلة بالتسامح، وجميلة بالتعاون والتلاقي والتكامل، وجميلة بالتنافس بشرف دون تطفل. والحياة ملأنة بالعديد من الأمثلة التي تثبت وجهة نظري هذه. فيكفي علاقة الأولاد بالأب والأم والعكس كعلاقتي بحضرتك ومامي، علاقة خالية من كل مصلحة أو نفاق مع أنك تكفلني وتكفل ماما، إلا أننا نحبك ونخاف عليك حتى لو أصبحت فقيرا. يا بابا ربنا خلقا أمما وطبقات لتتعارف وليس لتتناحر، وخلق الكبير والصغير والمريض والسليم والذكر والأنثى والأبيض والأسود والماء والنار والظل والحرور والصلب والمائع وغيرها من آيات الله فقط حتى نتعلم منها كدليل على أهمية التكامل والتعاون. أرجوك يا بابا ألا تجعلني أنظر إلى الحياة بهذه الرؤية لأن لا قلبي ولا عقلي يتحمل

ذلك، أنا أحب الحياة وأرى فيها الكثير من الأمور الجميلة التي تستحق أن نرعاها .

- أنا لا أنكر التعاون ولا التكامل ولكن كل في طبقتة، أما بين الطبقات فهي الخدمة أو حياة الطفيليات. وأنا لا أرى علاقة صلاح إلا من هذا المنظور الواقعي الذي يصعب عليك إدراكه .

- ولماذا لا يكون العكس لتصبح العلاقة مقلوبة تماما!!؟

- ماذا تقصدين بذلك، لم أفهم وجهة نظرك، أرجو التوضيح يا ياسمين .

- أنا أسفة على ما سوف أقوله يا بابا ولكن مجرد وجهة نظر من خلال واقع رأيتة .

- وما هو هذا الواقع وما هي وجهة نظرك، قصي عليّ، نوريني يا ست الكل، أزيديني يا دكتورة !!

- أقصد أقول ولماذا لا يكون الأغنياء هم الطفيليات على جسد الفقراء!!؟

- أولا، كيف تجرئي على قول ذلك يا ياسمين وأسرتنا تُعد من الأغنياء. ثانيا، ماذا عند الفقراء ليتطفل عليهم الأغنياء. ماذا لدى صلاح لتطفلي عليه!!؟ وجهة نظرك غير معقولة، بل مرفوضة تماما .

- من وجهة نظري أن الفقراء لديهم الكثير، يكفي أن لديهم الصبر، وقوة الاحتمال، والقبول بالأعمال الدنيا، والرضا بالقليل، والانتماء لصاحب العمل، والكثير من الصفات المتعلقة بإنهاء الأعمال على أكمل وجه لإرضاء صاحب العمل. ماذا بعد ذلك يحتاج الغني من الفقير، ألا يُعد ذلك نوع من تطفل الغني على الفقير، تطفل القوة على الضعف، قوي يدفع القليل من المقابل للفقير مقابل العمل الكثير. أليس هذا سببا في زيادة الفقير فقرا وزيادة الغني غنا فتتسع الهوة بينهما. أليس ذلك سببا في تقوقع الفقراء بعيدا عن الأغنياء كما في كاندليه والأغنياء بعيدا عن الفقراء كما في حينا. ليه ما تكونش العلاقة تكافلية، وكل طرف يستفيد ويرتقي كما يشاء. لماذا ننظر إلى العلاقة كطفيل وفريسة. لماذا ننظر حضرتك للعلاقة بيني وبين صلاح من هذا المنطلق، لماذا لا ننظر إليها بأنني مستفيدة وهو مستفيد، مع أني ضد مصطلح الإفادة والاستفادة في العلاقات الخاصة.

- شوفي يا ياسمين، أنا كنت لحد المقابلة الأخيرة مع عائلة عزيز بيه مش مصدق أي علاقة بينك وبين صلاح كاندليه، وكنت شاكك ولكني تأكدت من ذلك يوم الزيارة، والآن من خلال دفاعك عن العلاقة. والآن أكرر عليك عدم ترحيبي بهذه العلاقة أيا كان اقتناعك بها مهما كانت الأسباب.

- يا بابا، سيبيني أفكر المرة دي بنفسي، يمكن أكون محقة!!

- ياسمين، يعني لو أنا طلبت منك تسيبيني أفكر براحتي أنا كمان

وأنزوج سيده من أهل كاندليه بلا تعليم وبلا ثقافة وبلا مال وبلا مأوى ولا عمل وبلا عائلة، هل توافقي؟! إذا وافقت الآن فسوف أنادي ماما لآخذ موافقتها وأتوكل على الله. قلت إيه؟!؟

وقعت كلمات «شوقي» بك على أسماع ياسمين كطلق نارى من العيار الثقيل محشوة بكلمات صدمت أذنيها. ومن هول مفاجأة الكلمات، لم تستوعب ياسمين اللحظة لتجاوب على سؤاله. تلعثت وآثرت الصمت إلا من شفاه تهمس بلا صوت حتى تلملم أشلاءها من هذا السؤال الصادم. لم تتوقع أبدا أن تسمع هذا السؤال من والدها الذي بالطبع أراد أن ينتصر على رؤيتها بالضرية القاضية بعد أن أعيته كل الحيل في إقناعها لإثباتها عن رؤيتها في الارتباط بصلاح كاندليه.

- مالك يا ياسمين، سكت لي، سؤالي مفاجئ ليك أكيد ولكنه مؤكد واقعي وممكن حدوثه. كل ما أحججه لتحقيق ذلك هو ركوب سيارتي في حالة غضب كما أشعر الآن وأتجه إلى حي شعبي عشوائي مثل كاندليه وأصدم نفسي عنوة في عمود هناك لتخرج إليّ ست من كاندليه وتبتي الحكاية من هناك وأيضا تنتهي هناك كما حدث معك تماما. إيه رأيك لو ده حصل، هايكون موقفك وموقف ماما إيه؟

حاولت «ياسمين» أن تلملم أشلاءها أثناء استرسال شوقي بك في الحديث وضرب الأمثلة ولكنها ما زالت لا تدري كيف ترد على هذا السؤال، ولكنها التقطت الخيط من آخر حديثه عن موقف مامتها. بلعت ريقها بهدوء وأمالت ظهرها إلى الخلف لتستد على ظهر الكنية فقد رجتها كلمات والدها الذي نقل الكرة من ملعبه إلى

ملعبها ليجعلها تقف موقف الهجوم عليه لو استطاعت بدلا من هجومه عليها. ذكرها سؤاله المفاجئ هذا بسؤال سيدنا إبراهيم للنيروز مع الفارق في التشبيه كما جاء في القرآن: «إن الشمس تشرق من المشرق فأت بها أنت من المغرب، فبهت الذي كفر». حاولت أن تخرج من نفق هذا السؤال بدعابة تخفف من حدة الموقف: يا بابا، حضرتك متجوز وسعيد، إيه إللي هايخليك تفكر في الزواج، وبعدين ماما استحالة هاتسب حضرتك تتجوز من أي واحدة تانية سواء من كانديه أو غيرها.

- ياسمين، أنا مش بهزر، أنا إديت مثال وعايز أعرف موقفك ورؤيتك منه؟!!

- والله يا بابا سؤال حضرتك فاجأني وصعب الإجابة عليه، سؤال أريكني لأنه أخذني إلى شارع آخر من المشاعر مختلف تماما عن الذي كنا نسير فيه منذ قليل. وأطبقت ياسمين نظرها إلى سقف البهو تبحث فيه عن لون السماء الصافية لعلها تلمها بإجابة تستطيع بها إقناع شوقي بك حتى لا تخر صريعة على خشبة المسرح أمامه وينتهي كل شيء.

وعندما لاحظ «شوقي» بك ملامحها المتحيرة مع صمتها ونظراتها المحلقة ناحية السماء تأكد له أنها في مأزق فكري لأنه يعرف دواخلها كما يعرف دواخله وقت الفرح والحزن. تنفس شوقي بك الصعداء وانشرحت دواخله في نشوة بالغة ليس فقط لشعوره بإمكانية عدول ياسمين عن موقفها ولكن لانتصار أبوته التي تبحث دائما عن الخير لذريتها ولكن بطريقتها.

- طيب واضح أنك اقتنعتِ بوجهة نظري وواقع الأمر وهذا ما كنت أتمناه لخوفي عليكِ وحيي الجارف لكِ.

- يا بابا أنا صمت ونظرت إلى السماء ليس هربا من السؤال أو عدم قدرتي على الإجابة أو أنني انقلبت على موقفي، أبدا. أنا ما سيطر على فكري الآن هو قدرة العقل البشري على غزل الحوار وشده وجذبه مع الآخر كيفما يشاء وبمهارة عالية تؤكد على إبداع الخالق في خلقه أيا كان خلقه ذكرا أو أنثى، أو غنيا أو فقيرا، أو سعيدا أو حزينا. نعمة التفكير والتدبر آية من آيات الله وهبها لنا لندرك الحياة حولنا بثوابتها واستثناءاتها. سؤالك الفاصل هذا يا بابا علمني أيضا كيف أن مواقف معينة في الحياة يرتبها القدر لتكون فاصلة بين طرق أو علاقات كما فعل سؤالك تماما الآن عندما نقلني من وجهة نظر إلى وجهة نظر حول نفس الموضوع..

وهنا تدخل «شوقي» بك بلذة الفوز على ابنته في تعديل تفكيرها حتى لا يدع لها الفرصة لتبدأ الحوار من أوله لصالحها بعيدا عن إجابة سؤاله: يا ياسمين هذا آخر سؤال سألته ليكٍ ومحتاج إجابته منك لكي ننهي هذه المناقشات الجدلية حتى ترتاحي وأنا أرتاح.

- أنا آسفة يا بابا، بس سؤال حضرتك ليس مبنيا على موقف من الحياة ولكنه تم صياغته وهندسته لكي يفند أمرا ما، ولكن استثناءات الحياة لا تأتي بوضع الأسئلة مسبقا بل بالبحث عنها بعد أن نعيش أحداثها في الحياة. من وجهة نظري أن وضع السؤال مسبقا في هذه الحالة يشبه من أراد أن يؤلف قصيدة وليس لديه

موضوع لا في قلبه ولا عقله مما يجعل القصيدة ولو كُتبت غير مقنعة لمن يقرأها حتى لكاتبها.

- أنا لا أفهم شيئاً مما تقوليه، سؤالي واضح جدا وقد يحدث!
- فعلا، قد يحدث ولكنه أيضا قد لا يحدث وهذا هو الفارق الكبير بين النية وبين ترتيبات القدر التي لا مفر منها. تستطيع حضرتك أن تتركب سيارتك وتتجه نحو كاندليه، وتستطيع أن تصدم العمود، ولكن لن تستطيع أن تُخرج من بين آلاف الناس هنا أو هناك سيدة واحدة تأتي إليك أنت في هذه اللحظة المتفردة، وحتى لو أتت فقد لا ترتاح أنت إليها أو لا ترتاح هي إليك سواء كانت من كاندليه أو خارجها. أما إرادة القدر فهي مرتبة مسبقا ودون أن ندري وبلا تخطيط مسبق، بل قد تأتي على عكس كل تخطيطنا وإرادتنا وتوقعاتنا. هذا هو الفارق يا بابا بين ترتيبات البشر وترتيبات القدر، ترتيبات البشر قد لا تحدث حتى ولو خططنا لها، أما ترتيبات القدر فهي نافذة حتى ولو ابتعدنا عنها. هذا هو تماما الفارق بين سؤال حضرتك وما فيه من ترتيبات وما حدث لي بالفعل في كاندليه ولم أخطط له على الإطلاق.

- أخذتيني إلى الفلسفة تاني يا ياسمين، إنت واضح إن ما فيش فايده فيك. قالها «شوقي» بك وهو في حالة من اليأس من إفتناع ابنته كما بدا في ملامحه مع أنه في داخله مقتنع بكل كلمة لحبيبة قلبه ياسمين. ماذا يفعل في هذا الصراع الخفي عن ياسمين بين قلبه المنحاز لها وبين عقله الراض ل فكرها، ماذا يفعل في هذا الموقف الفاصل في حياة ابنته الذي لا يعلم عواقبه إذا تم إلا الله

سبحانه وتعالى. موقف نادر الحدوث في الحياة ولكنه حدث مع
أعز ما لديه في الحياة. أياكون هذا الموقف النادر الحدوث الذي
جمع بين ياسمين وبين صلاح كالمرض النادر الذي قد يقضي
عليها، أم هو كالاكتشافات العلمية النادرة التي تحول مجرى الحياة
كلها إلى الأفضل. أم أن القدر يراقبني ويعاقبني على علاقتي
مع بعض أهل كاندليه مثل المعلم محمود وأمثاله واستخدامهم
في تنفيذ وتحقيق أهداف التجارة ولو بصورة غير سليمة، حقا،
وكما تقول ياسمين، إنها ترتيبات القدر التي تحدث لنا على
مفترق طرق الحياة لتتبعها طواعية أو عنوة وسواء باختيار أو بلا
اختيار، تماما كما حدث معي وأنا في عمر صلاح مع زوجتي
أم ياسمين، رتب القدر لي ما لم أكن أحلم به وقد كان ما كان
من كل الأحداث الجميلة. لماذا أنكر على ابنتي ترتيبات القدر،
القدر لا يعرف المجادلة ولا النقاش ولا الأسباب ولا المسببات،
القدر فوق كل الثوابت والأسباب. القدر يجعل من النقاش طرفا
في الإقناع كما يحدث الآن مع ياسمين، فكلما هممت بسؤال أو
حجة ظنا مني أنها الضربة القاضية للموضوع، تأتيني الإجابات
المعصدة للموضوع. لست أدري ماذا أفعل يا بنيتي، أعيتني الحيل
وأعياني التفكير، وجفت حبارتي وجف قلبي أمام سيل أفكارها.
وبقدر ما أنا في صراع بين قلبي وعقلي بقدر ما أنا فخور بابنتي،
بفكرها وجرأتها وفلسفتها. فلأصبر عليها ولننحي هذا الموضوع
جانبا بعضا من الوقت وليفعل الله ما يشاء لعله يحدث من بعد
ذلك أمرا طيبا وعلامات مضيئة وهادية لي ولها.

- إليه السرحان ده كله يا بابا يا حبيبي، رححت فين بعيد عني، أد كده الموضوع ده مضايق حضرتك، أد كده أنا عاملة لحضرتك مشكلة. وكأنها قرأت توارد أفكار شوقي بك وقراره في الصبر عليها: عموما يا سي بابا إنت أعلى عندي من كل من حولي، أنت حبيبي الحقيقي ومثلي الأعلى في الحياة وأوعد حضرتك إنني أقلل من مقابلاتي مع صلاح إلا في العمل لو وجد حتى أختبر مشاعري الحقيقية وموقف قلبي وعقلي من هذا الموضوع. بس أحب أقول لحضرتك يا بابا أنا مقتنعة أن تباشير حلو الحياة يأتي عندما يتوافق ويلتئم شمل القلب والعقل، وهذا ما أشعر به الآن تجاه صلاح ولكني سوف أفعل كما وعدت حضرتك ولعل الله نافذ في أمره شيء يهديني ويرشدني إلى ما فيه الخير.

- وهو كذلك يا ياسمين، ربنا يهدينا ويوفقنا إلى اتخاذ القرار المناسب وما فيه الخير.

- ربنا يخليك ليا يا أحسن وأحن أب في الدنيا كلها.

وبابتسامة فيها الدعوات الطيبة التي يحفظها العالم أجمع، ضم شوقي بك ياسمين إلى صدره ليذيبها في حضن دافئ أفقدته منذ تعرفها على صلاح كانديله.

ضمت ياسمين والدها وتمنت أن تبقى تلك اللحظة إلى الأبد، فقد شعرت أن دفء حضن والدها ولغة أنفاسه ودقات قلبه تحمل كلها تباشير الفرح.



وقبل أن تقبل ياسمين جبين والدها وتتصرف، رن هاتف شوقي بك وكأن القدر يرتب لباقي الأحداث التي تنفذها الأطراف من العائلات المختلفة وهم يظنون أنها اختياراتهم وقراراتهم.

- أهلا بيبك عزيز بيه، يارب تكون بخير والأسرة بخير.

- كلنا بخير الحمد لله ولكن نرجوا تقبل دعوتنا لكم على الغداء نهاية هذا الأسبوع في فيلتي المتواضعة. ولكم الحرية الكاملة في دعوة ما ترونه، وأنا بدوري سوف أدعوا الضيوف الذين قابلتهم عندكم المرة الماضية، صلاح وأدهم والإمام.

- طبعا يسعدني جدا عزيز بيه، وياسمين بجواري وكل ملامحها تجيب بالإيجاب والفرحة. وشكرا جدا على الدعوة الكريمة.

- نراكم قريبا وتمنياتى لكم بكل الخير وتقبلوا تحياتى.

وبمجرد أن أغلق شوقي بك هاتفه قال: ياسمين، واضح إن هناك تحولات لدى أسرة عزيز بيه، في أي اتجاه، لا أدري ما هي.. ولكنى قبلت الدعوة.

- أتمنى أنها تكون تباشير خير يا بابا. ضحكت «ياسمين» وقبلت جبين شوقي بك وانصرفت ولسان حالها يتمنى أن تمطر السماء تباشير الفرح حولها في كل مكان.



الفصل الثلاثون

«القدر لا يعرف المجادلة ولا النقاش ولا الأسباب والمسببات،

القدر فوق كل الثوابت والأسباب»

حالة هرج ومرج وصياح وسب وقذف لا أحد يعلم من وراءها .
سيوف تلمع في الهواء وسنج وسكاكين وعصيان غليظة كتلك التي كانت
تستخدم في عصر الفتوات. تتزايد الأصوات ويحتد الصراخ حتى كاد
أن يصم أذن صلاح الذي ما زال مستسلماً لملائكة النوم في سريره لأخذ
قسط من الراحة بعد عودته من عمل اليوم الشاق وقبل أن يقابل أدهم
في المساء لإنهاء المشروع وتقديمه مع أدهم في الصباح الباكر .

لم يلق صلاح بالال لهذا الصخب ولا لهذا العراك فهو قد اعتاد
عليه في الحي من وقت إلى آخر بين أهل كاندليه أنفسهم أو مع أحد
من المترددين عليها . دس نفسه في السرير مرة أخرى بعد أن وضع
المخدرات على أذنه محاولاً أن يقلل من حدة الصراخ الذي تزايدت
حدته وكأنه قنبلة صوتية تزلزل الشارع هناك أسفل حجرته .

وعبثاً حاول صلاح أن يعود إلى النوم الذي يطلبه، فلا هو قادر
على النوم ولا هو قادر على النزول إلى الشارع لعمل الواجب والمشاركة
في هذا العراك. تمالك نفسه وفرك عينيه ليطل من الشباك من
حجرته على الشارع ليفاجأ بأعداد غفيرة من رجال ونساء وأطفال

المنطقة وبأيديهم كل أنواع الأسلحة البيضاء والسوداء ولكن بلا عراق،
ماذا يريدون لا يدري!!

تعجب صلاح من الذي يراه، فعادة أهل كاندليه هي العراق
وليس التجمع للمظاهرات. أينزل الشارع ليدرك ماذا يحدث أم يبقى
في حجرته في هذا اليوم الهام حتى لا ينخرط في هذا الشغب فينال
الأذى ولا يستطيع الانضمام إلى أدهم هذا المساء.

وفجأة تذكر صلاح بعد أن أفاق من نومه، أن لديه أوراقا تابعة
للمشروع كان قد عكف عليها مساء أمس على أن يسلمها لأدهم اليوم
في مكتبه بوسط المدينة. توتر صلاح كثيرا وخاف على هذه الأوراق
فكيف يوصلها إلى أدهم لو تطورت الأحداث اليوم، فلا هو يستطيع
أن يخرج من كاندليه دون الانخراط فيما يحدث ولا أدهم يستطيع أن
يأتي هنا اليوم وسط هذه الأحداث. ماذا يفعل وميعاد تسليم المشروع
غدا والأوراق التي معه هي حصيلة الأفكار في آخر اجتماع. ليتني لم
أحتفظ بها وتركت ياسمين أو أدهم يسهرا عليها كما طلبا مني وقتها.

ماذا أفعل الآن، أتصل بالشيخ لعله يستطيع عمل شيء أو أتصل
بأدهم أو ياسمين لعلمهم يستطيعا كتابة ما في هذه الأوراق عن طريق
التليفون. تراجع صلاح عن الاتصال بأي من أدهم أو ياسمين حتى
لا ينزعجوا ويتوتروا في هذا الوقت الحرج وآثر أن يصبر لعل الشارع
يهدأ بعد قليل. وما إن قرر أن ينتظر في حجرته قليلا قبل أن ينزل
الشارع إلا أنه فوجئ باتصال تليفوني من الشيخ يحذره من النزول
الآن لأن ما يحدث في الشارع سببه فتنة دسها أحدهم متعلقة بمشروع

تطوير كاندليه وأن المحافظة سوف تقضي على المنطقة وتطرده أهلها لتبني أبراجا سكنية وفنادقا ولذلك جن جنون أهل كاندليه وهم الآن متوجهون إلى مبنى المحافظة، ولكني علمت أن المحافظة أرسلت قوات أمن - في الطريق- لعمل حزام أمني ومنعهم من الخروج.

- ولكن يا عم الشيخ إنت عارف إن أهل كاندليه لا يهمهم أمن ولا خلافه وسوف تتحول المنطقة إلى عراق دموي لا نعلم نهايته أو إلى أي شيء سيبأخذ المنطقة، علاوة على أن المسابقة كده ممكن تتلغي. أتصور أن الحل لا يمكن أن يكون أمنيا بل يجب أن يصاحب الأمن قادة كبار يشرحون وجهة نظر الحكومة بالضبط واضطلاع أهل المنطقة على الخطة المطروحة وكيف أنها سوف تفيد أهل كاندليه. ولو حدث ذلك فمؤكد في صالح المشروع. ولكن يا ترى من دس هذا الخبر بين أهل كاندليه بهذه الطريقة لتشن الحرب هكذا في وقت نتطلع فيه إلى الهدوء من أجل الاستفادة من المشروع.

- يا صلاح يابني الوطاويط كثيرة من داخل وخارج كاندليه، ممكن يكون وطواطا مننا زي المعلم محمود أو حد من صبياناه سواء بحقد منه على علاقتك بياسمين أو بإيعاز من والد ياسمين نفسه لأنه غير مرتاح لمثل هذه العلاقة أيا كانت نوعها. لا تتسى أننا مؤكدا لا شيء لهؤلاء الناس بل من الممكن أن نكون نجسا. ومن الممكن أن يكون وطواط تابعا لرجال الأعمال الذين تعودوا على نهب المناقصات التي كانت لقمة مضمونة وسائغة لهم في الماضي

بدلاً من المنافسة الآن. عموماً لا تشغل بالك يا صلاح بالطواييط فهي هنا وهناك ولن تنتهي ولكن ابقى دائماً منيراً وحولك نور حتى تهرب منك الطواييط. ابقى في حجرتك ولا تتحرك ولا تتصل بأحد إلا إذا اتصلت بك.

وقع قلب صلاح من صدره إلى قدمه ولم يدري ماذا يفعل الآن لو تطور الأمر وزار حجرتة أحد الطواييط وعن عمد فهو لا يثق ولا يأمن الآن في زائر. فكر أن يذهب إلى المسجد ومعه الأوراق ويتركها هناك ليقينه بمكانة إمام المسجد في نفوس أهل كاندليه مهما كانت الظروف. اتصل سريعاً بالشيخ ليستأذنه قبل أن يترك حجرتة كما طلب منه، ولكن لم يوافق الشيخ، وللمرة الثانية طلب منه ألا يترك الحجرة إلا بتليفون من الشيخ شخصياً. حار صلاح ماذا يفعل في هذه الورطة فلا هو قادر أن ينزل وينخرط بالناس ولا هو قادر على الاتصال بأي من أصدقائه ولكنه في نفس الوقت واثق جداً في حكمة الشيخ.

وبعد مرور حوالي النصف ساعة قضاها على أحر من الجمر وعلى أعصابه، رن جرس التليفون ليجد الشيخ يطلب منه النزول الآن وأن يتجه إلى المسجد مع تجمعات الناس على ألا يهتف أو يصرخ مثلهم. لم يفهم صلاح شيئاً من الشيخ بل زاد اضطرابه ولكن الشيخ طمأنه وكأنه شعر بأنفاسه من خلال الهاتف: لا تقلق يا صلاح فأنا أراقب الموقف وعلى اتصال بقيادة المحافظة لعمل اللازم حتى يهدأ الموقف. خذ بالك يا صلاح واستعد لأن ممكن يكون لك دور في ذلك.

- كيف يكون لي دور في هذا الهرج والمرج وأنا لا أستطيع النزول من مكاني براحتي.

- لا تتلقى توكل على الله وأنا في انتظارك، ولعل في كل هرج فرج .

أغلق صلاح الغرفة، وأخفى أوراق المشروع تحت قميصه وتوكل على الله ليلحق بالحشد الهائج والمتجه بصياحه إلى المسجد . وما إن دلف إلى الشارع حتى فوجئ بأعداد غفيرة كما كان يتوقع وكأنها مظاهرة انقلاب على الحكم، تعجب، من له القدرة على جمع وتحريك هذه الناس وبهذه القوة وجعلهم يلتفون حول هدف واحد وكأنهم في معركة حربية تتجه ناحية قلعة العدو . تعجب كيف لقوة الحرافيش أن تخرج بهذا الشكل المهيّب، وتعجب أكثر لماذا لا يستفاد من هذه القوة الجبارة الكامنة في النفوس الفقيرة، لماذا لا تتحرك إلا في الغضب، لماذا لا تتحرك في البناء، وتعجب صلاح من القيادة أو الأمن الذي بمقدوره أن يتحكم أو على الأقل ويهدئ من هذه القوة العارمة التي لا يحكمها منطق ولا قانون، لا يحكمها إلا العرف الذي اتفقت عليه فيما بينها .

اندس صلاح في مؤخرة الحشود دون أن يلقي أحد بالا سوى بعض أهل المنطقة الذين يجرون أرجلهم ليلحقوا بالجموع فقط ليشاهدوا جبابرة كاندلييه وهو يتقاتلون ويستعرضون قواهم بلا هيبة أو خوف من أي كائن كان . فهذه اللحظات من المعارك سواء مع بعضهم البعض أو مع الغرباء عن المنطقة تمثل ملحمة لكثير من أهل كاندلييه لإثبات الذات والتأثير والقدرة على تحقيق ما لا يستطيعه غيرهم ولو التجرؤ على إشعاله . إنها النفس البشرية التي تبحث دائماً عن دور حيوي لها في الحياة ولو بالبطلجة، وأقصى أنواع البطلجة هي بلطجة الفقر والجهل .

رويدا رويدا اندس «صلاح» بين الناس حتى وصل بهدوء ودون أن يشعر به أحد إلى مقدمة الحشد الذي يتجه الآن وبقوة ناحية الجامع، المكان الذي تعود عليه أهل كاندليه في حالة الاحتجاج اقتناعا منهم بقدسية الجامع ومكانته ولاستخدام الساحة الوحيدة في كاندليه الذي تحتوي العديد من أهل المنطقة.

فوجئ صلاح بجحافل الأمن تتصدى لهذه الجموع الجارفة ولكن عن بعد عن طريق تشكيل دائرة أمنية من جنود الأمن المركزي. فوجئ صلاح بوجود المحافظ وبعض رجال الأمن ورجال المحافظة وأعضاء مجلس الشعب وبعض رجال الأعمال. وكاد يغمى عليه عندما رأى شوقي بك بين رجال الأعمال. يا ترى ماذا أتى به إلى هنا، هل بحكم نفوذه أم بحكم المسابقة التي قدم عليها أم بسبب علاقته بإسمين، فجاء ليشاهد ليس فقط سقوط صلاح كاندليه ولكن كاندليه نفسها في بئر من الدم لينهي قصة لم تكتمل بعد، قصة كاندليه التي خطبها وخاطبها الكثيرون من قبل ولم تنجح الخطبة وقصة صلاح وإسمين التي تواجه أعتى التحديات ليس كلاما بل بالسلاح الآن. تذكر صلاح كلماته لإسمين عن مطبات الطريق وكم أن مطبات الحياة أقسى وأعنف وهو يقود سيارتها إلى منزلها بعد أن تعافت، وتذكر رد إسمين وهي تؤكد له أن مطبات الحياة من الممكن تفاديها والتغلب عليها تماما مثل مطبات الطريق. يا ترى أين أنت الآن يا إسمين، كم كنت أتمنى ان أحادثك الآن ولكني لا أستطيع بسبب وعدي للشيوخ وبسبب هذه الجموع الغفيرة ولا أريدك أن تشاهدي هذه المعركة التي قد تودي

بحياة كاندليه وحياة قصتنا . فلأصبر وأرى ما يخبئه القدر وما عند الشيخ من معلومات .

نظر صلاح يمينا وشمالا باحثا عن الشيخ، وأخيرا وجده وراء قادة الأمن والمحافظ محاولا التمسك بوقاره وهدوئه . اطمأن قلب صلاح بمجرد أن رأى الشيخ فليحدث ما يحدث الآن، وتنفس الصعداء بعد أن توسط الصف الأول من الجموع، ويديه على خلاف كل من حوله، خالية من أي سلاح، وزيه مختلف إلى حد بعيد عن الآخرين، فبدا وكأنه يشبه أهل كاندليه . وفجأة دب ضجيج وهرج ومرج بين المتجمعين من أهل كاندليه محاولين اختراق الحاجز البشري من قوات الأمن المدججين بالسلاح للوصول إلى قيادات المحافظة والفتك بهم ظنا منهم -كما أشيع- أن المنطقة بحالتها الحالية وسكانها سوف تتلاشى ويحل محلها الأبراج السكنية والمولات، وسوف يطردون شر طردة بلا مقابل، وهكذا تتلاعب الكلمات المدسوسة بمشاعر الناس وخاصة الفقراء والأميين لتجعلها إما ألواحاً من الثلج أو على نار حامية حسب ما تتمناه الأيدي الخفية وهي التي تسمى باللهو الخفي . ماذا يفعل الآن بين هذا الشطط فلا هو قادر على الانسحاب أو الوقوف صامتا وإلا اتهمه أهل المنطقة بالخيانة العظمى ولا هو قادر على الانخراط في هذا العراك .

فجأة رأى أحد الجيران صلاح في الصف، عندما رأى يديه خالية، ألقى له بسلاح أبيض ليستعمله في اختراق الصفوف . تعمد صلاح إسقاط هذا السلاح الأبيض على الأرض وكأنه لم يستطع التقاطه،

وجرى هنا وهناك كنوع من التمويه حتى أخذ جانبا من الجمع ولكنه ما زال في الصورة. عندما رآه الشيخ في هذه الحالة الصعبة خطرت على باله فكرة تمنى أن يقبلها مدير الأمن، فكرة قد توقف هذا العراك، وفي الوقت نفسه قد تتخذ منظر صلاح أمام أهل كاندليه الذي قد ينكشف حالا، وقد تظهر إمكانات صلاح في تهدئة أهل كاندليه خاصة أنهم لن يهدأوا إلا بتدخل المحافظ بوعود واضحة مع تصديق من الشيخ.

همس الشيخ بفكرته في أذن مدير الأمن والذي همس بدوره في أذن المحافظ بالفكرة. هز المحافظ رأسه إعلانا بالموافقة دون أن ينظر إلى مساعديه أو من حوله من رجال الأعمال والسياسة، فتقدم الصفوف على الفور وأشار بيده بأن يفسح الجنود له ليتوسط الناس وهو متوجه إليهم، وقد كانت أول مرة يتحدث فيها المحافظ إلى أهل المحافظة بعد تعيينه وخاصة مع فئة مثل أهل كاندليه الذين لا يأبه بهم أحد في العادة. اضطرب قلب الجميع على سلامة المحافظ ولكن على عكس كل التخوفات وقبل أن ينطق المحافظ بكلمة وقبل أن يلتفت حوله الجنود بأمر من مدير الأمن، توقف الزحف فورا ونظر الناس إلى المحافظ وهو بينهم وبدلا من الهجوم عليه بعد أن أصبح فريسة سهلة بين أيديهم، توقفوا وأحاطوه لسمعوا منه الحقيقة.

وبصوت عالٍ تسكنه الثقة بالنفس وبمشروجه وأهدافه ونيته تجاه هذه المنطقة، توجه المحافظ بالحديث إلى أهل كاندليه وهو يضع يديه على كتف أحدهم كنوع من الألفة: أنا لم أأتي هنا لكي نتراشق ونتقاتل وإلا لكنت أرسلت الأمن، ولكني أتيت لأخبركم الحقيقة

الغائبة أو المختلطة عليكم. أنا اسمي المحافظ، وهذا الاسم أمانة سوف أحاسب عليها ليس أمام المسئولين فهذا معروف ولكن أمام الله، فأنا المحافظ لأحافظ على أموال وأملاك وحقوق الناس وأحافظ على المساواة بين الناس الفقير منهم والغني، الجاهل والمتعلم، هذا هو معنى كلمة المحافظ. وأنا أؤكد هنا أن ما قيل عن بيع الأرض هنا وبناء أبراج عليها ومولات هو مجرد إشاعة دسها وللأسف بعض المغرضين الذين تعودوا على الاستفادة القصوى من فترة إلى أخرى مما كان يخصص لهذا المكان. أما الآن فليس شكلا على الإطلاق بل هي حقيقة ولكن بطريقة مختلفة بعيدا عن المناقصات سيئة السمعة بل عن طريق منافسة يتنافس فيها كل من يريد من خلال مشروع كامل يقدمه لتطوير المنطقة. ونحن لن نقبل إلا المشروعات التي تحافظ على أصل المنطقة وسكان المنطقة التي تمثل لي تراثا وكنزا شعبيا ممكن تطويره والاستفادة السياحية منه. عموما، سوف أختار واحدا منكم يحدثكم عن المسابقة، واحدا سمعت أنه من أبناء المنطقة ومهموم بمشاكلها، واحدا سمعت أن لديه مشروعا سوف يتقدم به هو وزملاؤه للمسابقة، سوف أقدمه ليشرح لكم عن المسابقة نفسها وليس عن المشروع الذي سوف يقدمه فهذا سر لا يجب إفشاؤه للحفاظ على تعبته. واحدا أعتقد أنكم تتقنون فيه.

نظر المحافظ إلى شيخ المسجد ومدير الأمن، فأشاروا إلى صلاح والذي لم يفهم شيئا وتلثم، خاصة أن الإعلام وقنوات الفضائية تسلط كاميراتها على المحافظ ومن حوله. أشار الشيخ إلى صلاح أن

يقترّب من المحافظ في الحال. تردد صلاح خوفاً منه أن يكون تفسيره لإشارات الشيخ خطأً ولكن الشيخ أشار له مرة أخرى، وهنا لم يتأخر المحافظ أكثر من ذلك فأشار إلى صلاح أن يتقدم إليه. وبالفعل انتقل صلاح إلى جوار المحافظ ولكن لا يدري هل هو المقصود بالشخص الذي أشار إليه. نظر حوله بين الجموع ورجال الأمن والأعمال وبينهم شوقي بك والد حبيبة القلب ياسمين. تعجب كيف يكون في هذه اللحظة التاريخية في هذا المكان وبين أهله وأمام رجال الإعلام وبجانب حاكم المدينة ليتكلم عن مشروع قومي، كيف يحدث هذا إلا إذا كانت الأحداث مرتبة بأيدي القدر.

واضعاً يده على كتف صلاح، خطب المحافظ في الجمع، هذا هو الرجل الذي اخترته ليتحدث إليكم الآن عن المشروع ليكون حجة لكم وبرهاناً على أنني لا أضحك عليكم بل نسعى لعمل كل الخير لكم: تحدث إليهم يا صلاح وقص عليهم ما هي المنافسة وأهدافها دون أن تتطرق إلى مشروعك أنت وزملائك.

تعجب «شوقي» بك مما يحدث، فقد جاء إلى هنا بطلب من المحافظ ليكون له دور ولكن الدور الأكبر الآن أُحيل في لحظة إلى صلاح وكأن القدر في كل موقف يريد ذلك ولا راد لإرادته، ماذا لدى هذا الولد ليحدث له كل هذا دون تدخل منه، هل هو رجل مخابرات ونحن لا ندري، أم أن ياسمين فعلاً محقة في أن القدر يقدم الاستثناءات لتتعلم منها بغض النظر عن من وقع عليهم الاستثناء. شيء عجيب بدلاً من أن يكون متهماً أمامي وأمام الجميع تحول إلى بطل. فلنرى ما يخبأه القدر.

أمسك «صلاح» الميكروفون الذي أعطاه له المحافظ وعاد بذهنه سريعا إلى أيام الإعدادية التي كان يمارس فيها هوايته في الخطابة في طابور الصباح وكان يثني عليه الجميع، واحترار في طريقة الكلام ونوع الكلام ولكنه وعلى الفور قرر أن يتحدث بلغة أهل كاندليه ليشعروا بصدق كلماته.

: «أهل كاندليه، من اعتبرهم جنود في معركة الحياة، أنا واحد منكم ويهمني إللي يهكم، وأنا عارف إن فيه ناس كثير خارج كاندليه وبرضه يههم إللي يهكم وعلى رأسهم المحافظ فلأزم نثق فيهم علشان خاطر منطقتنا إللي ممكن تبقى أحسن منطقة بل ممكن تتحول لمنطقة سياحية. أنا سمعت عن المسابقة من واحد من خارج كاندليه وكل إللي كان همه إنه يطور المنطقة وأنا سمعت أفكاره وفعلا بتعاون معاه دلوقتي بس مش هاقدر أقول هو هايعمل إيه علشان المسابقة، لكن المسابقة حقيقة وشروطها كلها لصالح كاندليه وأهل كاندليه. احنا لازم نقف جنب المسابقة دي ونحميها لأن أكيد فيه ناس كثير عابزة تبوظها وتلغيها علشان كانوا بيستفيدوا من غير حد ما يعرف. لازم نثق في المحافظ إللي وقف قدام الفكر القديم وده مكانش سهل، فتحية للمحافظ ورجاله ورجال الأعمال إللي أكيد هياساعدوا في التطوير بس بعد المسابقة ما ترسى على حد. تحية للمحافظ إللي جه بنفسه النهاردة، إللي بي فكر فينا بطريقة مباشرة، الموجود وسطكم دلوقتي مش ورا العساكر، وربنا يوفقه ويحافظ على المسابقة لأن مستقبل كاندليه وأهلها متعلق بالمسابقة دي، وبعدين إنتوا قلقانين من

إيه، كل التليفزيونات بتصور كلامنا دلوقتي وكلام معالي المحافظ يعني اعتبروه عقد صوت وصورة، يارب تكون كاندليه مع معالي المحافظ، ومانسيبهوش، ونكون معاه برجالتنا نحمي معاه حقنا».

الآن أدرك «شوقي» بك سبب اختيار صلاح من دون أهل كاندليه، القدر لم يدبر مقابله بياسمين وأكتفى بل رتب مقابله بأدهم مهندس الديكور المعروف ثم ضم إليهم ياسمين ثم تجمعوا ثلاثتهم مع إمام المسجد الذي جاء في هذه اللحظة ليستجيب لنداء القدر ليهمس في هذه اللحظة القدرية في أذن مدير الأمن والذي بدوره همس في أذن المحافظ والذي يشير بنفسه إلى صلاح. لحظات وأحداث قدرية تثبت قدرة السماء على إعادة ترتيب أديارنا في الحياة رضينا أم لم نرض لأن أديارنا معلقة بإرادة السماء.

وما إن انتهى صلاح من كلمته التي أنهاها بحماس شديد حتى صفق الناس جميعا له وهتفوا باسم المحافظ الذي تهللت أساريره وأصبح بطلا في محافظته وفي منطقة من أعتى المناطق التي استعصت على جميع المحافظين ممن سبقوه. سلم المحافظ على صلاح ونظر إليه نظرة طويلة تحمل معاني الامتنان وكأن لسان حاله يقول، كم أنا مدين لك بهذا الموقف وهذه الكلمات التي مزجت بيني وبين أهل كاندليه.

ابتسم الشيخ ولوح لصلاح عن بعد، وأصبح صلاح رجلا معروفا ليس فقط لأهل كاندليه ولكن لكل الناس وهكذا أراد القدر أن ينصف صلاح أمام الجميع، أمام أهل كاندلية وأمام شوقي بك، وأمام عزيز بك وياسمين فكانا يشاهدان ما يحدث الآن على شاشة التلفاز.

وكانت أحلى وأجمل مكالمة تليفونية من ياسمين وهي تبارك له
على تباشير حلو الحياه: مبروك يا صلاح أنا كنت فخورة ببيك وأنا
شايفاك بتتكلم، مبروك عليك حب القدر ومبروك عليا تباشير حلو
الحياة.

- وأنا كان نفسي أتصل عليك وكان نفسي تكوني معايا، ربنا يخليك
ليا يا أجمل عقد ياسمين. هاشوفك النهاردة بالليل في مكتب أدهم
علشان ننهي المشروع ونقدمه بكره؟؟

- لأ، للأسف يا صلاح مش هاقدر آجي لا النهاردة بالليل ولا بكرة
الصبح معاكم لأنني وعدت بابا ومش هاقدر أخلف بوعدتي معاه.
خير، إيه إللي حصل علشان توعديه إنك ماتشوفينيش، ده هو كان
موجود وسلم عليّ قبل مايمشي ودعا لي بالتوفيق من قلبه وقال
إنه هايكون فرحان لو احنا أخذنا المشروع وهو خسر، وأنا قلت
النهاردة أكيد هايغير رأيه فيّ.

- أنا وعدته امبارح مش النهاردة، وطبعاً إللي حصل النهاردة ممكن
يخليه يغير رأيه، عموماً هابقى أحكيك بعدين ما تعلقش الأمور
ماشية كويس الحمد لله، بس محتاجين بعض الهدوء واحترام فكر
الآباء، لكن في النهاية ربنا قادر إن شاء الله، زي دايماً ما بنقول
ترتيبات القدر فوق كل الأسباب.

- وأنا واثق في رحمة القدر وعدل القدر، خدي بالك من نفسك.

لم يملك «شوقي» بك إلا أن يسلم على صلاح: كلماتك كانت مهمة وقوية يا صلاح، ربنا يوفقك إنت وأدهم وياسمين في المسابقة، ولو فزتم وأنا خسرت هاكون فرحان، ربنا يوفقك وتكون على قدر ترتيبات القدر.

- أرجو أن أكون عند حسن ظنك دايمًا شوقي بيه. وجرى صلاح نحو الشيخ يقبله ويحتضنه، واتجها ناحية المسجد قبل أن يذهب ليقابل أدهم فقد هرب النوم من عينيه وأصبح كالمطائر في سماء الأحلام.



- إيه إللي أحرَّك يا صلاح، أنا قلقت عليك جدا، اتصلت عليك كثير وتليفونك كان غير متاح.. خير إيه إللي حصل يا عم الشيخ، مش إنتوا عارفين إن آخر يوم لتقديم المسابقة بكرة الصبح. ده أنا قافل عليّ المكتب من العصر ومقابلتش أي حد علشان أتفرغ تماما لإنهاء المشروع ولكن فيه حاجات كثيرة محتاجكم فيها.

- فعلا، احنا شفنا اليافطة إللي متعلقة برة إن مافيش مقابلات للعمل النهاردة، عموما احنا إتأخرنا بسبب يساوي مليون جنيه، ده احنا كنا متوقعين إنك تكون عارف سبب تأخيرنا.

- هاعرف منين يا عم الشيخ بس وماحدث منكوا رد على تليفوناتى، بصراحة أنا قلت الشبكة، وفرصة أعكف على المشروع على ما يجي ميعادنا حتى ما رضتش أتصل بياسمين علشان ما قلقهاش.

ابتسم صلاح، وما زالت عيناه تسكنها لمعة مما جرى هذا العصر،
ودمعة فرحة من سلام شوقي بك: ياسمين كانت معنا النهاردة وكمان
شوقي بيه وكمان المحافظ، الكل كان معنا يا باشمهندس إلا إنت.

- إيه الألفاز دي يا صلاح، مش عايزين هزار، عايزين نبتدي في
الشغل حالا، أنا فعلا بدأت أتوتر من ضيق الوقت الباقي، يلا
اتصل بياسمين علشان تيجي ونبتدي حالا، دا أنا عازمكم على
بيتزا بس بعد ما نخلص إللي ورانا.

- أولا ياسمين مش هاتقدر تيجي، ثانيا أنا مش بهزر أنا باتكلم جد
واسأل الشيخ.

- إيه الحكاية يا عم الشيخ فهمني؟؟

- فعلا يا أدهم، كان عندنا النهاردة العصر ملحمة في كاندليه وكان
بطلها صلاح أمام أهل كاندليه وأمام المحافظ ومدير الأمن
ورجال الإعلام ورجال الأعمال ومنهم شوقي بيه، كانت لحظات
حالكة ولكنها انتهت بفرج كبير من الله، أما عن ياسمين.. صلاح
هايقولك. أنا كنت متخيل إنك شفت إللي حصل على التلفزيون.

- وكمان التلفزيون، ده الموضوع كبير بقى وأنا آخر من يعلم! طيب
الأول أعرف ليه ياسمين مش هاتقدر تيجي، ده مشروعنا كلنا وكان
لازم تيجي وتدلي برأيها في التفاصيل لأن آراءها مهمة جدا خاصة
إن لها دور واضح. خير يا صلاح إيه إللي حصل، اتخاصمتوا ولا
إيه، دي آخر حاجة أتوقعها!!

- ياسمين يا سيدي دخلت في نقاش طويل وحاد مع والدها والذي انتهى بأنها وعدته بأن تقلل من مقابلتها معي ليس لأنها تخلت عني أو لا تريد لقائي ولكن لأنها تحاول أن تحافظ على مشاعر شوقي بيه وفي نفس الوقت حتى لا تزيد وتيرة الاختلاف بينهما وغضبه عليّ حتى يفعل الله أمرا كان مكتوبا . وأنا تفهمت الموقف ومقدر ظروفها وواثق بأن الله سوف يرتب الأحداث لصالح النيات الطيبة، وبالفعل قد بدأت اليوم تبشير هذه الترتيبات.
- والله يا صلاح ياسمين دي بطلة و بنت بألف راجل ويا بختك بيها وأتمنى ربنا يرزقك بيها لتسعد في حياتك . عموما ولا بهمك يا صلاح الأمور سوف تتحسن كثيرا بعد ما نحصل على المشروع، صدقني الدنيا هاتضحلك كثير، قلبي وعقلي بيقولولي كده وأنا مصدقهم. وبضحكة محاولا بها أن يخفف من وطأ الكلمات على صلاح، توجه أدهم إلى الشيخ مداعبا: ماتزود دعواتك لصلاح يا عم الشيخ علشان شوقي بيه يخف عنه شويه.
- يابني دا لو الدعوات بتاعتي لصلاح اتقبلت لكان رئيس جمهورية مصر من زمان، وبعدين هو قابل ياسمين إلا بدعواتي، وأقابلك إلا بدعواتي، والمحافظ سلم عليه إلا بدعواتي، وفوق المحافظ شوقي بيه نفسه راح لحد صلاح وسلم عليه وشد على إديه.
- معقول يا صلاح ده حصل فعلا، إزاي وإمتى وفين، والمحافظ يسلم عليك بأمانة إيه يا سيدي. إحكي لي!!

- سلم عليّ بأمانة المشروع، دي كانت هاتبقى عاركة وانتهت بصفقة.. وإن شاء الله وش الصفقة دي على مشروعنا هايبقى حلو إن شاء الله.. الموضوع يا سيدي إن أهل كاندليه حد وَشَى ليهم بأن المحافظة هاتطردهم علشان تبني أبراج سكنية ومولات فخرجوا النهاردة وأنا نايم ليعتدوا على المحافظة ولكن ربنا ستر والمحافظ حضر بنفسه وشرح لهم الموضوع وأنا كمان. الموضوع طويل وعجيب هاحكيلك التفاصيل بعدين بس خلاسته أن القدر فوق الأسباب، وترتيبات القدر تقلب كل الموازين.

تعجب «أدهم» مما جرى ومن ترتيبات القدر التي تجعل من صلاح بطلا يشار إليه بالبنان، وتؤكد أن هذا الحدث في صالح المشروع لو تم تسليمه في الميعاد بدون أي منغصات.

- طيب يلاً بينا نبدأ الشغل، بس هي فين الأوراق يا صلاح، شكلك جيت من غيرها.

- لا طبعاً، الأوراق تحت هنا. وأخرجها «صلاح» من تحت قميصه حتى يحافظ عليها من أيدي الوطاويط التي قد تظهر في أي وقت.

وفجأة رن جرس الباب، وتلعثم الجميع ونظر بعضهم إلى بعض متوجسين أن يكون أحد الوطاويط هو الذي جاء ليفسد عليهم الاجتماع. رد أدهم بتوجس: مين إللي على الباب ؟

- افتح يا أدهم أنا ياسمين..

لم يصدق «صلاح» نفسه من سيل تباشير القدر، وجرى إلى الباب يفتح لياسمين ليجدها تقدم له صحبة ورد تزينها ابتسامتها الجميلة الرائقة: دي هدية ليك يا صلاح وعربون من تباشير القدر.

لم يصدق صلاح نفسه مرة ثانية، فقَبَّل يد ياسمين وقَبَّل الورود وحلق في أمور القدر التي لم يعد قادرا على استيعابها: يارب يكون شوقي بيه رضي عنك وسمح ليك.

- الورود يا صلاح من شوقي بيه، شوقي بيه فخور بيك.. أما بابا ما زال يجادل القدر.

وببسة حانية، نظر صلاح ناحية الشيخ وأدهم: طيب خليكوا شاهدين عليّ وعلى ياسمين، خليكوا شاهدين على أناقة الزمن الجميل، وروائع القدر..

- طيب يا سيدي، وخليكوا شاهدين إن باقي من الزمن القليل على تقديم المشروع الكبير.

ضحك الجميع وانخرطوا في حماس بالغ لإنهاء المشروع..



اليوم مشمس كيوم النسيم، وكأن أشعة الشمس كلها قد تجمعت أمام بيت «عزيز» بك لترحب بالضيوف، ووقت العصر في العوامة رائع يغازل العيون بالنظر إلى أمواج البحر الهادئة من شرفة العوامة الساكنة. تزين البيت ولأول مرة منذ فترة طويلة في أجمل حُلْيِه، وكأن عزيز بك ينتوي تفجير مفاجأة، ما هي؟ لا أحد يعلمها.

كان أول الحضور أسرة «شوقي» التي ارتدت ملابس كاجوال، فبدا شوقي بك وزوجته بهيئة جديدة ومريحة. الغريب أن أسرة عزيز قد ارتدت هي الأخرى ملابس كاجوال، فبدا الجميع وكأنهم يلتقون ولأول مرة. ارتاحت ياسمين كثيرا لهذا الجلسة غير الرسمية فبدت بين الجميع كالطفلة البريئة رغم سنواتها الخمس وعشرون.

- أهلا بيوكم شوقي بيه في عوامتنا المتواضعة والأصيلة فكم تحمل بين جدرانها الكثير من الذكريات المرحية والحزينة، تمر عليها مياه النهر بأواجها وترحل وتبقى هي كما هي لتحمل همومنا وأفراحنا ولا ترحل.

- العوامة فعلا جميلة يا عزيز بيه وكم هي متألقة ومتأنقة بهذه الديكورات والزينة التي تبدوا جديدة ورائعة. كم أشعر الآن أنني مزاجي كرائحة الفل الذي يطل علينا من شرفة العوامة. واضح أن القرب من مياه النهر الجارية له تأثير السحر على العقل والقلب. كده أنا هاغير منك يا عزيز وأشتري عوامة.

- أنا فعلا يا بابا كان نفسي أسكن في عوامة وأنا صغيرة، وكنت دائما أطلب منك كده كل مرة نزور أصدقاء حضرتك إللي عندهم عوامات. ولكن كنت تضحك وتقول، لو سكنت في عوامة يا ياسمين هاتبقي سمكة وهاتنطي في المياه.

- خلاص يا ياسمين، اعتبري العوامة دي بتاعتك، بس اوعي تبقي سمكة أحسن حد يصطادك ببلاش.

وقعت هذه الكلمات على شوقي بك كرياح الخماسين التي ألهمت أفكاره من جديد وتخوفه على ياسمين وعلاقتها بصلاح. تغيرت ملامحه التي حاول أن يخفيها حتى لا يفسد الزيارة بهذه السرعة. ولكن الكلمات ظلت تعبت في أذنه كالثحلة الزنانة.. «بس اوعي تبقي سمكة أحسن حد يصطادك ببلاش»، تشبيه بليغ وإن كان غير مقصود يا عزيز، فعلا ظلت أحافظ على ياسمين طوال العمر من أن تصح سمكة في بحر الحياة حتى لا يصطادها أحدهم مجاناً، ولكن باءت كل جهودي بالفشل، فقد تحولت بالفعل إلى سمكة واصطادها صلاح وبلا ثمن. هل سيلقيها في البحر مرة أخرى لتعيش حياتها، مؤكداً لا، فسوف يطهيها ويأكلها، فالصياد لا يلتقي صيده أبداً!

- مالك شوقي، روحت فين بعيد عنا!!
- أبداً عزيز، سرحت في الماضي ووقفت على أرض الحاضر ثم أعتاب المستقبل فوجدتني قلماً، لا أدري لماذا!

ردت ياسمين على الفور وكأنها قرأت أفكار شوقي والدها: يا بابا يا حبيبي، المستقبل هايبقى جميل طالما احنا عايزينه يبقى جميل، المستقبل طيب وابن حلال، ويا سيدي ما تقلقش عمري ماهبقى سمكة أبداً، أنا الشبكة والصياد.

وهنا رن جرس باب العوامة ليعلن عن مجيء صلاح كاندليه ومعه أدهم والإمام. سلم الثلاثة على الحضور، وكان أول السلام على شوقي بك مع تقديم الشكر على الورد الذي أرسله مع ياسمين وعلى موقفه

يوم معركة كاندليه: شكرا شوقي بيه على دعمك وأوعدك أكون عند حسن ظنك دائماً .

- أهلا بصلاح كاندليه إللي شهر كاندليه وهايطور كاندليه، سمعت وشوفت عن موقضك المدعم للمحافظ في نشرة المساء وكم كنت فخورا بك.. فاكرا يا صلاح العوامة دي، لك فيها ذكريات جميلة ومن أو لقاء..

لمعت عينا صلاح عندما وقعت على شرفة العوامة، والماء يجري هناك في النهر، وتذكر أول يوم رأى فيه عزيز بك ثم آخر يوم وكادت الدموع تتساب لولا أنه تماسك. «أيتها السماء الصافية، أيها البحر الجاري، أيتها النسمات العليل، مضى الوقت ثقيلًا وسريعًا، وسعيدًا وحزينًا، كنت هنا يومًا طفلًا بريئًا، وكانت الحياة لي مجرد قارب في النهر، ثم هاج النهر وجرت الحياة أمامي، ثم توقف جريان المياه وجف النهر، ثم تطوع القدر ليبعث في حلو الحياة من شقوق الأرض، كم أنا مدين لك أيها القدر بما أوتيت في كل عصر»: واللّه يا عمو عزيز الموقف هو الذي فرض نفسه عليّ بترتيب القدر وترتيب من الشيخ.. وأتمنى فعلا التطوير لكاندليه. أما بالنسبة للعوامة فهي جزء مني وكم اشتقت إليها من آخر لقاء، فكم افتقدت صوت خريير المياه وهو يغازل العوامة في هدوء الليل فيوقظ في أجمل المشاعر والكلمات.

نظر «شوقي» إلى صلاح نظرة لا يدري معناها أيحبه كما أحبه القدر أم يريد أن يلقيه من العوامة، مشاعر متضاربة، لم يقطعها سوى صوت عزيز: يا جماعة أنا عندي مفاجأة ليكم جميعا، ياريت تسمعوني بهدوء.

تشوق الجميع لمعرفة المفاجأة، فعزیز مفاجآته قليلة وعزیزة مثل اسمه.

- إیه هی المفاجأة یا عمو عزیز، أكید جمیلة وشیک زی حضرتك، إیه خطبت لصلاح، ولا عرفت حاجة عن المسابقة بتاع كاندلیه، یا تري مین إلیی فاز، مشروع حضرتك ولا بابا ولا أدهم.
- لا دي ولا دي یا یاسمین، هما مفاجآتان، الأولى إنی جابیلک عریس، والثانیة عن صلاح كاندلیه.

وما إن سمعت كلمة عریس حتی انكمشت «یاسمین» فی نفسها تخوفا من أن یكون عزیز بك دعاهم الیوم لطلبها مرة أخرى لصلاح ابنه، ولكن لا یمكن أن یكون تفكیر عمو عزیز بهذه السرعة فلم یبدأوا برنامج الزیارة بعد، وماذا حدث لیجعله یحاول مرة أخرى. ونظر إلیه شوقی بك متمنیاً أن یكون العریس صلاح عزیز: شوقتنا یا عزیز إیه المفاجأة؟

- أما عن العریس فهو فعلاً ابنی صلاح...

وهنا تقهقرت ملامح یاسمین وازداد عبوسها، وازدادت ابتسامة شوقی حتی ملأت وجهه. وقبل أن یعلق شوقی بك، أكمل عزیز مفاجآته: ابنی وصدیقی صلاح، صلاح كاندلیه.

وقعت المفاجأة على الجميع كوقع الصاعقة، تجمدت جیهان هانم فی مكانها وتقوقع شوقی بك وزوجته وتحشرجت أنفاسهم وتمنی شوقی لو تطلب منه زوجته أن یغادرا المكان الآن كما فعلت زوجة عزیز من

قبل. ولكن انفرجت أسارير ياسمين وتلثم صلاح وابتسم الشيخ وأدهم بلا تعليق من هول المفاجأة. وقبل أن ترد ياسمين ويعلق شوقي: وإليكم المفاجأة الثانية.

صمت الجميع والعيون كلها مسلطة على شفتي عزيز بيه: يا ترى هل قوة المفاجأة الثانية كالأولى؟؟

- أنا يا صلاح اعتبرتك ابنا لي منذ أن قبلت أن تكون واحدا من هذه الأسرة وأنت طفل، ولأنك ابني ولأنك في مرحلة الشباب والزواج ولأني أعرضك لشوقي بيه الآن كعريس لياسمين، فبكل حب واعتزاز أعلن عن أملاكك مني وهي شقة تمليك وسط البلد وسيارة مثل التي كنت تحبها وأنت وسطنا، وفوق كل ذلك أتمنى أن تعود إلى بيتك معنا، بيت العيلة.

تسمر «صلاح» دون حراك ولم يستطع تحريك حتى شفتيه، وتهلل وجه ياسمين ولكنها لم تستطع الرد فليس لها الحق في التعليق، وتهلل وجه الشيخ وبادر بمباركة صلاح، وشكر عزيز بك الأب الروحي لصلاح. واحتضن أدهم صلاح الذي ما زال في غيبوبة المفاجأة الكبرى.

نظر «شوقي» بك إلى عزيز، الجالس بجوار صلاح، ولم يدر ماذا يفعل أمام ترتيبات القدر هذه، فقد تحول القدر من مرحلة الدفاع عن صلاح إلى مرحلة الهجوم حتى لا يستطيع أحد مهما كان أن يجد عذرا لرفض صلاح. ماذا أفعل الآن، لحظة مصيرية ويجب أن أشارك فيها مهما كانت نوع المشاركة، هل أقبل ولا أعاند حتى لا يفرمني

القدر، أم أحتج وأتحمل تبعات القرار، وبما أحتج؟ فلم يعد هناك شيء ينقصه سوى تعليمه، فهذا هو اكتسب العائلة، والسكن والشهرة وتعزيد المحافظ ومن يدري لعل القدر يرتب لمشروعه مع أدهم وياسمين بالفوز وحينئذ يكون قد اكتسب أيضا المال، ماذا بعد ينقصه عن صلاح عزيز سوى الشهادة، فلأتمسك بالشهادة كفرصة أخيرة للرهان على القدر أن يترك صلاح وشأنه وتعود ياسمين لي.

وكأن شوقي بك كتاب مفتوح لياسمين تقرأه أينما كان من لغة عيونه وهمس وأزيز أنفاسه، توجهت ياسمين إلى عزيز بك بصوتها الرقيق وكأنها تريد أن تخبره بموافقتها بطريقة غير مباشرة قبل أن يستدعي شوقي بك كل أساليب الرفض الباقية: أنا كمان عندي مفاجأتان يا عمو عزيز. الأولى إن صلاح تم قبوله لدخول امتحان الثانوية العامة بعد شهور قليلة. والثانية إن روايته التي ألفها منذ فترة طويلة تم قبولها للنشر في أكبر دور النشر والتوزيع، ثم نظرت إلى والدها وابتسامة أمل على شفيتها وحنان يجري في عينيها وكأنها تستجدي موافقته: إيه رأيكم بقى في ترتيبات القدر دي؟

هلل الجميع بما فيهم صلاح والشيخ وأدهم و جيهان هانم التي تمننت أن يوافق شوقي بك على صلاح كاندليه حتى تكفر عن قسوتها وأنانيتها مع صلاح، وحتى يتفرغ الجميع بعد ذلك إلى الحديث عن ابنها وقررة عينها صلاح الذي لم ينال حظ الاهتمام منذ اللقاء السابق كما نال صلاح كاندليه. وقبل أن يعلق شوقي على عزيز وياسمين وترتيبات القدر، فوجئ الجميع بسماع اسم أدهم على

لسان مذيع البرنامج الذي لم يأبه له الجميع منذ بدء اللقاء. تحول أنظار الجميع ناحية التلفاز وأنصتوا بكل آذانهم ليدركوا ماذا وراء اسم أدهم!! وفجأة انتفضت ياسمين وانتفض أدهم والشيخ وصلاح، والذين كانوا صامتين طوال الوقت، وصاح أدهم: لقد فعلناها، لقد فزنا، لقد فزنا. لم يصدق «شوقي» بك ما يحدث، ظل شاخصا ناحية التلفاز يشاهد إعلان خبر فوز أدهم بمسابقة «تطوير كاندليه» ومعه فريقه صلاح وياسمين والشيخ وبعض أهل كاندليه وعيناه على الفيلم التسجيلي الذي يظهر كاندليه قبل وبعد التطوير وكأنها قلعة سياحية بمزيج من الطراز الشعبي والحديث.

نظرت ياسمين إلى والدها بعيون دامعة وقلب خافق وصوت يستجدي موافقته: مش هاتقول مبروك بقى يا بابا..

نهض شوقي بك ووقف وسط الجميع: مبروك يا صلاح.

- مبروك على إيه بالضبط شوقي بيه؟

- مبروك على مشروع أدهم وفريقه، ومبروك لصلاح على ياسمين، ومبروك لياسمين على ترتيبات القدر...

وفجأة صاح الجميع والتفوا حول صلاح بفرحة عارمة: مبروك عليك حب القدر يا صلاح..

صاح «صلاح» بصوت عالٍ، متجهاً ببصره قبلة السماء: ما أحلاك وأجملك أيها القدر. ثم نظر إلى ياسمين: وأنتِ أحلى وأجمل وأنقى وأطيب ما رتبته لي القدر.

- مبروك علينا يا صلاح، ما أجمل القدر عندما يطبب على
المحبين رغم مطبات وعثرات الطريق..

-تمت-

عن المؤلف:

د. محمد لبيب سالم أستاذ بعلم المناعة كلية العلوم ومدير مركز التميز لأبحاث السرطان ومدير مركز المشروعات والإبتكارات ونقل التكنولوجيا بجامعة طنطا والمشرف العام علي مركز بحوث تنمية إقليم الدلتا. د. لبيب باحث في علم المناعة والأورام وعضو في العديد من اللجان القومية في التعليم والبحث العلمي وعضو في اتحاد الكتاب بمصر ومستشار علمي لمنظمة المجتمع العلمي العربي.

د. لبيب مؤلف وكاتب وتمثل رواية «وقت للبيع» أولي روايته الصادرة عن دار أطلس للنشر والطباعة والتي تم ترشيحها في عام ٢٠١٥ الجائزة الرواية في الأدب العربي المعروفة بإسم «البوكر». ثم توالى أعمال د. لبيب الأدبية لينشر مجموعتين قصصيتين بعنوان «العشق الحلال» و «زحمة مشاعر». وتم عرض كلا من رواية وقت للبيع والمجموعة القصصية «وقت للبيع» في المعرض الدولي للكتاب بمصر وكذلك في العديد من معارض الكتاب الأخرى بمصر والدول العربية. وله تحت الطبع ارواية «سفاري إلي الجهاز المناعي» ومؤلف بعنوان «تأملات بيولوجية في النفس» ومؤلف اخر بعنوان «تأملات بيولوجية في الحياة» . وقد نشر د. لبيب أيضا سلسلة من المقالات العلمية والأدبية والسياسية في العديد من الجرائد والمجلات المصرية والعربية مثل العلم، العربي، الفيصل،

روزليوسف، العالم اليوم ومنظمة المجتمع العلمي العربي بالإضافة إلى المواقع العربية مثل مجتمع بناء وموضوع.

د. لبيب حاصل علي بكالوريوس العلوم عام ١٩٨٤، وماجستير العلوم في ١٩٨٩، ودكتوراة العلوم في ١٩٩٥. وقد مُنح د. لبيب جائزة الدولة التشجيعية لعام ٢٠٠٤ وجائزة الدولة للتفوق لعام ٢٠١٠ وجائزة جامعة طنطا التقديرية لعام ٢٠١٥ ورشح من قبل جامعة طنطا للحصول علي جائزة الدولة التقديرية في العلوم الأساسية في ٢٠١٥. وله أكثر من ١٠٠ مؤلف علمي منشورة بالدوريات العلمية العالمية. د. لبيب عضو في هيئة التحرير للعديد من الدوريات العلمية. واستقر د. لبيب بمدينة فوكوكا باليابان كباحث لمدة خمسة أعوام في الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٤ ثم من ١٩٩٧ - ٢٠٠١. وفي مدينة تشارلستون بأمرিকা من ٢٠٠١ - ٢٠١٠ كأستاذ جامعي وباحث.

وقام د. لبيب بزيارة العديد من الدول مثل الصين ، كندا، إيطاليا، ماليزيا، كوريا الجنوبية، السعودية، الأردن، الإمارات. وقد أثرت هذه الرحلات وكذلك طبيعة العمل كباحث في أسلوب كتاباته الأدبية التي تتسم بالتحليل وربط الظواهر البيولوجية بالأمور الحياتية مع إضفاء الخيال الأدبي لإظهار الواقع بحس أدبي رفيع.

mohamedlabibsaleh@yahoo.co

| الصفحة | الفهرس |
|--------|------------------------|
| ٥ | إهداء:..... |
| ٧ | المقدمة:..... |
| ٩ | الفصل الأول:..... |
| ١٧ | الفصل الثاني:..... |
| ٢٣ | الفصل الثالث:..... |
| ٢٩ | الفصل الرابع:..... |
| ٣٩ | الفصل الخامس:..... |
| ٥١ | الفصل السادس:..... |
| ٥٩ | الفصل السابع:..... |
| ٧٣ | الفصل الثامن:..... |
| ٨٥ | الفصل التاسع:..... |
| ٩٩ | الفصل العاشر:..... |
| ١١٣ | الفصل الحادي عشر:..... |

| | |
|-----|------------------------------|
| ١٢٧ | الفصل الثاني عشر: |
| ١٣٣ | الفصل الثالث عشر: |
| ١٤٣ | الفصل الرابع عشر: |
| ١٥٥ | الفصل الخامس عشر: |
| ١٧٣ | الفصل السادس عشر: |
| ١٨١ | الفصل السابع عشر: |
| ١٨٩ | الفصل الثامن عشر: |
| ١٩٧ | الفصل التاسع عشر: |
| ٢٠٥ | الفصل العشرون: |
| ٢١٥ | الفصل الحادي والعشرون: |
| ٢٣١ | الفصل الثاني والعشرون: |
| ٢٤٧ | الفصل الثالث والعشرون: |
| ٢٦١ | الفصل الرابع والعشرون: |
| ٢٦٩ | الفصل الخامس والعشرون: |

| | |
|-----|------------------------------|
| ٢٧٧ |:الفصل السادس والعشرون: |
| ٢٩٣ |:الفصل السابع والعشرون: |
| ٣٠٧ |:الفصل الثامن والعشرون: |
| ٣٢١ |:الفصل التاسع والعشرون: |
| ٣٥٣ |:الفصل الثلاثون: |

حقوق الطبع محفوظة للناشر



أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامي

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر